جوامع اللذة

تـألـيـف
العلامة المعروف بالكاتبى القزوينى

الحرية للنشر والتوزيع
19 شارع 26يوليو ـ وسط البلد
القاهرة ـ 5745679 ـ 0123877921

جوامع اللذة

اسم الكتاب : جوامع اللذة

تأليف : العلامة المعروف بالكاتبى القزوينى

الناشر : الحرية للنشر والتوزيع

19 شارع 26يوليو ـ وسط البلد

القاهرة ـ 5745679 ـ 0123877921

رقم الإيداع : 2007/9229

الترقيم الدولى : 9-43-32-36-977

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خلق الخلق، وحبب إليهم النكاح؛ الذى به يحافظون على النسل والذرية، لتدوم عمارة الأرض، وأودع- عز وجل- فيهم من اللذة ما يكفل استمرار تناسلهم وتكاثرهم، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الذى كان من سنته ﷺ الدعوة إلى التكاثر والتناسل، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد.

فهذا كتاب: جوامع اللذة.

للعالم العلامة المعروف بالكاتبى القزوينى، وقد نسخه محمد بن الحسن بن عبد الله بن هلال، وهو أحد الإسهامات العربية الجيدة فى الثقافة الجنسية.

وفيما يلى مقدمة له.

مقدمة التحقيق

نسرد- نقلاً- فيما يلي آيات وأحاديث وآثاراً وأقوالاً لأهل العلم تتعلق بالنكاح وفضله:

روى عن ابن عباس- رضى الله عنهما- فى قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

قال :هداهُ:

لمنكحه.

ومطعمه.

ومشربه.

ومسكنه[١].

وقال: حدثنا أبو زرعة، ثنا منجاب، أخبرنا بشر بن عمارة، عن أبى رَوْق، عن الضحاك، عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

قال: الجماع[٢].

والحديث له طرق أخرى عن ابن عباس، وغيره، ذكرتها فى الأصل.

وقال ابن المنذر فى تفسيره

حدثنا محمد بن علي، ثنا سعيد، ثنا عمر بن ثابت، عن أمية، عن سعيد بن جبير، فى قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

قال: كيف يأتى الذكر الأنثى[٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٨/٤٢١)، (٢٤١٥٧). وذكره السيوطى فى الدر (٤/٥٣٧- ٥٣٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر (٤/٥٣٨)، وعزاه لابن أبى حاتم عن ابن عباس.

(٣) ذكره السيوطى فى الدر (٤/ ٥٣٨]، وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر عن سعيد بن جبير.

وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبي، ثنا محمد بن أبي عمر العدني، ثنا سفيان، ثنا مسعر، عن ابن سابط قال: بهمت عليه البهائم فلم تبهم عن أربع:

تعلم أن الله ربها.

ويأتي الذكر الأنثى.

وتهتدي لمعاشها.

وتخاف الموت[1].

وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبي، ثنا أبو صالح محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، ثنا إسحاق بن عيسى بن الطباع، عن مسكين بن بكير الحراني، عن عبد السلام بن حبيب، عن الحسن في قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

قال: الجماع.

﴿وَرَحْمَةً﴾.

قال: الولد[2]. أخرجه ابن المنذر.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه، بسند ضعيف:

عن أنس، مرفوعًا: «إن آدم ﷺ لم يجامع امرأته، حتى أتاه جبريل، فأمره أن يأتي أهله، وعلمه كيف يأتيها، فلما أتاها، جاءه جبريل، فقال: كيف وجدت امرأتك؟ قال: صالحة».

وأخرج ابن عدي في الكامل، وابن عساكر في تاريخه:

من طريق إبراهيم النخعي قال: لما خلق الله آدم وخلق له زوجه، بعث إليه ملكًا، وأمره بالجماع، ففعل، فلما فرغ، قالت له حواء: يا آدم هذا طيب زدنا منه.

قال الغزالي في الإحياء

الفقهاء يقولون: من فوائد النكاح.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر (٥٣٨/٤)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن سابط.

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٢٩٧/٥)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن البصري.

كثرة النسل.

وحفظ الوجود.

والإطلاع على بعض اللذات الأخروية.

قال: ولعمرى إن ما قالوه لصحيح، وإن فى هذه اللذة التى لا توازنها لذة، لو دامت فهى منبهة على اللذات الموعودة فى الجنان، إذ الترغيب فى لذة لا تُعرف لا ينفع، فلو رغب العنين فى لذة الجماع، أو الصبى فى لذة الملك- لم ينفع الترغيب فيه.

فإحدى فوائد هذه اللذة فى الدنيا: الرغبة فى دوامها فى الجنة؛ ليكون ذلك باعثًا على عبادة الله تعالى.

قال: فانظر إلى حكمة الله، ثم رحمته، كيف جعل تحت شهوة واحدة حياتين:

حياة ظاهرة.

وحياة باطنة.

فالحياة الظاهرة: حياة المرء ببقاء نسله.

والحياة الباطنة: هى الحياة الأخروية، فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام، تحرك الرغبة فى اللذة الكاملة بلذة الدوام، فتحث على العبادة الموصلة إليها، انتهى.

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه:

عن معاوية بن صالح- عن بعضهم- رفع الحديث- : «لعن الله والملائكة رجلاً تحصر بعد يحيى بن زكريا».

وأخرج الطبرانى فى الأوسط، والإسماعيلى فى معجمه، وابن عساكر فى تاريخه:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على الناس بأربع: بالسماحة، والشجاعة، وكثرة الجماع، وشدة البطش»[1].

وأخرى البخارى فى صحيحه:

من طريق قتادة عن أنس قال: كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهن إحدى عشر، قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٧/٤٩)، (٦٨١٦).

وأخرج عبد الرزاق فى المصنف:

عن أنس، قال: قال النبى ﷺ : «أعطيت الكفيت، قيل: وما الكفيت، قال: قولة ثلاثين رجلاً فى البضاع».

وأخرج ابن سعد فى الطبقات:

عن مجاهد وطاووس، قالا: «أعطى رسول الله ﷺ قوة أربعين رجلاً فى الجماع»(١).

وأخرج عبد الرزاق:

عن سعيد بن المسيب، قال: «أعطى النبى ﷺ قوة بضع وأربعين رجلاً»(٢).

وأخرج عبد الرزاق فى المصنف(٣):

عن طاووس قال: «إن النبى ﷺ أعطى قوة خمسة وأربعين فى الجماع».

وأخرج الحارس بن أبى أسامة فى مسنده:

عن مجاهد، قال: «أعطى رسول الله ﷺ قوة بضع وأربعين رجلاً، كان رجل من أهل الجنة»(٤).

وأخرج ابن عدى:

عن ابن عباس، قال: قال النبى ﷺ : «أتانى جبريل بهدية من الجنة، فأكلتها، فأعطيت قوة أربعين رجلاً فى الجماع»(٥).

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣٧٤/١)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٥٠٦/٧)، (١٤٠٤٩) عن طاوس.

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٥٠٧/٧)، (١٤٠٥٠)، (١٤٠٥١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٥٠٧/٧)، (١٤٠٤٩).

(٤) تقدم.

(٥) أخرجه ابن عدى فى الكامل (٣١٢/٣- ٣١٣)، فى ترجمة سلام بن سليمان بن سوار الثقفى بلفظ: أتانى جبريل بهدية من الجنة فأكلتها فأعطيت قوة أربعين رجلاً فى الجماع.

قال ابن عدى: والسلام غير ما ذكرت وعامة ما يرويه حسان إلا أنه لا يتابع عليه.

ومن طريقه أخرجه ابن الجوزى (١٥٨/٣) فى الموضوعات.

وقال فى الباب عن معاذ وحذيفة وابن عباس، وجارية سمرة، ويعلى، وأبى هريرة ثم قال: هذا حديث وضعه محمد بن الحجاج وكل الطرق تدور عليه إلا أن طرق ابن عباس فيها نهشل قال ابن راهويه: كان كذابًا، وقال النسائى: متروك الحديث، وفيها سلام، قال يحيى: ليس بشىء، وقال أحمد: منكر الحديث وقال البخارى والنسائى والدار قطنى: متروك الحديث، وقال ابن عدى: من حديث الهريسة.

وقال ابن سعد:

أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن أسامة بن زيد، عن صفوان بن سليم، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل بقدر فأكلت منها، فأعطيت قوة أربعين رجلاً في الجماع»[1].

والحديث له طرق متعددة، سقتها في الأصل، وهذا الطريق ذكرناه على إرساله، ووصله ابن السني في الطب، من طريق صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة.

وفي بعض طرقه: «فما أريد أن آتي النساء ساعة إلا فعلت».

قال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين:

قد آتى الله رسوله خصيصة عظمى، وهي: قلة الأكل، والقدرة على الجماع، فكان أقنع الناس في الغذاء، تقنعه العلقة، وتشبعه الجزة، وكان أقوى الناس على الوطء.

وأخرج ابن أبي حاتم:

عن مقاتل بن حيان قال: «أعطي رسول الله ﷺ قوة بضع وسبعين شابًا، فحسدته اليهود، فأنزل الله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[2] [النساء:٥٤].

وأخرج ابن جرير:

عن ابن عباس قال: كان في ظهر سليمان -عليه السلام- ماء مائة رجل، وكان له ثلاثمائة امرأة، وسبعمائة سرية[3].

وأخرج الشيخان:

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «قال سليمان بن داود -عليهما السلام-: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، - وفي لفظ: على مائة امرأة-، فطاف عليهن».

وأخرج الحاكم في المستدرك:

عن كعب قال: بلغني أنه كان لسليمان ثلاثمائة امرأة، وسبعمائة سرية[4].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٣٨٢) ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/٣٧٦) عن أبي هريرة مرفوعًا وقال: غريب من حديث صفوان تفرد به وكيع.

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٢/٣٠٩) وعزاه لابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.

(٣) أخرجه ابن جرير (٤/١٤٤) (٩٨٣٤).

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٣/٣٠٩) وعزاه للحاكم في المستدرك عن محمد بن كعب.

قلت: لم أجده في المستدرك.

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه، بلفظ:

لأطوفن الليلة على ألف امرأة، فطاف على [1]

وأخرج أحمد فى الزهد، والنسائى، والحاكم، وصححه، والبيهقى:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «إنما حبب إلى من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة»[2].

وأخرج أحمد فى الزهد:

من طريق قتادة، عن معقل قال: لم يكن شىء أعجب إلى رسول الله ﷺ من الخيل، ثم قال: اللهم اغفر للنساء[3].

وأخرج ولده فى زوائده:

عن أنس قال: قال النبى ﷺ : «جعلت قرة عينى فى الصلاة، وحبب إلى النساء والطيب، الجائع يشبع، والظمآن يروى، وأنا لا أشبع من حب الصلاة والنساء»[4].

وأخرج أبو القاسم، حمزة بن يوسف السهمى فى فضائل العباس:

عن ابن عباس قال: أعطى الله بنى عبد المطلب سبعًا: الصباحة، والفصاحة، والسماحة، والشجاعة، والعلم، والحلم، وحب النساء.

قال التيجانى[5]:

عن محمد بن كثير، كان الأوزاعى يقول: ليس حب النساء مثل حب الدنيا.

قال: ومراد الأوزاعى: ليس من حب الدنيا المذموم.

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ وهو في الصحيحين عن أبى هريرة بلفظ آخر، تقدم.

(2) أخرجه النسائى (٧/٧٤) كتاب عشرة النساء باب حب النساء (٣٩٤٩ و ٣٩٥٠). والحاكم وصححه (٢/١٦٠)، والبيهقى فى الكبرى (٧/٧٨).

(3) أخرجه أحمد (٥/٢٧) بلفظ «اللهم عقر الإبل النساء» وذكره الهيثمى فى الزوائد (٤/٢٦١) وعزاه لأحمد عن معقل بن يسار وله شاهد من حديث أنس بن مالك أخرجه النسائى (٧/٧٤) فى كتاب عشرة النساء باب حب النساء (٣٩٥١).

(4) أخرجه بمعناه عن أنس (٣/١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥).

(5) ينظر التحفة (٥٩).

أو يقال: إن الشيء قد يكون من الدنيا، ويكون حبه من الآخرة لإعانته عليها.

وقال:

عن عمر: إنه ليس في النساء سرف، ولا في تركهن عبادة، ولا زهد[1].

وقال القاضي عياض في الشفا:

النكاح؛ متفق على التمديح بكثرته، والفخر بوفوره شرعًا وعادة، فإنه دليل الكمال، وصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة، والتمادح به سيرة ماضية.

وأما في الشرع:

فسنة مأثورة حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد.

قال سهل بن عبد الله:

قد حُبِّبَ إلى سيد المرسلين، فكيف تزهد فيهن.

ونحوه لابن عيينة:

وقد كان زُهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري، كثيري النكاح، وحكى في ذلك عن علي، والحسن، وابن عمر، وغيرهم غير شيء، انتهى.

وقال الشيخ تقي الدين السبكي:

إنما حبب إليه ﷺ لينقلن بواطن الشريعة، وأخلاقه الباطنية، وآياته في حال خلوته، مما لا يشاهده غيرهن.

ونحوه لابن يونس.

وأخرج أحمد والترمذي:

عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح، والسواك، والحياء».

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول- عقب إيراده لهذا الحديث-:

الأنبياء- عليهم السلام- زيدوا في النكاح بفضل نبوتهم، وذلك أن النور إذا امتلأ الصدر منه، ففاض في العروق والبدن والنفس فأثار الشهوة وقواها.

---

(١) ينظر السابق (٦٠)

وروى عن سعيد بن المسيب:

إن النبيين- عليهم الصلاة والسلام-، يفضلون بكثرة الجماع على الناس، وذلك لما فيه من اللذة.

وقال ابن عمر:

ما أعطى أحد من الجماع بعد رسول الله ﷺ ما أعطيت[1].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أعطيت قوة أربعين رجلاً في النكاح، وأعطى المؤمن قوة عشرة»[2].

فهو بالنبوة، والمؤمن بإيمانه، والكافر له شهوة الطبيعة فقط. انتهى كلام الترمذى.

وفى شرح البخارى لحافظ العصر، أبى الفضل ابن حجر:

قالوا: إن كل من كان أتقى الله كان أشد شهوة.

وقال ثعلبة فى أماليه:

حدثنا عمر بن شبة، حدثنى أحمد بن معاوية، عن أبى زيد النحوى قال: سأل بلال بن أبى بردة، محمداً، قال: ما بال القراء أعلم الناس؟

قال: لأنهم لا يزنون.

وأخرج أبو حفص عمر بن إبراهيم الكتانى فى الجزء الرابع من فوائده:

حدثنا الحسن، عمر بن الحسن القاضى، ثنا إسماعيل بن الفضل البلخى، ثنا محمد بن حميد الرزاى، حدثنا جرير، قيل لرقية بن مقلة: ما بال القراء أكثر شىء نهمة، وأكثر شىء غلمة؟

قال:

أما النهمة: فلأنهم يصومون.

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢/١٠٦) (١٣٩٨)، (٩/١٥٣)، (٩٣٩٨).

وذكره الهيثمى فى الزوائد (٤/٢٩٦) وعزاه للطبرانى فى الأوسط والكبير عن ابن عمر وقال: رجال ثقات.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (١/١٧٨) (٥٦٧). عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

وذكره الهيثمى فى الزوائد (٤/٢٩٦) وعزاه للطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن عمرو وقال: وفيه المغيرة بن قيس وهو ضعيف.

وأما الغلمة: فلأنهم لا يزنون.

وأخرج ابن عدى فى الكامل:

عن ابن عمر، قال: إنى لأظن، قسم لى منه ما لم يقسم لأحد، إلا النبى ﷺ؛ يعنى الجماع[1].

وأخرج أحمد بسنده:

عن سلمة بن صخر الأنصارى- رضي الله عنه- قال: كنت امرأً قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيرى، فذكر قصة ظهاره[2].

وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف:

عن ابن سيرين، أن سعد بن مالك، طاف على تسع جوارٍ له فى ليلة، ثم أقام عند العاشرة، فقامت، فنام، فاستحيت أن توقظه[3].

وقال الغزالى فى الإحياء:

أنكر بعض الناس حال الصوفية.

فقال له بعض ذوى الدين: ما تنكره منهم؟

قال: يأكلون كثيراً.

قال: وأنت أيضًا إن جعت كما يجوعون؛ لأكلت كما يأكلون.

قال: ينكحون كثيراً.

قال: وأنت أيضًالو حفظت عينك وفرجك، كما يحفظون، لنكحت كما ينكحون.

وكان الجنيد يقول:

أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت.

قال: فالزوجة على التحقيق: سبب لطهارة القلب، ولذلك أمر رسول الله ﷺ كل من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه إليها أن يجامع أهله؛ لأن ذلك يدفع ذلك الوسواس عن النفس.

---

(١) تقدم. (٢) أخرجه أحمد (٤٣٦/٥).

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة (١٣٦/١) (١٥٦٤).

ولذلك: يحكى، عن ابن عمر، وكان من زهاد الصحابة، وعلمائهم، أنه كان يفطر من الصوم على الجماع، قبل الأكل، وربما جامع قبل أن يصلى المغرب، ثم يغتسل عن ذلك لتفريغ القلب لعبادة الله، وإخراج عدة الشيطان منه.

ولما كانت الشهوة أغلب على أمزجة العرب كان استكثار الصالحين منهم النكاح أشد.

وقد نكح على بن أبى طالب بعد وفاة فاطمة بسبع ليالٍ.

وكان الحسن ابنه منكاحًا، حتى نكح زيادة على مائتى امرأة.

قلت: بل أكثر من سبعمائة امرأة.

قال الغزالى:

وقد قيل: إن كثرة نكاحه أشبه به خلق رسول الله ﷺ، انتهى.

أخرج ابن عدى:

من طريق دينار عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل إذا أتى أهله احتسابًا لم يتفرقا حتى يغفر الله لهما»(1).

وقال ابن الأثير فى كتاب الصحابة:

روى خالد بن معدان عن طعمة بن أبيرق قال: كنت أمشى قدام النبى ﷺ، فسأله رجل، ما فضل من جامع أهله محتسبًا؟ قال: «غفر الله لهما ألبتة».

وأخرج البيهقى فى سننه:

عن عمر بن الخطاب، قال: والله إنى لأكره نفسى على الجماع؛ رجاء أن يخرج الله منى نسمة تسبح(2).

وأخرج ابن السنى وأبو نعيم، كلاهما فى الطب النبوى، والبيهقى فى شعب الإيمان:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يجامع أهله فى كل يوم جمعة، فإن له أجرين اثنين: أجر غسله، وأجر غسل امرأته»(3).

---

(1) أخرجه فى ترجمة: دينار بن عبد الله يقال كنيته أبو مكيس (3/112)

وقال: دينار ضعيف ذاهب.

(2) أخرجه البيهقى فى الكبرى (7/79) كتاب النكاح باب الترغيب فى النكاح.

(3) أخرجه البيهقى فى الشعب (3/98) (2991).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان:

عن أبي ذر، قال:

قلت: يا رسول الله ذهب الأغنياء بالأجر.

قال: «ألستم تصلون، وتصومون، وتجاهدون؟».

قلت: بلى، وهم يفعلون كما نفعل؛ يصلون، ويصومون، ويجاهدون، ويتصدقون، ولا نتصدق.

قال: «إن فيك صدقة كثيرة.

وإن فضل بيانك عن الأثرم تعبر عنه حاجته: صدقة.

وفي فضل بصرك على الضرير تهديه الطريق: صدقة.

وفي فضل قوتك على الضعيف تعينه: صدقة.

وفي إماطتك الأذى عن الطريق: صدقة.

وفي مباضعتك أهلك: صدقة».

قلت: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته، ويؤجر؟

قال: «أرأيت لو جعلته في غير حله كان عليك وزر؟».

قلت: نعم.

قال: «أفتحتسبون بالشر، ولا تحتسبون بالخير؟!»[1].

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان:

عن أبي ذر قال:

قال رسول الله ﷺ: «لك في جماع زوجك أجر».

قلت: كيف يكون لي أجر في شهوتي؟

قال: «أرأيت لو كان لك ولد، فأدرك، ورجوت خيره ثم مات، أكنت تحتسبه؟».

قلت: نعم.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/١٠٦) (٧٦١٩).

قال: «فأنت خلقته؟».

قلت: بل الله خلقه.

قال: «فأنت هديته؟».

قلت: بل الله هداه.

قال: «فأنت ترزقه؟»

قلت: الله يرزقه.

قال: «فكذلك فضعه في حلاله، وجنبه حرامه، فإن شاء الله أحياه، وإن شاء الله أماته، ولك أجر»[1].

وأخرج سعيد بن منصور في سننه، والبيهقي في شعب الإيمان:

عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالباءة، وينهانا عن التبتل نهيًا شديدًا»[2].

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير:

عن قتادة، قال: ذكر لنا إن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ رفضوا النساء واللحم. فقال رسول الله ﷺ: «ليس في ديني ترك النساء واللحم. وأنزل الله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ....﴾[3] الآيات. [المائدة:٨٧]».

وقال سعيد بن منصور:

حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا شرحبيل بن مسلم الخولاني أن أبا مسلم الخولاني كان يقول: تزوجوا فإن النعظ أمر محازم فأعدوا له عدة واعلموا أنه ليس بنعظ، أذل[4].

وأخرج ابن جرير في تفسيره:

عن سلام بن سابور في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة:٢٨٦].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٧/٥١٤) (١١١٧١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/١٥٨، ٢٤٥)، والطبراني في الأوسط (٥/٢٠٧) (٥٠٩٩)، وكذا البيهقي في الشعب (٤/٣٨٢) (٥٤٨٥).

(٣) أخرجه ابن جرير (٥/١٠) (١٢٣٤٦، ١٢٣٤٧).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/١٦٥) (٤٩٨) باب الترغيب في النكاح.

قال: العزبة، والغلمة[1].

وأخرج ابن عدى فى الكامل:

عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قال الغلمة.

وأخرج بن أبى حاتم فى تفسيره:

عن مكحول، فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة:٢٨٦].

قال: العزبة، والغلمة، والإنعاظ[2].

وأخرج أحمد، وأبو داود، والترمذى، وحسنه، والنسائى:

عن شكل بن حميد أنه قال: يا رسول الله، علمنى تعوذا أتعوذ به.

فقال: قل: «اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى، ومن شر بصرى، ومن شر لسانى، ومن شر قلبى، ومن شر منيى»[3].

وقال الغزالى فى الإحياء:

فما يستعيذ منه رسول الله ﷺ كيف يجوز التساهل فيه لغيره؟!

قال: وكان بعض الصالحين يكثر النكاح، حتى لا يخلو من اثنتين، وثلاث، فأنكر عليه بعض الصوفية.

فقال: هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله- تعالى- جلسة، أو وقف بين يديه موقفًا، فى معاملة، فخطر على قلبه خاطر شهوة؟

فقال: يصيبنا من ذلك كثير.

فقال: لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد لما تزوجت.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣/١٥٨- ١٥٩) (٦٥٢٦)

(٢) ذكره السيوطى فى الدر (١/٦٦٧) وعزاه لابن أبى حاتم عن مكحول.

(٣) أخرجه أحمد (٣/٤٢٩)، وأبو داود (١/٤٨٣- ٤٨٤)، كتاب الصلاة باب فى الاستعاذة (١٥٥١)، والترمذى (٥/٣٤٩٢) وقال حسن غريب، والنسائى (٨/٢٥٥، ٢٥٦) كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من شر السمع والبصر (٥٤٥٩).

وأخرج الطبرانى، وابن عدى:

عن ابن عباس قال: ما أحتلم نبى قط، وإنما الاحتلام نعت من الشيطان[١].

وأخرج ابن السنى وأبو نعيم كلاهما؛ فى الطب:

عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «عليكم بالأبكار، فإنهن أعذب أفواها، وأنتق أرحامًا، وأسخن أقبالاً، وأرضى باليسير من العمل»[٢].

قال عبد الملك بن حبيب: يعنى: عن الجماع.

وللحديث طرق فى الأصل.

وأخرج مسلم:

عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة».

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقى فى سننه:

عن طاوس، بلغ به النبى ﷺ: «لم ير للمتحابين مثل النكاح»[٣].

قال البلقينى فى التدريب:

النكاح مشروع، من عهد آدم، لم تنقطع شريعته، ومستمر فى الجنة، ولا نظير له فيما يتعبد به من العقو، وجد عقد الإيمان.

وأخرج ابن السنى، وأبو نعيم فى الطب:

عن الهذيل بن الحكم: أن النبى ﷺ قال: «إن جز الشعر يزيد فى الجماع»[٤].

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٨/٤٩)، (٨٠١٢).

(٢) لم أجده من حديث عبد الله بن عمر ولكن روى عن جابر بن عبد الله وعويم ابن ساعدة.
حديث جابر أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٧/٣٤٤) (٧٦٧٧).
حديث عويم بن ساعدة أخرجه الطبرانى فى الأوسط (١/١٤٤) (٤٥٥) والكبير (١٧/ ١٤٠) (٣٥٠).
وابن ماجه فى سننه (٣/٣١٢) (١٨٦١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣/ ٣٠٠- ٣٠١) (١٨٤٧).
والحاكم فى المستدرك (٢/ ١٦٠) وصححه وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقى (٧/٧٨) من طريق طاووس عن ابن عباس مرفوعًا. وروى مرسلاً عن طاووس أخرجه عنه البيهقى كما تقدم.

(٤) ذكره الذهبى فى الطب (١٩) بلفظ: «جز الشعر يزيد فى الجماع».

وأخرج مسلم والحاكم:

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله، وأراد أن يعود، فليتوضأ، فإنه أنشط في العود».

وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم والترمذي:

عن جابر أن رسول الله: «رأى امرأة فأعجبته، فأتى زينب، فقضى حاجته منها، ثم قال: إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة، فأعجبته، فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه».

وأخرج أحمد وأبو نعيم في الحلية:

عن أبي كبشة مولى رسول الله ﷺ قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس إذ مرت به امرأة، فقام إلى أهله، فخرج إلينا ورأسه تقطر ماء، فقلنا: يا رسول الله كأنه قد كان شيء، قال: نعم مرت بي فلانة، فوقعت في نفسي شهوة النساء فقمت إلى بعض أهلي فوضعت شهوتي فيها، وكذلك فافعلوا فإنه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال».

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، والبيهقي في شعب الإيمان:

عن عبد الله بن مسعود، قال: «خرج رسول الله ﷺ فلقي امرأة، فأعجبته فرجع إلى أم سلمة، وعندها نسوة يدفقن عجينًا، فعرفن في وجهه، فأدخلته، فقضى حاجته، فخرج، فقال: من رأى منكم امرأة، فأعجبته، فليأت أهله، فليواقعها، فإن معها مثل الذي معها»[(١)].

وأخرج ابن أبي شيبة:

عن سالم بن أبي الجعد: «أن النبي ﷺ رأى امرأة، فأتى أم سلمة، فواقعها، وقال: إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله، فإن معهن، مثل الذي معهن»[(٢)].

قال القاضي عياض في الإكمال:

قوله: «إن المرأة تقبل وتدبر في صورة شيطان»: إشارة إلى أنها تدعو إلى الهوى والفتنة بجمالها، وما جعل الله في طباع الرجل من الميل إليها، كما يدعو الشيطان بوسوسته، وإغوائه للناس.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/٤) (١٧١٩٩). عن عبد الله بن حبيب مرسلاً، البيهقي في الشعب (٣٦٧/٤) (٥٤٣٥) عن جابر بن عبد الله، (٥٤٣٦) عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/٤) (٢-١٧٢).

وقوله: «فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله»: تنبيه لدواء الداء المحرك للشهوة بإطفائه بالمواقعة، وتسكين النفس بإراقة ما تحرك من الماء.

قال: ولا تظن بمواقعة النبي ﷺ لزينب حين رأى المرأة، أنه وقع في نفسه شيء منها؛ بل هو ﷺ منزه عن الميل، ولكنه فعل ذلك لتقتدي به أمته في الفعل وتمتثل أمره بالقول.

قال: وقد يكون ﷺ عند رؤيته شخص ظاهر الحسن تذكره من عنده، فذهب فقضى حاجته منها.

وأخرج عبد الرزاق[1]، وعبد بن حميد، وابن جرير[2]، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، في تفاسيرهم:

عن طاوس في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ [النساء:٢٨].

قال: في أمر النساء.

قلت: لأنه قد يذهب عقله عندهن.

وأخرج الترمذي وحسنه، والنسائي، والبيهقي في سننه:

عن طلق بن علي، سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا دعى الرجل امرأته لحاجته، فلتجبه، وإن كانت على التنور»[3].

وقال العلماء: عَلِمَ ﷺ شدة حاجة الرجل إلى المرأة، وضرره بتخلفها عنه، فحثها على إجابته.

وأخرج البزار:

عن ابن عباس: أن امرأة قالت: يا رسول الله أخبرني ما حق الزوج على الزوجة؟

قال: «فإن حق الزوج على زوجته إن سألها نفسها، وهي على ظهر بعير، لا تمنعه نفسها»[4].

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٤).

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٢/٤) (٩١٣٧، ٩١٣٨، ٩١٣٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢/٤)، والطيالسي (١٠٩٧). و ابن حبان (٤١٦٥)، والطبراني في الكبير (٨٢٣٥-٨٢٤٠) (٨٢٤٤) (٨٢٤٨) والبيهقي (٢٩٢/٧).

(٤) أخرج البزار في كشف الأستار (١٧٧/٢) (١٤٦٤) وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه حسين بن قيس المعروف بحنش وهو ضعيف وقد وثقه حصين بن نمير وبقية رجاله ثقات (٣٠٧/٤).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان:

عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: إن امرأة أتته، فقالت: ما حق الزوج على الزوجة؟

فقال: «لا تمنعه نفسها، وإن كانت على ظهر قتب»[1].

وقال الحكيم الترمذي:

معناه: أن القوابل كانت تحمل المرأة عند ولادتها في البوادي على القتب؛ حتى تتمكن من الولادة.

فقال: لا تمنعه نفسها وإن كانت على قتب.

أي: في حال ولادتها.

وأخرج ابن أبي شيبة:

عن عمير عن خلف الأنصاري، عن أمه، قالت: بعث النبي ﷺ عليًا أيام التشريق ينادي: «إنها أيام أكل وشرب وجماع»[2].

وأخرج ابن جرير:

عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:3]، في المجامعة، والحب[3].

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم:

عن ابن عباس في قوله- تعالى-: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء:129].

قال: في الحب، والجماع[4].

---

(1) أخرجه البزار في كشف الأستار (2/180- 181) (1472) عن زيد بن أرقم.

والطبراني في الكبير (8/401) (8248) عن قيس بن طلحة عن أبيه وذكره الهيثمي في المجمع (4/311) وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط بنحوه وقال رجاله رجال الصحيح خلاف المغيرة بن مسلم وهو ثقة.

(2) أخرجه ابن أبي شهبة (3/394) (15265) عن عمر بن خلدة الأنصارية عن أمه.

(3) أخرجه ابن جرير (3/581) (8487).

(4) أخرجه ابن جرير (4/313) (10641).

وأخرج ابن المنذر:

عن ابن مسعود في قوله- تعالى-: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء:١٢٩].

قال: في الجماع[١].

وأخرج عبد بن حميد:

عن عطية العوفي في قوله - تعالى-: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء:١٢٨].

قال: في الجماع.

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره وابن جرير:

عن جابر بن زيد، قال: كانت لي امرأتان، فلقد كنت أعدل بينهما، حتى أعد القُبَل[٢].

وأخرج ابن جرير وابن المنذر:

عن ابن عباس في قوله- تعالى-: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [النساء:٣٤].

قال: لا تجامعها[٣].

وأخرج ابن أبي شيبة، والحاكم، وصححه:

عن حذيفة قال: كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم انفراج المرأة عن قبلها؟!.

ولفظ ابن أبي شيبة: «تنفرج المرأة»[٤].

وأخرج أبو داود، والحاكم، وصححه، والبيهقي، وغيرهم:

عن ابن عباس قال: كان من أمر أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا ذلك عن فعلهم، وكان هذا الحي

---

(١) ذكره السيوطي في الدر (٢/٤١٢) وعزاه لابن المنذر عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/٣٧) (١٧٥٤٤). قلت: ولم أجده في تفسير ابن جرير.

(٣) أخرجه ابن جرير (٤/٦٦) (٩٣٤٩).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٤٥٩) وصححه ووافقه الذهبي.

وابن أبي شيبة (٧/٤٥٠) (٣٧١٣٧).

من قريش يشرحون النساء شرحًا، ويتلذذون منهن مقبلات مدبرات، ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة، تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه، فسرى أمرها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله- تعالى- ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣].

يقول: مقبلات ومدبرات، بعد أن تكون فى الفرج[1].

وأخرج عبد بن حميد فى تفسيره:

عن ابن عباس فى قوله- تعالى-: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣].

قال: قائمة، وقاعدة، ومقبلة، ومدبرة، فى قبلها[2].

وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف، وابن جرير فى تفسيره:

عن مرة الهمدانى أن بعض اليهود لقى بعض المسلمين.

فقال: لتأتون وراهن- كأنه كره الإبراك- فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ...﴾ [البقرة:٢٢٣] الآية.

فرخص الله للمسلمين أن يأتوا النساء فى الفروج كيف شاءوا وأنّى شاءوا من بين أيديهن ومن خلفهن.

وأخرج ابن جرير:

من طريق سعيد بن أبى هلال، أن عبد الله بن على حدثه، أنه بلغه أن أناسًا من أصحاب النبى ﷺ جلسوا يومًا ورجل من اليهود قريب منه.

فجعل بعضهم يقول: إنى لآتى امرأتى وهى مضطجعة.

ويقول الآخر: إنى لآتيها وهى قائمة.

ويقول الآخر: إنى لآتيها وهى باركة.

فقال اليهودى: ما أنتم إلا أمثال البهائم، ولكنا إنما نأتيها على هيئة واحدة، فأنزل

---

(١) أخرجه أبو دواد (٦٥٦/١) كتاب النكاح باب فى جامع النكاح (٢١٦٤)، والحاكم فى المستدرك (١٩٥/٢) وصححه والبيهقى فى الكبرى (١٩٥/٧).

(٢) أخرجه ابن جرير بمعناه (٤٠٥/٢) (٤٣١٢، ٤٣١٣).

الله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ...﴾ [البقرة:٢٢٣] الآية(١).

وأخرج عبد بن حميد:

عن الحسن، أن اليهود كانوا قومًا حسدا، فقالوا: يا أصحاب محمد إنه والله ما لكم أن تأتوا إلا من وجه واحد، فكذبهم الله، فأنزل الله- تعالى-: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣](٢).

فخلّى بين الرجال وبين نسائهم، يتفكه الرجل من امرأته، يأتيها إن شاء من قبل قُبُلها، وإن شاء من قبل دبرها، غير أن المسلك واحد.

وأخرج البخاري، ومسلم، والترمذي:

عن جابر، قال: كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها: جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ...﴾ [البقرة:٢٢٣] الآية.

وأخرج الإمام أحمد، والدارمي في مسنديهما، والترمذي وحسنه، والبيهقي، وغيرهم:

عن أم سلمة أن الأنصار كانوا لا يحبون النساء، وكانت اليهود تقول: إنه من أحب امرأته، كان الولد أحول، فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الأنصار، فحبوهن، فأبت امرأة أن تطيع زوجها، وقالت: لن تفعل ذلك حتى آتي رسول الله ﷺ، فدخلت على أم سلمة، فذكرت لها ذلك، فحدثت أم سلمة رسول الله ﷺ، فدعا الأنصارية، فتلى عليها: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣].

قال القاضي عياض:

التحبئة: تكون على وجهين.

أحدهما: أن تضع يديها على ركبتيها وهي قائمة منتحية على هيئة الركوع.

والآخر: أن تنكب على وجهها باركة.

وأخرج عبد بن حميد: عن مجاهد في قوله- تعالى-: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢/٤٠٥) (٤٣٢٠).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (١/٤٦٨).

وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن ومثله لعبد بن حميد وابن أبي شيبة والدارمي عنه أيضًا.

الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧].

قال: الجماع[١].

وأخرج عبد بن حميد:

عن سالم بن عبد الله أنه سئل عن قوله- تعالى-: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧].

قال: هو الجماع[٢].

وأخرج عبد بن حميد:

عن ابن عمر في الآية، قال: الرفث: الجماع[٣].

وأخرج عبد بن حميد:

عن قتادة، والحسن، وعكرمة، قال: الرفث، غشيان النساء[٤].

وأخرج عبد الرزاق في المصنف، وعبد بن حميد، وابن المنذر:

عن ابن عباس، قال: الدخول، والتغشي، والإفضاء، والمباشرة، واللماس، والرفث: الجماع. غير أن الله حييٌّ كريم، يكني بما شاء عما شاء[٥].

وأخرج عبد بن حميد:

عن عمرو بن دينار في قوله: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ [البقرة:١٩٧].

قال: الرفث: الجماع، وما دونه من شأن النساء.

وأخرج عبد بن حميد:

عن عطاء في الآية، قال: الجماع، وما دونه من قول الفحش[٦].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢/١٦٨) (٢٩٣٢، ٢٩٣٣) عن مجاهد.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢/١٦٨) (٢٩٣٥) عن سالم بن عبد الله.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/١٧٩- ١٨٠) (١٣٢٣٧).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢/١٦٨) (٢٩٣١) عن قتادة.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/١٧٩) (١٣٢٣٠) وابن جرير (٢/١٦٨) (٢٩٢٨).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/١٧٩) (١٣٢٣٢، ١٣٢٣٣)، وابن جرير (٢/٢٧٤) (٣٥٨١، ٣٥٨٢).

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد:

عن ابن عباس، قال:

الرفث في الصيام: الجماع.

والرفث في الحج: الإعراب.

وكان يقول: الدخول، واللماس، والمسيس: الجماع[1].

وأخرج عبد بن حميد:

عن طاوس، قال: لا يحل للرجل الحرام الإعراب.

والإعراب: أن يقول لأمرأته: إذا أحللت أصبتك[2].

وأخرج عبد بن حميد:

عن مجاهد، قال: المباشرة في كتاب الله: الجماع[3].

وأخرج سعيد بن منصور في سننه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر:

عن سعيد بن جبير، قال: كنا في حجرة ابن عباس، ومعنا عطاء بن أبي رباح، ونفر من الموالي، وعبيد بن عمير، ونفر من العرب، فتذاكرنا اللماس، فقلت أنا وعطاء: اللمس: باليد.

وقال عبيد بن عمير:

والعرب، هو: الجماع.

فدخلت على ابن عباس، فأخبرته، فقال: غلبت الموالي، وأصابت العرب، ثم قال: إن اللمس والمباشرة: إلى الجماع، فما هو؟ ولكن الله يكني ما شاء بما شاء[4].

وأخرج عبد بن حميد:

عن مجاهد في قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢/٢٧٥- ٢٧٦) (٣٥٩٥).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢/٢٧٥) (٣٥٨٥، ٣٥٨٨، ٣٥٩٢).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢/١٧٤- ١٧٥) (٢٩٦٩، ٢٩٧١، ٢٩٧٢).

(٤) أخرجه ابن جرير (٤/١٠٤- ١٠٦) (٩٥٨٣، ٩٥٨٦، ٥٩٨٧، ٩٥٩٥، ٩٥٩٩).

وسعيد بن منصور في سننه (٤/١٢٦٢- ١٢٦٣) (٦٤٠).

في مجامعة النساء[1].

وأخرج أبو بكر بن خلف بن حيان، المعروف بوكيع في كتاب: العزيز من الأخبار:

عن ابن عباس في قوله- تعالى-: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ [التحريم: ١١].

قال: من جماعه[2].

وأخرج أبو الشيخ ابن حيان في تفسيره:

من طريق عبد العزيز بن الوزير بن الكميت الشاعر، أخبرنا أبي عن جدي، قال: سمعت جدي الكميت، يقول في قوله- تعالى-: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: ٣١].

قال: أمنين.

وأخرج عبد بن حميد:

عن مجاهد في قوله- تعالى-: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

قال: الولد[3].

وأخرج البخاري:

عن محمد بن عباد عن جعفر، أن ابن عباس قرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥].

قال: يا ابن عباس ما يثنون صدورهم؟

قال: كان الرجل يجامع امرأته، فيستحي أو يبخلان فيستحي، فنزلت: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥].

وفي لفظ، قال: كان أناس يستحيون؛ أي: يبخلون، فيفضون إلى السماء.

قال: يجامعون، فيفضون إلى السماء فنزلت فيهم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر: من طريق ابن أبي مليكة، قال: سمعت ابن عباس يقول: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣/٦٥٦) (٨٩١٨، ٨٩١٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٦/٣٧٨) وعزاه لوكيع في الغرر عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢/١٧٤) (٢٩٦٩، ٢٩٧١).

قال: كانوا لا يأتون النساء، ولا الغائط، إلا وقد تغشوا بثيابهم؛ كراهة أن يفضوا بفروجهم[1].

وأخرج الشيخ ابن حيان:

عن محمد بن كعب فى قوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود: ٥].

قال: فى ظلمة الليل، وظلمة اللحاف[2].

وأخرج سعيد بن منصور:

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال له: «إذا قدمت على أهلك فالكيس الكيس»[3].

وأخرج البخارى:

عن جابر، يقول: كنت مع رسول الله ﷺ فى غزوة، فلما قفلنا، تعجلت.

فقال: «ما تعجلك؟».

قلت: إنى حديث عهد بعرس.

قال: «فبكرا تزوجت أم ثيبًا؟».

[فقال: ثيبا].

قال: «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك».

وقال: «إذا دخلت فعليك بالكيس الكيس».

زاد ابن خزيمة:

فدخلنا حين أمسينا، فقلت للمرأة: إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أعمل عملا كيسًا.

قالت: سمعًا وطاعة، فدونك، فبت معها حتى أصبحت.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٦/٦٢٦) (١٧٩٦٥). وذكره السيوطى فى الدر (٣/٩٥٧٩ وعزاه لابن جرير وابن أبى شيبة وابن المنذر من طريق ابن أبى مليك عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير بمعناه (٢/١٧٥) (١٧٩٦٠) عن الحسن البصرى.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور ى سننه ص (١٦٨- ١٦٩) باب ما جاء فى نكاح الأبكار (٥١١).

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري:

جزم ابن حبان في صحيحه، بعد تخريج هذا الحديث بأن الكيس: الجماع، على أن المراد بقوله: الكيس الكيس: الإغراء على الجماع والحث عليه[1].

وقيل: المراد به: التأني والرفق؛ لأن في بعض طرقه:

إذا قدمت، فاعمل عملاً كيسًا.

وقيل: المراد به طلب الولد.

وبه جزم البخاري.

وقال بعض المصنفين في الباءة:

لو لم يكن في باب علم الباءة إلا حديث جابر، لكان كافيًا في متمماته كلها؛ فإنه:

أولاً: مغر بحسن البعال.

وثانيًا: مرغب في تعلم ما أغرى به المصطفى ﷺ.

وثالثًا: مضطر إلى التفطن من مادة الكيس لما تتميز به مباضعة الأكياس- وهم البشر- عن سفاد الطير، وجنس النعم، ونزو السباع، وعظال الكلاب، وضرابَ البهائم.

ورابعًا: مؤكد لإفادة ذلك، وتعليمه، وبيانه، والتنبيه له، والحث عليه.

فأصل الجماع: يكفي فيه الطبع، ودواعيه اتحاداً وكيفًا وكمًا، ولا يحتاج إلى الكيس والفطنة، إلا تحسينه المشهي لفوائده التامة، وبالتكايس تتأتى وجوهه الجيدة، فلا أقل من تنبيه الأذكياء لها، والإيماء، فلو أهمل التنبيه والإيماء إليها من أجل فطنة وذكاء؛ لأهملت وتركت مع جابر وذكائه وفطنته، انتهى.

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول:

عن مجاهد، قال: إذا جامع الرجل، فلم يسم، انطوى الجان على إحليله، فجامع معه.

وأخرج أبو يعلى:

عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جامع أحدكم أهله، فليصدقها، فإن سبقها، فلا يعجلها».

---

(١) ذكره الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٢٩).

وأخرج ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف:

عن قيس بن طلق، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جامع أحدكم أهله فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها، كما يُحبُّ أن تقضى حاجته»[1].

قال الغزالى فى الإحياء:

من آداب النكاح الذى حض رسول الله ﷺ عليها: إذا قضى الرجل وطره، فمن الأدب أن يمهل المرأة حتى تقضى أيضًا هى وطرها، فإن إنزالها قد يتأخر عنه فالقعود عنه إذ ذاك إيذاء لها.

قال: والاختلاف فى وقت الإنزال يوجب التنافر؛ مهما كان الزوج سابقًا، وإن سبقت هى لا يضر الزوج.

قال: والتوافق فى وقت الإنزال ألذ للمرأة.

وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس:

عن أنس مرفوعًا: «لا يتعل أحدكم على امرأته كما يقع البهيمة، ليكن بينهما قبل، وما هو؟ قال: القبلة، والكلام»[2].

قال الحافظ أبو الفضل العراقى: هذا حديث منكر.

وأخرج ابن عدى:

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليعجب من مداعبة الرجل زوجته،

---

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل (٦/ ١٥٠) فى ترجمة: محمد بن جابر أبى عبد الله اليمامى.

قال: ابن عدى: وهذه الأحاديث الأخر عن محمد بن جابر التى أمليتها بهذا الإسناد برويها عن قيس بن طلق محمد بن جابر هذا، وحديث مس الذكر قد شورك فيه كما ذكرنا.

قال الألبانى فى الإرواء (٧/٧٣): أخرجه ابن عدى من طريق معاوية بن يحيى وفيه لين عن عباد بن كثير الرملى قال المناوى: ضعيف أو متروك.

قال الذهبى: فى الميزان (٤/٣٤- ٣٥).

معاوية بن يحيى- وفيه لين- عن عباد بن كثير عن محمد بن جابر اليمامى عن قيس بن طلق عن النبى ﷺ قال (.... فذكر الحديث).

(٢) ذكره العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/٥٢) والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٥/٣٧٢) بلفظ: لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة

فكيتب لهما بذلك الأجر، ويجعل لهما رزقًا »[1].

وأخرج ثابت السرقسطي في الدلائل:

عن محمد بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه عن جده، أن رجلاً قال: يا رسول الله أيراكد الرجل امرأته؟

قال: «نعم إذا كان ملفجًا »[2].

قال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ ما قال وما قلت له؟ قال: « أيماطل الرجل امرأته؟ قلت: نعم إذا كان مفلسًا ».

فسره بعضهم: بالجماع؛ لأنه المقصود الأعظم للمرأة.

ومعنى الحديث: أنه إذا كان ضعيف الشهوة، تؤخره، ويداعبها، حتى تتحرك شهوته.

وأخرج ابن عدي:

عن عائشة أن رسول الله ﷺ: «كان إذا قبل بعض نسائه مص لسانها »[3].

وأخرج: عن أنس قال:

قال رسول الله ﷺ لأم عطية: «إذا خفضت فأشمي ولا تنهكي، فإنه أضوأ للوجه

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٩/١١٥).

وذكره الهندي في كنز العمال (٤٤٤٠٤) وعزاه لابن عدي عن أبي هريرة.

(٢) أي: كثير مجرى السيل.

(٣) أخرجه بمثله أبو داود في سننه (١/٧٢٦) كتاب الصيام باب الصائم يبلع الريق (٢٣٨٦) بلفظ: كان يُقبلها وهو صائم ويمص لسانها قال ابن الأعرابي: بلغني عن أبي داود أنه قال: هذا الإسناد ليس صحيح.

وذكره الزيلعي في نصب ا لراية (٤/٢٥٣) وعزاه لأبي داود عن عائشة قال: هو حديث ضعيف، قال ابن عدي: ويمص لسانها لا يقوله إلا محمد بن دينار وقد ضعفه يحيى بن معين.

وسعد بن أوس قال ابن معين فيه أيضًا: بصري ضعيف، وقال عبد الحق في أحكامه: هذا حديث لا يصح فإن ابن دينار وابن أوس لا يحتج بهما وقال ابن الأعرابي: بلغني عن أبي داود قال: هذا الحديث غير صحيح. انتهى كلام عبد الحق.

وأعلمه ابن القطان في كتابه «بمصدع» فقط وقال: وقال السعدي كان مصدع زائغًا حائداً عن الطريق- يعني في التشيع- وتعقب بأنه أخرج له مسلم في صحيحه، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية: محمد بن دينار وسعد بن أوس ومصدع ضعفاء. بمرة. اهـ.

وأحظى عند الزوج»[1].

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان:

عن أم عطية الأنصارية أن رسول الله ﷺ: «أمر جارية أن تختتن فإذا ختنتي، فلا تنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل»[2].

وأخرج ابن عدي والبيهقي:

عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «يا نساء الأنصار اختضبن غمسًا واخفضن ولا تنهكن، فإنه أحظى لأيامكن عند أزواجهن، وإياكن وكفر المنعمين»[3].

وأخرج الحاكم:

عن الضحاك بن قيس قال: كانت بالمدينة امرأة تخفض النساء، يقال لها: أم عطية، فقال لها رسول الله ﷺ: «اخفضي ولا تنهكي، فإنه أنضر للوجه، وأحظى عند الزوج»[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/٣٩٦- ٣٩٧) (٨٦٤٦) من طريق مندل عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر، به.

وقال: مندل بن علي ضعيف.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٥٢٥) وسكت عنه الذهبي والبيهقي في الكبرى (٨/٣٢٤) وقال: قال أبو زكريا يحيى بن معين: الضحاك بن قيس هذا ليس بالفهري.

أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/٢٨٦).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٦١٢) (١٠٠٦) من طريق ابن عدي وفي الباب عن: ابن عمر (١٠٠٧)، أنس (١٠٠٨)، عائشة (١٠٠٩) (١٠١٠) (١٠١١) (١٠١٢).

قال المؤلف: هذه الأحاديث لا تصح. أما حديث عمر ففيه سليمان بن عطاء وهو يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني أشياء موضوعة. قال ابن حبان لا أدري التخليط منه أو من مسلمة وأما حديث ابن عمر ففيه ابن البيلماني قال يحيى: ليس بشيء وقال ابن حبان: حدث عن أبيه بأحاديث موضوعة، وأما حديث أنس ففيه مجاهيل، وأما حديث عائشة فطريقه الأول أشهد به الحارث ابن عمران عن هشام قال الدارقطني الحارث ضعيف، وقال ابن حبان كان يضع الحديث على الثقات.

وفي الطريق الثاني صالح بن موسى قال يحيى: ليس حديثه بشيء.

قال النسائي متروك الحديث، وفي الطريق الثالث أبو أمية بن يعلى واسمه إسماعيل قال يحيى ليس حديثه بشيء وقال مرة متروك الحديث وفي الطريق الرابع عيسى بن ميمون قال ابن حبان منكر الحديث لا يحتج بروايته.

وأخرج ابن عدى:

عن عمر عن النبى ﷺ قال: «تخيروا لنطفكم وعليكم بذوات الأوراك، إنهن أنجب»[1].

وأخرج ابن الجوزى فى كتاب: أخبار عمر بن الخطاب:

العجوزة: أحد الوجهين.

وأخرج الذهبى فى فضل العلم:

عن ابن شبرمة، قال: زين الرجال النخوة، وزين النساء الشحم.

وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف:

عن ابن عمر، أنه كان إذا رأى الأمة تباع فى السوق، نظر إليها وضرب على كفلها[1].

وعن ابن عمر، أنه قال لجارية له: تجردى وأقبلى وأدبرى.

أورده النووى فى تعليقه على التنبيه.

وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول:

عن زهرة بن سعيد قال: سمعت محمد بن المنكدر يدعو، يقول: اللهم قوِّ ذكرى فإن فيه منفعة لأهلى.

وأخرج ابن جرير عن السدى قال:

كان عثمان بن مظعون، حرم النساء، كان لا يدنو من أهله، فذكرت امرأته ذلك لعائشة، فذكرت عائشة ذلك للنبى ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم، ألا إنى أنا أنام وأقوم، وأفطر وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة:87][2].

وأخرجه البيهقى فى الدلائل:

عن ابن عمر أن امرأة قالت: يا رسول الله إنى امرأة مسلمة، ومعى زوج لى فى بيتى مثل المرأة، فدعاه النبى ﷺ فقال: «ما تقول امرأتك؟».

(1) أخرجه بمثله ابن أبى شيبة فى المصنف (789/4) (20240، 20241)، والبيهقى فى الكبرى (5/ 329).

(2) أخرجه ابن جرير بمعناه (11/5) (12349) عن السدى.

فقال: والذى أكرمك، ما جف رأسى منها، فقالت امرأته: ما مرة واحدة فى الشهر؟ فدعا لهما النبى ﷺ فقال: «اللهم ألف بينهما وحبب أحدهما إلى صاحبه»[1].

وأخرج ابن عدى فى الكامل:

عن سهيل بن ذكوان أن امرأة استعدت على زوجها عند ابن الزبير.

فقالت: إنه لا يدعها فى حيض ولا فى غيره.

ففرض لها ابن الزبير أربعًا بالليل وأربعًا بالنهار.

فقال: لا يكفينى يا ابن الزبير، فتمنعنى ما أحل الله لى.

قال: إذن أسرفت[2].

وأخرج ابن سعد فى الطبقات:

عن على بن أبى طالب، قال: كفيتكم من النساء الحارقة، فما ثبتت منهن امرأة إلا أسماء بنت عميس.

قال فى النهاية: هى المرأة الضيقة الفرج.

وقيل: التى تغلبها الشهوة حتى تحرق ثيابها بعضها على بعض؛ أى تحكمها، يقول: عليكم بها.

ومنه حديثه الآخر:

وجدتها حارقة، طارقة، فائقة.

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان:

عن أبى هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فضلت المرأة على الرجل بتسعة

---

(1) أخرجه البيهقى فى الدلائل (٦/٢٢٨- ٢٢٩).

من طريق على بن أبى على عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب عن نافع عن ابن عمر، به.

وقال: قال أبو عبد الله: تفرد به على بن أبى على اللهبى وهو كثير رواية المناكير.

قلت- المصنف- قد روى يوسف به محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر ابن عبد الله معنى هذه القصة إلا أنه لم يذكر فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) ذكره بمعناه الهيثمى فى المجمع (٤/٢٩٨) وعزاه للطبرانى عن محمد بن سيرين أن أكارا لأنس ابن مالك كان يعمل على زرنوق فاستعدت عليه امرأته أنسًا أنه كان لا يدعها ليلاً ولا نهاراً فأصلح أنس بينهما فى كل يوم وليلة على ستة، وقال رجاله ثقات.

وتسعين جزءًا من اللذة، ولكن الله ألقى عليهن الحياء»[١].

وأخرج الطبراني في الأوسط:

عن ابن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جزءًا من اللذة، ولكن الله ألقى إليهن الحياء»[٢].

وأخرج ابن عساكر في تاريخه:

عن عبد الله بن بريدة، قال: ينبغي للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثًا:

ينبغي له ألا يدع المشي، فإن احتاج إليه يومًا يقدر عليه.

وينبغي له ألا يدع الأكل، فإن أمعاءه تضيق.

وينبغي له ألا يدع الجماع، فإن البئر إذا لم تنزح ذهب ماؤها.

وأخرج أبو عمر التوقاني في جزء البطيخ بسنده:

عن ابن سيرين، قال: الرفق في كل شيء حسن إلا في ثلاث:

في أكل الرمان.

وأكل البطيخ.

والجماع.

وأخرج هناد بن السري في الزهد:

عن ابن عباس في قوله- تعالى-: ﴿عُرُبًا﴾ [الواقعة:٣٧].

قال: هي الغنجة[٣].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١٤٥/٦) (٧٧٣٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٣٧/٧) (٧٣٧٨) من طريق ليث بن سعد عن يزيد بن عبد الله ابن أسامة بن الهاد عن يعقوب بن خالد عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرون.

قال الطبراني: لم يزو هذا الحديث عن ليس بن سعد إلا أبو المسيب.

(٣) الغنج له أسماء: منها: الغُنْجُ بسكون النون، والغُنُجُ بضمها، والتَّغَنُّجُ، والتَّغْنِيْجُ، والغنَاجُ.

قال في «الصحاح»: الغنج والغنج: الشَّكْل، وقد غَنَجت الجارية، وتغنجتْ فهي غنجة.

وفي «الجمهرة»: امرأة مغناج؛ مفعال من الغنج.

وفي «الأفعال» لابن القوطية: غنجت الجارية غُنْجًا: حَسُن شَكْلُها، وقد غنجت وتغنجَت؛ فهي مغناجة. =

وأخرج ابن أبى حاتم:

عن عكرمة قال: العربة، هى: الغنجة[١].

وأخرج ابن جرير:

عن زيد بن أسلم قال: العربة، هى: الحسنة الكلام[٢].

وأخرج ابن جرير:

عن تميم بن حذلم قال: العربة: الحسنة التبعل[٣].

وأخرج ابن المنذر:

عن مجاهد قال: هى الغلمة[٤].

وأخرج: عن عبد الله بن عمير، قال: هى التى تشتهى زوجها.

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه:

عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث النوفلى، أنه سئل عن العروب من النساء؟

= وفى «القاموس»: الغنج بالضم، وبضمتين؛ وكغراب: الشُكْل. والتغنج أشد من التغنج؛ ومنها: الشكل بالكسر الدله، يقال: امرأة ذات شكل، ومنها: الدل والدلال.

(١) أخرجه بمعناه ابن جرير (١١/٦٤٢) (٣٣٤٠٨، ٣٣٤٠٩، ٣٣٤١٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (١١/ ٦٤٢) (٣٣٤١٥).

(٣) أخرجه ابن جرير (١١/٦٤٢) (٣٣٤١٤).

(٤) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى. وُلِدَ بنيسابور سنة اثنتين وأربعين ومائتين للهجرة، وتوفى- على الأشهر- سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة للهجرة، وقيل غير ذلك، والمشهور- لدى الأكثر-: القول الأول.

أخذ ابن المنذر عن أبى حاتم الرازى، وبكار بن قتيبة ونحوهم من الأئمة. وأخذ عنه ابن المقرى وطبقته.

وكان إمامًا فقيهًا محدثًا ثقة، لا يتقيد بمذهب، ولا يميل لرأى بدون دليل.

ألف الكتب الكبار فى علوم الإسلام، كالتفسير والفقه وغيرهما، واحتاج لكتبه المخالف والموافق.

وكتابه فى التفسير لما يُطبع بَعْدُ، ولا يُعلم عن وجود نسخة كاملة له أى شىء، سوى ما رُؤِى منه على حاشية مخطوطة «التفسير» لابن أبى حاتم- رحمهما الله.

تنظر ترجمته فى «سير أعلام النبلاء» (١٤/٤٩٠- ٤٩٢) و «ميزان الاعتدال» (٣/٤٥٠- ٤٥١) للذهبى، و «لسان الميزان» لابن حجر (٥/٢٧، ٢٨)، ومقدمة التحقيق لكتابه «الأوسط» (١/١١- ٥١).

فقال: الخفرة المتبذلة[1] لزوجها.

وأنشد:

يُعرِبْنَ عِنْدَ بعولهنَّ إذا خَلَوا ... وإذا هُمُ خَرجُوا فهن خِفارُ

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان:

عن على، قال: قال رسول الله ﷺ: «جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها».

وأخرج البيهقى:

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها قالت:

يا رسول الله إنكم معاشر الرجال فضلتم علينا: بالجمعة، والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله».

فقال رسول الله ﷺ : «إن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله»[2].

وأخرج ابن عدى:

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائكم العفيفة الغلمة»[3].

وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس:

عن على مرفوعًا: «إن الله يحب المرأة الملقة البزغة اللبقة»[4].

---

(١) رواه البيهقى فى «شعب الإيمان (١١٥٢)، وابن حبان فى «المجروحين» (١/١٣٤، ١٣٥- ترجمة: أحمد بن داود بن عبد الغفار، وابن الجوزى فى الموضوعات (٢/١٥٢- ١٥٣)، وذكره السيوطى فى «اللآلئ المصنوعة» (٢/٧١، ٧٢).

وفى «الشعب»: وهذا حديث لا أحفظه على هذا الوجه، إلا بهذا الإسناد، وهو ضعيف بمرة».

وقال ابن حبان فى «أحمد بن داود»: «يضع الحديث، لا يحل ذكره فى الكتب، إلا على سبيل الإبانة عن أمره؛ ليتنكب حديثه» اهـ.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٢/٣٣٨)، (٧/ ٤٤٠).

وله شاهد من حديث أنس بن مالك أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٢/١٨١).

وقال: لا نعلم رواه عن ثابت إلا روح وهو بصرى مشهور.

(٣) أخرجه ابن عدى (٤/ ١٥٦).

(٤) ذكره الهندى فى الكنز (٤٥١٣٠) وعزاه للديلمى فى مسند الفردوس عن على ابن أبى طالب.

وفى القاموس:

اللبقة: الحسنة الدل؛ والدل، هو: الغنج.

وفى ربيع الأبرار للزمخشرى:

خير نسائكم: العفيفة فى فرجها، الغلمة لزوجها.

وأخرج البيهقى فى الدلائل:

عن مازن أنه قال: يا رسول الله إنى مولع بالهلوك من النساء[1].

قال ابن فارس فى المجمل:

الهلوك: الغنجة.

وقال ابن الأثير فى النهاية:

هى التى تتمايل وتتثنى عند جماعها.

وقال فى القاموس:

هى: الحسنة التبعل لزوجها، وهى أيضًا الفاجرة، المتساقطة على الرجال

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه بسنده:

عن عبد الله بن محمد، قال: راود معاوية زوجته: فاختة بنت قرظة فنخرت نخرة شهوة، ثم وضعت يدها على وجهها.

فقال: لا سوءة عليك، والله لخيركن الشخارات النخارات.

وأخرج ابن عساكر: فى ترجمة محمد بن وضاح الأندلسى أحد أئمة المالكية من طريقه قال:

سمعت سحنون يقول: سمعت أشهب يقول: أغنج النساء المدنيّات

---

(١) قال ابن الجوزى: فى الحديث: «إنى مولعٌ بالهَلُوك من النساء».

يعنى: التى تتهالك؛ أى: تتمايل حالة الجماع. اهـ.

وقال ابن الأثير: «وفى حديث مازن: إنى مولع بالخمر والهلوك من النساء» هى الفاجرة: سُمِّيتْ بذلك؛ لأنها تتهالك، أى تتمايل وتتثنى عند جماعها. وقيل: المتساقطة على الرجال. ومنه الحديث: «فتهالكت عليه فسألته» أى: سقطت عليه، ورميت بنفسى فوقه». اهـ.

انظر: «غريب الحديث» لابن الجوزى (٢/٥٠٠) ط: دار الكتب العلمية، و «النهاية فى غريب الحديث» لابن الأثير (٥/٢٧١).

قال السيوطى:

ولى فى هذا النوع تأليف يسمى: (شقائق الأترج) مشتمل على لطائف وفوائده، وبعضها يأتى فى نوع النوادر والأخبار من هذا الكتاب.

وأخرج ابن عدى، والبيهقى فى شعب الإيمان:

عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: «السباع حرام»[١].

قال ابن لهيعة: يعنى: المفاخرة بالجماع.

وأخرج ابن عدى:

عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ «نهى عن السباع»[٢].

والسباع: المباهاة فى النكاح.

وأخرج أبو يعلى، والطبرانى، والبيهقى فى البعث والنشور:

عن أبى أمامة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: هل يتناكح أهل الجنة؟

فقال: «نعم، بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع دحمًا دحمًا»[٣].

وفى لفظ: دحامًا دحامًا، لا منى ولا منية»[٤].

وأخرج الحارث بن أبى أسامة فى مسنده، وابن أبى حاتم:

عن الهيثم الطائى وسليم بن عامر، أن النبى ﷺ سئل عن البضع فى الجنة؟

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب (٣١٤/٤) (٥٢٣٣).

وقال: قال حنبل بن إسحاق: قال أبو عبد الله يعنى أحمد بن حنبل: ابن لهيعة يقول السباع يعنى المفاخرة بالجماع، وابن عدى (١٢/٤).

(٢) تقدم بمثله.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٨٨/٨) (٧٦٧٤)، (٢٠٢/٨) (٧٧٢١) وله شاهد من حديث أبى هريرة. أخرجه العقيلى فى الضعفاء الكبير (٣٣٣/٢).

وذكره الهيثمى فى المجمع (٤١٩/١٠- ٤٢٠) وعزاه للطبرانى عن أبى أمامه قال: رواها كلها الطبرانى بأسانيد ورجال بعضها وثقوا على ضعف فى بعضهم.

عزاه أيضًا للبزار عن أبى هريرة.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١١٣/٨) (٧٤٧٩).

فقال: «نعم بقبل شهى، وذكر لا يمل».

وأخرج ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة، والبزار:

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ، سئل هل يمين أهل الجنة أزواجهم؟

قال: «نعم بذكر لا يمل، وبفرج لا يخفى، وشهوة لا تنقطع»[1].

وأخرج الضياء المقدسى فى صفة الجنة:

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل أنطأ فى الجنة؟

قال: «نعم، والذى نفسى بيده دحمًا دحمًا، فإذا قام عنها، رجعت مطهرة بكرًا»[2].

وأخرج البزار، وأبو الشيخ فى العظمة، والطبرانى فى الصغير:

عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم، عادوا أبكارًا»[3].

وأخرج الترمذى والبيهقى:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يعطى المؤمن فى الجنة قوة مائة فى الجماع»[4].

---

(١) أخرجه العقيلى فى الضعفاء الكبير (٢/ ٣٣٣).

وذكره الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤٢٠) وعزاه للبزار عن أبى هريرة.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر (٥/١٠٥) وعزاه للمقدسى فى صفة الجنة عن أبى هريرة.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الصغير (١/٩١) وقال: لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به معلى بن عبد الرحمن وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٩٣٠) وقال:

قال سليمان لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به معلى قال أبو حاتم الرازى متروك وذهب ابن المرينى إلى أنه كان يضع الحديث وقال أبو زرعة ذاهب الحديث.

وذكره الهيثمى فى الزائد (١٠/ ٤٢٠) وعزاه للبزار والطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى وقال: وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطى وهو كذاب.

(٤) أخرجه بنحوه الترمذى (٤/٢٩٩) (٢٥٣٦).

وقال: صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة عن أنس إلا من حديث عمران القطان.

وابن حبان فى صحيحه (١٦/٤١٣) (٧٤٠٠)، والبزار كما فى كشف الأستار (٣٥٢٦).

وذكره الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤٢٠) وعزاه للبزار عن أنس وقال: وفيه من لم أعرفهم.

وأخرج أبو يعلى والبيهقى:

عن ابن عباس، قال: قيل يا رسول الله، نفضى إلى نسائنا فى الجنة كما نفضى إليهن فى الدنيا.

قال: «والذى نفسى محمد بيده، إن الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة إلى مائة عذراء».

وأخرج ابن أبى الدنيا، وابن حاتم:

عن ابن عباس فى قوله- تعالى-: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس:٥٥].

قال: فى افتضاض الأبكار[1].

وأخرج ابن أبى الدنيا:

عن ابن مسعود مثله[2].

وأخرج البيهقى:

عن عكرمة، والأوزاعى، مثله[3].

وأخرج الأصبهانى فى ترغيبه:

عن أبى الدرداء، قال:

ليس فى الجنة منى ولا منية[4].

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٠/٤٥٢) (٢٩١٨٨- ٢٩١٩٠).

وذكره السيوطى فى الدر (٥/٥٠٠) وزاد نسبته لابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٠/٤٥٢) (٢٩١٨٧).

وذكره السيوطى فى الدر (٥/٥٠٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبى الدنيا وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن المنذر عن ابن مسعود.

(٣) ذكره السيوطى فى الدر (٥/٥٠٠) وعزاه لعبد بن حميد عن عكرمة وقتادة.

(٤) تقدم مثله فى ص (٣٤) عن أبى أمامة.

وأخرج الطبرانى:

عن زيد بن أرقم، أن النبى ﷺ قال: «إن البول والجنابة، عرق يسيل من تحت ذوائبهم إلى أقدامهم مسك»[1].

وأخرج أبو نعيم فى الحلية:

عن سعيد بن جبير، قال: كان يقال: إن طول الرجل من أهل الجنة تسعون ميلاً، وطول المرأة ثمانون ميلاً، وجلستها حريب، وإن شهوتها لتجرى فى جسده سبعين عامًا، يجد لذتها[2].

وأخرج ابن عساكر:

عن أبى سليمان الدارانى، قال: إن فى الجنة أنهاراً على شاطئها خيام فيهن الحور، ينشىء الله خلق أحداهن إنشاءً فإذا تكامل خلقها، ضربت الملائكة عليهن الخيام، جالسة على كرسى ميل فى ميل، قد خرجت عجزتها من جوانب الكرسى، فيجىء أهل الجنة من قصورهم يتنزهون ما شاءوا، ثم يخلو كل رجل منهم بواحدة منهن.

* * *

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٥/ ١٧٨- ١٧٩) (٥٠١٠) ومثله فى الأوسط (٨/ ٣٦١) (٨٨٧٦).
وقال: لم يرو هذا الحديث عن فضيل إلا أسدُ بن موسى.
وذكره الهيثمى فى الزوائد (١٠/ ٤١٩) وعزاه للطبرانى فى الأوسط وفى الكبير بنحوه وأحمد والبزار عن زيد بن أرقم.
وقال: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة وهو ثقة.
(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٤/ ٢٨٧).

باب: اجتذاب مودات النساء

اعلم أن النساء لا تُنال إلا بموافقتهن، ولا يبلغ موافقتهن على شيء إلا بمعرفة طاعتهن، ولا ينال معرفة طاعتهن إلا الحاذق لعلم ذلك والترقي فيه والمداراة له.

ولكن النساء المجانبة للأخلاق المحمودة، ففيهن الملق، والتلوّن، وكثرة الخلاف، وقلة الطمأنينة، والكتمان، والقول بما لا ضمير له في قلوبهن، وإمضاء الأعمال على ظنونهن، ولا يستمال هواهن بالأقوال، ولا بالمودة، ولا بشيء يضبطهن، وينفذ فيهن.

فإذا كان هذا هكذا فأبعد الناس بصراً، وأقواهم حكمًا: مَنْ عرف أمورهن، ووقع على طاعتهن، ولُطف مداراتهن، واستمالة أهوائهن لحاجته، فكيف بالغبي عن ذلك، والعمى عنه؟

واعلم أن: أحب الرجال إلى النساء أجمعهم للأدب، وأحلمهم بموافقتهن.

فإن الرجل لو كان بالغًا نهاية الجمال والغنى، غير ألا يكون بأمورهن عالمًا: قلينه، ولم يحببنه.

ولو كان من الفاقة[1] والدمامة، وعدم الأخلاق المحمودة بعد أن يكون بأمورهن عالمًا وموافقتهن متأنيًا: لأحببنه، ووددنه.

ولذلك ينبغي أن يحتال الرجل في أول تمكن منه لأيره منها.

فإن اتفق إنزالها وإنزاله، فإن ذلك عطف لقلبها عليه، وأشد لتأكيد المودة بينهما، فإذا تم ذلك في أول الأمر، وكان قويًا دام ودهمًا، وتمت محبتها له، ولو أن نَذْلٌ، لئيم، ذوي في منظره، لتمكنت محبته في قلب المرأة، وهو الوجه الذي تكون به الصلة بالعطف، والموافقة واحتمال المكروه.

ومما يثبت المودة في قلب المرأة للرجل:

ألا يذكر بحضرتها امرأة أخرى بتقريظ ووصف؛ إلا أن تكون امرأة لا تصلح للرجال، فإن فعل ذلك يداخلها منه أمر شديد، وربما لم تظهره له.

---

(١) الفاقة: الفقر والعوز.

ومما يقرب الرجل من قلبها:

إن يُطرقها بالشيء بعد الشيء؛ يأتي به من غير طلب منها له، فإن ذلك يكون في نفسها، وربما عرض لها غضب لغير ما سبب؛ بل تجن.

وسبيل الرجل أيضًا إلى التحبب إلى المرأة:

أن يضرب عن مقابلة المرأة، ومقاتلتها، ويحتملها، ويداريها، فإنها تنحلُّ سريعًا.

وربما توهمت أن الرجل دنيئ، فتلزمه إياه من غير تحقيق منها، فتجفوه، وتغضب.

فينبغي أن يحتملها عليه، وألا يتعاظم، فليس يريدها لتعلوه؛ بل هو يعلوها، ويجب أن يَدُس إليها من يعرف ما في نفسها؛ ليعاملها على قدر ذلك.

واعلم أن النساء يتكلمن إذا غضبن بكلام مختلف، وربما يردن، وربما لا يردن، ويدخلهُنَّ في هذا الوجه بعض الغيرة، ولا يعلمن بما يتكلمن به، مما لهن وعليهن.

فإن كانت من المتلئة شبابًا: فيتملقها الرجل بالتقبيل لليدين، والرجلين، والتقرب إليها، ومما يقدر عليه من الأفعال.

فإذا كانت هذه الحالة من النَّصفة فليَدُس إليها من يُعلمهَا أنه يريد الاستبدال بها، والتزويج، وليقبل على غيرها بالحديث والمزاح.

فإن هي رضيت، وإلا أقبل عليها بصويحباتها، وأعلمها أن النساء يطلبنه، وأنه يأتي غيرها في ليله ونهاره.

فإن لم ترض، احتال لنفسه، والتمس غيرها.

ولا شيء أصيد لامرأة ولا أنقص لعرقها، ولا أذهب لعقلها:

من أن يحيط علمها بأن إنسانًا يحبها، وإن تمكن منها يومًا في طريق، فشكا إليها، واعترت يده رعدة[1]، ودمعت عيناه، فلو كانت في نُسُك رابعة العدوية، ومُعاذة القيسية لفسخها، وأفسد بقية دهرها.

يقول العتابي:

إذ هُنَّ في الرُّبط وفي المرادع تَلقَى إليهنَّ كبذر الزُّراع

يعني: إذا رأيته ينظر إليها، فتلك النظرة كبذر الزارع في الأرض.

---

(١) أي: رعشة.

وقال الملك لمرجان وصاحبه: أخبراني ما أحسن الأشياء موقعًا عند النساء؟

قالتا: لفظ جميل، وغنج طويل.

قال: فما الذي يكسب الحبّ في قلوبهن؟

قالتا: المداعبة قبل الجماع، والرّهز[1] قبل الفراغ.

قال: فما أنفع الأشياء في إرضائهن؟

قالتا: لزوم المضاجع، وإدمان المباضعة.

قال: فما الذي يعتريهنّ بالمحبة؟

قالتا: اجتماع الأمر اللين.

قال: فما الذي يفسد مودتهن؟

قالتا: استعمال ضد ما ذكرناه من الأحوال إليها، من إغراء الوشاة بها، وأن تهوى رجلاً آخر، فإن ذلك فيه قطع المودة.

ومن علامات ذلك:

تغير خلقها عليه؟

وامتناعها إليه.

واستعمالها الضجر في كل ما تخاطبه به.

وتلزمه العنت في سائر أعمالها.

وتنقصُ شهوتها عند الجماع.

وتضجر إذا جامعها.

وتحبُّ مفارقته سريعًا، فإذا تنحى عنها انطلق وجهها، واستبشرت بذلك.

فسبيله إذا شاهد هذه الخلال:

ألا يطمع في مودة صاحبته، وأن يُخَلّيهَا.

فإن المرأة إذا وقع في قلبها طرفٌ من هوى رجل لم تفكر أن ترتاد لزوجها بابًا؛ لقتله؛ لتريح نفسها منه.

(١) يقال: ارتهز لكذا: تحرك له واهتز ونشط.

وقال الملك لبرجان وحباحب: أخبراني ما الذي يبعث النساء على التغيير بعد شدة الحب؟

قالتا: شدة الغيرة، وفتور الكمرة.

قال: فما الذي يجرؤهن على الفساد؟

قالتا: غفلة الرجل، وكثرة الأموال.

قال: فما الذي يحملهن على الانخلاع؟

قالتا: سوء المعاشرة.

ويقال: من طلب ما عند النساء بالغلظة لا يزداد منهن إلا بعداً.

وأنشد بعضهم وهو: علقمة بن عبدة:

فإن تسئلوني في النساء فإنني ... بصيرٌ بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله ... فليس له في ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه ... وذو الشرح منا عندهن عجيب

ولأبي النّواويس الهمداني:

أصبحت عرسي غضبى ... أنا أدري لم تغضب

ليس لي مالٌ به ... ترضى ولا أير مُعضب

كلما رمت به ... نيكًا ينثني ويتقلّب

حُقٌ لي من بعد هـ ... ـذا عندها الرعناء أصلب

وليس الحفاظ إلا لمن كثر خيره، وكبر أيره، وقام ذكره، وغلظت فيشته.

يقول الشاعر:

رأيت الغواني لا يصاحبن صاحبًا ... وخلا إذا لم يرضهن الدمالك

فمن كان ذا خير وأير وصلنهُ ... ومن كان رخواً أيره فهو هالك

وإن كان منهنّ من لا يرغب إلا في الهدايا النفيسة القدر، والفوائد الجليلة الخطر.

وليس فيهن شيء من الخلال التي قدمنا ذكرها؛ لأن من يُستمال بالجزيل من المال غير

مخلص في الوداد، بل كان انقياده للفائدة، وحرصه على وفور العائدة، فليس عند هؤلاء شيء أوقع في القلوب، ولا أغفر للذنوب، ولا أستر للعيوب: من الدراهم والدنانير ولا يلتف الساق بالساق والأعناق بالأعناق إلا بالذهب والأوراق والبخور، والشاق، والملح في الأطباق.

واستعمال الغفلة بئس الخُلّة، وقلَّ من اتكل من هؤلاء على إهداء أيره إلا صار الحرُّ لغيره.

ومن طمع فيهن أن ينيك[1] الغضة البضة بغير الذهب والفضة: فقد خدع نفسه.

وفيهن من تغتفر كل عيب، وتستهين بالفاقة، والعدم من بلوغ شهوتها من النيك اللذيذ والرّهز الشديد.

قال بعض الأعراب:

قالت سليمى ليت لي بعلا يَمُنّ ... يغسل جلدي وينسيني الحزن

وحاجةٍ ليس لها عندي ثمن ... مَسْتورة قضاؤها منه ومن

قالت بنات العم يا سلمى وإن ... كان فقيراً مُعْدَمًا قالت: وإن

وقال آخر:

تقول لما ندمت كل الندم ... زُوجت شيخًا إذا مشى جشم

يدفعها بالركبتين والقدم ... ويلي على مُرد اللّحا سود اللمم

هل لك إن طلقت في راعي غنم ... متحرك الركبة معوك القدم

يرعى نهاراً فإذا أمسى ألمّ ... لاعيب فيه غير شيء من قَتَم

قالت رضيتُ فافعلوا نعم نعم

---

(١) ذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات: قال الأزهري في تهذيب اللغة: قال الليث: «النيك معروف، والفاعل، نايك، والمفعول به: منيوك ومنيك، والأنثى: منيوكة». وجاء في تاج العروس: «ناكها ينيكها نيكًا»: جامعها، وهو أصرح في الجماع، والنيّاك- كشداد-: المكثر منه، شدد للكثرة، وفي المثل، قال:

من ينك الغير ينك نياكًا

يضرب في مغالبة الغلاب.

والمنيوك والمنيك: من فعل به، وهي: منيوكة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/١٧٥) وتاج العروس (نيك) (٢٧/ ٣٨١) وانظر مادة (نيك) في اللسان والصحاح والعباب.

وقيل لرجل: إن النساء لا يقمن مع الأزواج مغتبطات إلا بكثرة الجماع.

فقال: لأجربن ذلك.

فرجع إلى امرأته.

وقال لها: إنه قد لحقتنى علّة، وقد ذكر الأطباء أنى متى جامعت خُشِىَ علىّ التلف.

فأعرضت عنه، ونقصت خدمتها له.

وقالت: أنا لا أقدر على خدمتك، فأشتر جارية للخدمة.

فلما مضى على هذا الحديث شهر.

قالت: يا ذا الرجل، قد رأيت شيئًا فى منامى، وأريد أن أهب نفسى لله تعالى، وألحق بأهلى.

فلما سمع كلامها، عرف المعنى؛ فتركها إلى الليل، وهى نائمة، فواقعها.

وأنشد قائلاً:

مــا أنا بالجلد ولا بالحـــازم

إن لم أزلْ ضـغنك بالعـجـارم[1]

ضـربًا ينسـيك تقـاضى الخـادم

ثم قال لها بعقب ذلك: متى تلحقين بأهلك، وتأخذين طلاقك؛ لتهبى نفسك لله تعالى؟

فقالت: إن المعبر دخل اليوم الدرب، فقصصت عليه رؤياى.

فقال: هذه رؤيا أحلام.

فالمرأة لا تختار على الجماع شيئًا، ولا لها رأى فى غير المباضعة.

والوصول إلى الشهوة يكون مع من

عظمت فيشته[2].

وصلبت رهزته.

---

(١) أى: الذكر القوى.

(٢) فيشته: أى رأس العضو الذكرى.

واشتدت ضمته.

وعَنُفَ إدخاله.

وبعد إنزاله.

وحلا ماؤه.

ولم يدخله خَجْلَةُ الأحداث، ولا هيبة الإناث.

وكان طيب المشاهدة.

حلو المفاكهة.

قويًا على المعاودة.

فهذه عند المرأة اللذة الكبرى، والأمنية العظمى، والأمل الطويل، والسُؤل الجليل، لا تنجح فيه حيلة نسيب، ولا هيبة رقيب.

ومنهن: من يقرب مع الصديق، وخلع ابن العم الشريف، والزوج الأثير، وآثر الخشونة على اللين، والشقاء على النعيم، والسفر على المقام، والفضيحة على الستر، والتهتك على الاتقاء، والتبذل علىّ الصيانة، والفقر على الغنى؛ لنيل هذه الشهوة حسب مرادهن، ووفق محبتهن.

وعلى قدر موافقة المجامعة، واستلذاذ النُطف، ترعى المرأة حق الزوج، والجارية حق المولى.

فإذا لم تتفق هذه الأسباب المطلوبة من الرجال: وقعت من النساء المصادمة، وظهرت المباينة، وانعقدت المشاجرة، وهتك الستر، وسفرت الوقاحة، وكثر النفاق، وتنغصت الحياة، وهجر المضجع، وادعى الطلاق، وبرزت الوجوه، وكشفت الشعور، وبدل المجامعة، وعزم على المقاطعة.

فكم من مصونة على لفحة الشموس قد هتك قناعها، وطرح خمارها.

وكم من لسان لها يهتدى إلى حجة، قاده التباعد إلى طول الاشتهار بدموع غزار، فمن هذا لا تجف عَبْرتها، وتقوم بحجتها.

فمن ناظر يستمع ذلك منها، أو راغب قد طمع فيها، وكلُ معها لا عليها.

وربما صار السلطان الناظر عنها، والموكل لتثبت حجتها، وتلقين دعواها.

بغض المرأة لآفة الشيب عند الرجل

وأعظم آفات الرجال عند النساء، وأفسدها لمودتهن، وأجلبها للبغضة منهن: الشيب، والناس مجتهدون فى تدليسه بأنواع الخضاب، وإقامات المعاذير له والاحتجاجات عنه بما يرصفونه من الأشعار الحسنة، ولا يجدى ذلك عليهم نفعًا.

قال الشاعر:

خضبت بياض الشعر أخفيه جاهداً
وهيهات ما يغنى الخضاب وينفع
بلى زاد فى عيب المشيب لأنه
يقال خضيب أشيبُ الرأس أصلع

وقال عبد الله بن المعتز:

رأت طالعًا للشيب أغفلت أمره
ولم تتعهده أكفُّ الخواضب
فقالت أشيبٌ ما أرى قلت شامةٌ
فقالت لقد شامتك عند الحبائب

وقال فى الشيب والخضاب أيضًا:

فإن يكن المشيب طرا عليه	وأدّى لى البشاشة والشباب
فإنى لا أعاتبه بشىء	أشد عليه من نتن الخضاب
رأيت الشيب والحنا عذابًا	فسلّطت العذاب على العذاب

ولعلى بن الجهم فى المشيب:

لا يرعك المشيبُ يا ابنة	عبد الله فالشيب حلية ووقار
إنما تحسن الرياض إذا	ما ضحكت فى خلالها الأنوار

وقال ابن الرومى فى المشيب، وهو من أحسن ما قيل، ويروى عبد الصمد بن المعذل:

لاح شيبى فظلت أمرح فيه	مرّح الطرف فى اللجام المحلاً
وتولى الشباب عنى فازدد	ت فى ميادين باطلى إذ تولى
إن من ساءهُ الزمان بشىء	لا حق أمره أن يتسلاً

وقال عبد الله بن المعتز:

صدت سرير وأزعمت هجري ... وصفت ضمائرها إلى الغدر

قالت كبرت وشبت قلت لها ... هذا غبار وقائع الدهر

وقال أيضًا:

يا صاحبي قد كفاك الدهر تفنيدي ... عرَّضت من لحظات الخُرَّد[1] الغيد

وأرسل الشيب في رأسي صقورته ... بزاته البيض في غرباني السود

وقال أيضًا:

أخذت من الحداثة والتصابي ... وعزاني المشيب من الشباب

وقد كان المشيب سطور حسن ... فأمحيتُ السطور من الكتاب

وقال آخر:

مات الهوى مني وضاع شبابي ... وقضيت من لذاته إطرابي

وإذا أردت تصابيًا في مجلس ... فالشيب يضحك بي مع الأصحاب

وإن ذهبت إلى إيراد ما قيل في الشيب طال بذلك الكتاب، وعاق عن بلوغ الغرض، وكذلك صفات الخضاب، إذ كان ذلك مما يتصنع به الرجال والنساء. ولو تكلفت مثل هذا لأفضى في إيراد كتاب الزينة بأسره، وفي هذا للاقتصار.

قال الهندي: الأحوال التي يحتال بها في تطرية المودة، وتجديد ما أخلق منها:

الأولى: ينبغي أن يكون الرجل بصيراً بطبائع النساء، فهمًا بما يلوح منهن لستدل على ما في نفوسهن.

والثانية: هو المبالغة في المعرفة بوجوه النكاح.

والثالثة: صبره على ما يحتجن إليه من الجماع.

والرابعة: تلافي ما فسد منهن.

والخامسة: إبقاء المودة وحفظها.

---

(١) أي: الأبكار.

قال: والتدبير فى المجامعة يكون من دفع الأعضاء ووضعها، واستعمالها فيما يستعمل به يكون على وجهين:

أحدهما: على حركة.

والآخر: على سكون.

فأما أعمل الحركة فعلى وجهين:

أحدهما : علوى. والآخر: سفلى.

فأما العلوى: فالمعانقة، والتقبيل، والتعضيض ، والرّهز.

والسفلى: فالولع بالفرج، وجسّ ما حوله، وكذلك السُّرة.

وأما السكون: فهو من أجل علم وأشرفه، وأدقه، وأغضه، ولضنهم به، وإشفاقهم من أن يصل إليه غير مستحق له. ما لم يودعوه كتابًا، ونحن نذكره فى كتاب (الأسرار) إن شاء الله.

وإذ قد ذكرنا الأحوال المكسبة لمودات النساء، وشرحنا الأسباب فى فسادها، فلنذكر الآن الأدوية التى إذا استعملها الرجل، وجامع امرأة اشتاقت إليه، ولم تصبر عنه، فأقواها فعلاً هذا الدواء.

الأدوية الناجمة

وهو أن: يأخذ من بصل العُنْصل بصلة تكون طرية، فيشقها قطعًا، ويجعلها فى سُكرُجة، ويصب عليها دهن زنبق خالص، ويطرح عليها وزن نصف درهم سيطرج، ومن جوف العفْص المتآكل شيئًا يسيرًا، وينقع ذلك فى الدهن أسبوعًا، فإذا أراد الجماع طلى به ذكره فإن المرأة تطالبه بالمعاودة لجماعها.

آخر: يؤخذ سكبينج، وجرى، ومقل اليهود، وسَنا محرّق، وشيح أرمنى، وبذور رازيانج مُحَرَّق، وكعب الخنزير محرق، وزرنيخ محرّق يدق ذلك كله، ويعجن وزن مثال منه بماء الرازيانج رقيقًا، ويطلى به الإحليل، ويترك حتى يجف، ويجامع، فإنه يفعل ما وصفناه.

دواء آخر: يؤخذ دار صيني، ودار فلفل[١]، وزنجبيل[٢] صيني، من كل واحد جزء، فلفل[٣] أسود نصف درهم، يدق، وينخل ويبل بالماء، ويطلى به رأس العضو إلى نصف منه، ويجامع.

آخر: صمغ أنجداث، يعجن بعسل، ويطلى به الذكر.

آخر مثله: تأخذ مُرًّا، فتسحقه بلبن امرأة، ويطلى به الذكر وقت الجماع.

وإذا أردت ألا تمنعك المرأة من المجامعة: فخذ قحف سلحفاة، واسحقه، ولُتَّهُ فى الماء الذى تتوضأ منه.

ومما يحبب الرجل إلى المرأة: أن تأخذ لحم الشُقراق فتمسح به ذكرك، وتجامع، وكذلك

(١) هو كالأصابع فى الشكل، وهو أول ثمرة الفلفل. وهو حار يابس. يقوى على الجماع. ويعين على الهضم، ويطرد الرياح من المعدة والأمعاء، ويزيد الأمراض الباردة فى الباءة.

(٢) الزنجبيل: نبات من الفصيلة الزنجبارية، له عروق غلاظ تضرب فى الأرض حريفة الطعم، ومنه أنواع تستخدم فى الطب، وفى تحليل الزنجبيل ظهر أن جذوره تحتوى على أصماغ، وراتنجات دهنية، ونشأ، وزيت طيار يعطيه الرائحة العطرة التى تنبعث منه، وراتنج زيتى غير طيار هو «الجنجرين» الذى يعطيه الطعم اللاذع. وبهذا يملك خصائص مقوية، ومطهرة، ومضادة للحفر، وللحمى. وماؤه المقطر كان يعتبر من الأدوية الجيدة لأمراض العين.

يستعمل الزنجبيل فى الطب الحديث لتوسيع الأوعية الدموية، وزيادة العرق، والشعور بالدفء، وتلطيف الحرارة، ويستخدم فى الطبخ مع الحساء والمخللات والفطائر أو لطيب نكهة الطعام، وتحلية بعض المشروبات. ينظر قاموس الغذاء (٢٦١).

(٣) الفلفل نبات من الفصيلة الفلفلية، من نباتات البلاد الحارة يستعمل مسحوق ثماره فى الطعام، وللفلفل أنواع كثيرة، لكل منها مزايا خاصة إلى جانب الخصائص العامة.

الفلفل الحلو ويسمى «البيمنتو» أو «فلفل جاميكا» وهو من الثمار غير الطازجة والمجففة لنبات «بيمنتا ديويكا»، وهى شجرة صغيرة موطنها الأصلى جزر الهند الغربية، وبعض مناطق أمريكا الوسطى والجنوبية، وهى معمرة، أزهارها بيض مخضرة، وثمارها أرجوانية، وحين تنضج تفقد عطرها، ولذا تجمع وهى خضر وتجفف لعدة أيام، فتتجعد وتزداد رائحتها، ويتحول لونها إلى بنى محمر غامق.

يستعمل الفلفل الحلو بهاراً للطعام- وحده أو مختلطًا بغيره، ويستخرج منه زيت يستعمل فى العطور، ولتطييب الطعام. ويستخرج من أوراقه زيت قليل الجودة يغش به «روم الغار» وتصنع من خشبة مقابض المظلات والعصى.

الفلفل الأسود: هو ثمرة نبات متسلق أصله فى الهند والملايو، ويزرع الآن فى كثير من المناطق الحارة. ينظر قاموس الغذاء (٢٦١).

دم اللقلق، ومرارة الذئب[١]، ومرارة الدب، وكذلك الزيت والشيرج مخلطين.

قالوا: من مسح ذكره بمرارة شاة؛ لم تُردْ المرأة غيره، ولم تطع سواه، وكذلك مرارة دجاجة سوداء، وكذلك ذئبة، وزنبق محرَّق مذاب ببول بغل حتى يصير مثل المرهم.

ومن أخذ مرارة الذئب، وأذابها بالعسل، وبالماء، وطلى بها إحليله وجامع، أحبته تلك المرأة.

وكذلك مرارة الكبش السمين.

وكذلك مرارة الْقُنْذاف، إذا خلطته بدهن سوسن.

فى الخواص:

قالوا: من أخذ مخاليب الديك[٢] المصرى فعلقها عليه، أحبه النساء.

ويكون الديك مما يعتلف القمح والحبوب لا ما يعتلف العذرة.

ومن أخذ فراخ الشفانين فأخرج قلوبها وحفظها عنده، لم تزل امرأته تحبه ما دامت تلك القلوب معه من غير أن يعلمها به.

ومن جعل تحت فص خاتمه ذَنَب سُلحفاة، ولبسه لم يجامع امرأة إلا أحبته.

---

(١) جمع ذئب، والذئب: يهمز ولا يهمز، وأصله الهمزة، والأنثى ذئبة وجمع القلة أذؤب وجمع الكثرة ذئاب وذؤبان ويسمى الخاطف والسيد والسرجان وذؤالة والعلمس والسلق والأنثى سلقة والسمسام وكنيته أبو مذقة؛ لأن لونه كذلك، قال الشاعر:

حتى إذا جن الظلام واختلط ... جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط؟

ومن كناه الشهيرة أبو جعده. ومن أوصافه الغبش وهو لون كلون الرماد يقال ذئب أغبش وذئبة غبشاء.

ينظر: حياة الحيوان (١/ ٣٢٥).

(٢) الديك: ذكر الدجاج وجمع ديوك وديكة وتصغيره دويك وكنيته أبو حسان وأبو حماد وأبو سليمان وأبو عقبة وأبو مدلج وأبو المنذر وأبو نبهان وأبو يقظان وأبو براثلى، والبراثل الذى يرتفع من ريش الطائر فى عنقه وينفشه الديك للقتال، وقيل: إنه للديك ويسمى الأنيس والمؤانس، ومن شأنه أنه لا يحنو على ولده ولا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة وذلك أنه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله، وفيه من الخصال الحميدة أنه يسوى بين دجاجة ولا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادراً وأعظم ما فيه من العجائب معرفة الأوقات الليلية فيقسط أصواته عليها تقسيطاً إلا يكاد يغادر منه شيئًا سواء طال أو قصر ويوالى صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك.

ينظر: حياة الحيوان (١/ ٣١١).

وإن أخذ من ورد الغبيراء، فشممه للمرأة ساعة تنزل، لم تصبر عنه.

وإن أخذ ورد الغبيراء، فعجنه بماء صُلبه، وأمرّه على المرأة التي يريدها تبعته وأطاعته.

وإن شد في طرف مقنعة المرأة دودة حمراء وهي لا تعلم اغتلمت، وطلبت الجماع ولم تصبر عنه.

* * *

باب: السفارة والرسل

قالوا: كان فيما بين إدريس ونوح- عليهما السلام- بطنان من ولد آدم- عليه السلام- أحدهما: يسكن السهل، والآخر: يسكن الجبل، وكان رجال الجبال صباحًا، وفي نسائهم دمامة، وكان رجال السهل دمامًا، ونساؤهم صباحًا، فتمثَّل إبليس في صورة غلام، وكان ذلك أول ما وضع القيادة في بني آدم، وآجر نفسه رجلاً من أهل السهل، فجعل يخدمه، واتخذ مزماراً، ونفخ فيه بصوت لم يسمع الناس مثله، فبلغ ذلك من حوله، فاجتمعوا إليه حتى جعلوه عيداً، وظهرت الفاحشة فيهم، وتبرَّجت النساء للرجال. فنزل رجل من أهل الجبل، فرأى جمال النساء، فرجع إلى أصحابه، وأخبرهم بما شاهد؛ فنزلوا إليهم، وهو قول الله- تعالى-: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

قال الهندي: إذا أراد الرجل أن يرسل المرأة رسولاً، فلتكن المرأة جامعة تسع خصال.

منها: أن تكون كتومة، وتكون خلاية مكارة، وأن يكون عملها كله من ست خصال:

أما متعبدة، أو غسالة ثياب، أو بائعة طيب، أو بزازة، أو قابلة، أو حاضنة.

وإذا بعثها، فليطمعها في شيء، ينيلها إياه، فإنه أنجح لحاجته.

فإذا أنجحت فليزدها، وليكن رسالته إليها بعد فراغ رجال أهل الدار من غذائهم، وفراغ النساء من حديثهم، وحوائجهم، وليكن معها لُطفٌ من طيب، وريحان، ولتبلغ عنه أرق ما تقدر عليه من الكلام، وتخبر أن نفسه في يديها، وأنه إن لم ينلها هلك، وما شاكل هذا وأشبهه.

وقال عمر بن أبي ربيعة[1] من قصيدة:

فأتتها طبَّةٌ عالمة تخ	لط الجد مراراً باللعب
ترفع الصوت إذا لانت لها	وتراخى عن ثورات الغضب

(١) هو: عمر بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة، القرشي، شاعر، ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب فسمي باسمه، وغزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات فيها غرقًا سنة (٩٣هـ).

وسمع رجل هذين البيتين، وكان من أهل المدينة.

فقال: فداك أبي وأمي، الناس في طلب قوادة مثل هذه، منذ قتل عثمان بن عفان ﷺ ليُوَلُّوتَها أمرهم، وما يقدرون عليها.

وقال بزرجمهر: يحتاج الرسول أن يكون فطنًا ذهنًا، حسن العبارة، ومن لم يتطلف للرسول بما له لم يبلغ مراده في أحواله.

* * *

باب: قواعد النكاح

العاشق يصور نفسه فى طلب معشوقه بالصورة التى يكبرها المعشوق، أو الصورة التى يكبرانها جميعًا.

فإذا صَوَّر نفسه فى قلب صاحبه بإحدى هذه الصور دامت محبَّةُ صاحبه له.

فلذلك قال الهندى: إنه ينبغى أن يتجمل الرجل عند المرأة بأحسن هيئة، ويتطيب بكل ما يمكنه، ولا يوحشها بمطالبة الجماع فى أول مجلس، بل يُبْسطُها بكل ما يجد إليه سبيلاً، ويستعمل معها من المزاح واللعب ما لَطُفَ عندها، وكَثُر به سرورها، ويحذر مباشرتها، وهو محزوم الوسط، أو معقد شعر الرأس واللحية، بل يسرحهما ويطيب جسده، ورأسه، ولحيته، ويمكنها من جسده لتعمل ما شاءت، وجميع الأخلاق التى تحبها النساء من الرجال.

فإن التعمل لها والتخلق بها من آداب الباءة، ونحن نذكره فى آخر الباب إن شاء الله.

فأما ما أشار به هذا الحكيم من ترك مباشرة المرأة لها فى أول لقائه لها، فكان من عادة نساء العرب فى ليلة بنائها وعُرْسها أن تمنع زوجها من افتضاضها أشد المنع، فإن تم ذلك لها.

قالوا: باتت بَلَيْلَةِ حُرَّةٍ، وكان ذلك مدحًا لها، وإن قهرها زوجها.

قالوا: باتت بليلة شيناء، وكان ذلك عندهم ذمًا.

قال النابغة[1]:

شُمُس مَوانِعُ كل ليلة حُرَّةٍ	يُخلِفنَ ظن العاجز المغيار

وقال أبو السَّنْدِي فيمن باتت بليلة شيناء:

طيبوها ولم أطيِّبُ عَمْداً	ربَّ منع ألذُّ من إعطاء
بت فى درعها وباتت ضجيعى	فى نضير وليلة شيناء

---

(١) هو: النابغة الذبيانى: زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى الغطفانى، شاعر جاهلى، من أهل الحجاز، توفى نحو (١٨ ق. هـ).

يعنى بالنضير: تطاير الدم، وهو ما على الجسد من دم عذراتها.

وكانوا إذا طيبوا المرأة منعوا الرجل من التطيب ليشمَّ رائحة طيبها.

وأما ما وصى به من استعمال الطيب، فإن أول ما يتفقده المتناكحان من أنفسهما طيب روائحهما، وهو كمال مروءتهما، وبه يغتفر ما سواه.

فينبغى أن يتعاهد المواضع التى تبدو منها الروائح المكروهة كالنكهة[1]، والجناح[2]، والسُّغل[3]، وغير هذه المواضع التى فى بعض الناس.

وكذلك قال بعضهم: لابنته يوصيها قبل أن يهديها إلى زوجها بليلة، احذرى مواضع أنفه.

وقال لأخرى: استكثرى من الماء؛ حتى يكون جلدك ريح كشىء ممطور[4].

وقالوا: أطيب الطيب الماء، وأجمل الجمال الكحل.

وليس فى سائر الروائح الثلاث، أثقل وأبغض إلى إنسان من رائحة متغيرة.

وكذلك المواشط[5] يطعمون العروس والقينات العُنَّاب، واللبن؛ لأنهم يزفونها سحرًا، فيخفن أن يجد الرجل من فيها[6] خُلوفًا[7].

وجامع رجل امرأة ظريفة كان يتعشقها، فلما كلمها شمت من فيه رائحة متغيرة، فكتبت إليه تقول هذين البيتين:

تالله يا أخى إن فـــاكـــا ... قـد غـمتنى فـولنى قـفـاكـا
وإذا غـدوت فـاتخـذ مـسـواكـا ... إنى أراك مـاضـغًـا خـراكـا

وقال الهيثم بن عدى[8]: إنه قد صح عند أهل التجربة أن أكل السُّعد[9]، والأشنان؛

---

(١) رائحة الفم. (٢) اليد.

(٣) الكتف. (٤) الممطور: المكان الذى يمطر ساعة ويكفى أخرى.

(٥) جمع ماشطة، وهى التى تقوم بتزيين النساء. (٦) فيها: أى فمها.

(٧) خلوفًا: أى رائحة غير طيبة.

(٨) الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلى الطائى البحرتى الكوفى، أبو عبد الرحمن، مؤرخ، عالم بالأدب والنسب.

(٩) السعد: نبات من فصيلة السُّعْديّات يشبه النجيليات بساقه وأوراقه، منه نوع ينتج بصلا صالحًا للأكل والسعديات فصيلة من وحيدات الفلقة تشمل عددًا كبيرًا من النباتات التى تنمو عادة فى الأماكن الرطبة.

ينقى رأس المعدة، ويشد اللثة، ويطيب النكهة.

وإن من استفّ من الزنجبيل اليابس، واللبان الخالص أذهبا عنه الخلوف، وما هو أشد من الخلوف.

وعن الحكيم العرُضى أنه قال لطبيبه: يا فلان إن صديقًا ، متى تحركت الريح فى بطنه أخرجها ـ وإن كان فى مجلس حشمه، ويريد بذلك التمالح، فنحن منه فى اثنتين إما الصبر على ما يجيء منه، أو توقيفه عليه.

قال: يستف كل يوم مثقالين سُعْد، فإنه يدبغ جوفه، فلا يكون للريح التى تخرج منه نتن.

وأنشدنى فى السُّعد لمحمد بن عبد الله بن العلاء كاتب زهير:

ليس الخــوف آفةٌ وفـــــساد	كـصنيع الأرياح فى الأمـعــاء
إن للهنـد فى التطيب ســـراً	وعــــلاجًـــا يفـــوق كل دواء

* * *

باب: آداب المحادثة والقبل

أما ما ذكره الهندى من استعمال المحادثة والمزح

حُكى عن سقراط: أنه قال: «الجماع بغير مؤانسة من الجفاء، هذا كما قيل: لأنه يجب أن يكون بين الإنسان الناطق، وبين ما هو غير ناطق من الحيوان فاضلةٌ، وأن يتجمل بالزينة التى فضله الله بها فى وقت النكاح ليتميز بها عن البهائم، وينفرد عنها ويباينها فى انهماكها عليه، وتهجمها فى فعله، فلو لم يكن فى المحادثة والمزاح إلا هذه الفضيلة؛ لوجب استعمالها، فكيف وهما يزيلان الحشمة ويبسطان بشرة الوجه، ويوطئان الأنس، وينفيان الانقباض، وفيها ما هو أجلُّ من ذلك، وهو أن الإنسان إذ مد يده لمن يريد الدنو منه، وهو مخاطب له، وذاك مستمع منه كان أنقص لحيائه فى نفسه، وأنفى للخجل عن صاحبه، لاشتغال تفكره بفهم ما يورده عليه من الخطاب، ولأنه غير مخلى مع فكره، فيتوفر على تأمل ما يُدعَى إليه، والتفقد لما يراد منه، فيستحى لذلك، ويخجل، وهذا أمر ليس بالصغير الفائدة.

فأما استعمال ذلك بعد قضاء الوطر[1]، فهو النهاية القصوى فى الظرف؛ لأن السكوت بعقب ذلك مما يخجل، ويميت النشاط، وفيه دليل على النَّدم، وليس من الخُلق الجميل، والأدب الشريف: أن يرى المعشوق عاشقه نادمًا على ما ناله منه، فإذا كان كذلك على ما وصفنا ينبغى للعاقل أن يعود إلى ما كان فيه من المفاكهة والملق، والاستبشار؛ لأن ذلك أكمل للأدب، وأدل على ظرفه، وأنبل لفعله، فإن زاد فى الثانى على ما كان عليه، أولاً كان أزيد لفضله، وأتم لفتوته».

قال الشاعر:

استرحنا من الخجل وفرغنا من العمل
ذهبت حشمة الغزال من الجمش والقبل

---

(١) أى: الغرض.

والشاهد بصحة قولنا: إن الذين تكلموا فى الحيوان زعموا أن للحمام[1] فى سفاده خُلُقًا شريفة، يشرف بها على الإنسان، لأنه لا يعتريه فى الوقت الذى يعترى أنكح الناس من الفتور، وبه من المرح والفرح، وضربه لجناحه، وارتفاعه بصدره، وكسحه بذنبه، مما يفوق فى ذلك للإنسان الذى شهوته أقوى وأدوم، وهو بما فيه من القوة المميزة أقدر على التخلق لما يزيده من الأخلاق المستحسنة، فليس يجد من نال الغاية القصوى فى التصنع والتعزل، وإذا فرغ يركبه الفتور، والكسل، وزوال النشاط والمرح، وأقوى فى الحال التى يريد أن يكون فيها الإنسان.

على أنا إذا جمعنا خصال الإنسان كلها فى قوام الشهوة، وقوته على التَصنُّع لما يشاء، والتكليف لما يجب كانت دون قوة الحمام.

قالوا: فهذه فضيلة لا تنكر، ومزية لا تجحد، فإظهار السرور والمرح بعد قضاء الوطر ليزول الفتور، والانخذال يحشمان الخلّ ويخجلانه من أفخر تأدب، وأوفى طرب، وليس كل المعانى يجوز له الكلام فيه، ولا كل ملق يجوز له استعماله، فإن مسامرة المحبوب بالوصف، والإطراء مباين للأدب.

وكذلك قيل: ليس من الظرف امتهان الحبيب بالوصف.

وقال الحكماء: نعوذ بالله من عدو يسرى، وجليس يغرى، وصديق يطرى.

والأجمل: أن يحصل مكان استحسان المدح التفدية للشىء المستحسن، فإن ذلك ينوب عن المدح، ويوفى عليه معًا بالتفدية.

فأما الكلام فى حال الجماع: فقد استعمله الناس فى قديم الدهر، وحديثه.

فأما ما جاء عن القدماء

فحكى أن حُبَّى المدنية قالت لابنتها قبل أن تهديها إلى زوجها: إنى أوصيك بوصية إن قبلتيها سعدت، ونعمت بذلك.

انظرى إن هو مد يده إليك: فانخرى، وارهزى، وأظهرى له استرخاء وفتوراً.

---

(١) الحمام: قال الجوهرى هو عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقمارى وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى؛ لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس لا للتأنيث، وعند العامة أنها الدواجن فقط، الواحدة حمامة.

ينظر: حياة الحيوان (١/ ٢٣٣).

فإن قبض على شيء من بدنك، أو جارحة من جوارحك: فارفعى صوتك بالنخير مداً، وتنفسى الصعداء، ورقّى جماليق أجفانك.

فإن أولج عليك: فأكثرى اللفظ، وغربى، وأظهرى غنجاً، وحركة، وعاطيه من تحته رهزاً موافقاً لرهزه، ثم خذى يده اليسرى فأدخلى حرفها بين أليتيك، وضعى رأس أصبعه على باب استك ثم تحفزى وتحركى، ثم أعيدى النخير والشهيق.

فإذا أحسست بإفضائه: فاضبطيه، وعاطيه الرّهز من أسفل بنخير وزفير.

حتى إذا هو خرّج أيره فى خلال رهزك: فخذيه بيدك اليسرى، ثم أولجيه، وأظهرى من الكلام الفاحش المهيّج للباءة، ما يدعو لك قوة الانعاظ.

فإن دخل عليك يوماً وهو مغموم: فتلقيه فى غلالة طيبة، لا يغيبَ عنه بها جارحة من جسدك، ثم اعتنقيه والزميه، وقبليه، وأكثرى النخير.

فإن هش إليك: فأدخلى يدك من كمه، وأقبضى على ذكره، واعصريه، والويه، وخذى يده، فأدخليها من كمك، وضعيها على صدرك وبطنك، ثم جريها بين أليتيك.

فإن أنعظ، إلا بادرى الفراش، واستلقى على ظهرك، واكشفى بطنك وظهرك، وأبرزى له عجيزتك، واضربى بيدك مرة على حرك[1]، ومرة على ردفك، فإنه لا يملك نفسه عند ذلك، ولا يهوى سوى مخالطتك.

وعليك يا بنية بالماء: فتنظفى به، وبالغى فى الاستنظاف.

وتعهدى مواضع أنفه وعيناه، فلا يشمن منك إلا طيباً، ولا ترى عيناه إلا موتقاً.

فإذا أولج أيره[2] عليك: فأكثرى من اللفظ الفاحش، وقولى بين إضعاف لفظك:

يا دائى، يا حياتى.

يا دوائى يا شفائى.

يا سرورى يا حبيبى.

يا طبيبى، يا شهوتى.

يا فرحتى، يا غاية رجائى.

---

(١) حرك: الحرّ هو الفرج.

(٢) الأير: هو العضو الذكرى.

ركبه، غيبه، أولجه، شرّجه.

أخرجه، اعفجه، خرّقه، لبّقه.

مزقه، ريّقه، احرقهُ.

واويلاه، واجحراه.

أولجه، قتلتنى.

ثم انخرى، وازفرى، وازحميه بعجزك.

فإن هو امسك لن الرهز فارهزى.

فإن خرج أيره: فخذيه بيدك وقُفّى باب حرك وأدخليه.

فإنه يظن ذلك منك على سبيل المجون.

فإن تباطأ عن تربيق ذكره: فخذى من فمك ريقًا فضعيه عليه.

ثم خذى رأسه بيدك اليسرى: فادلكى به باب استك ساعة، ثم أولجيه، وأزحميه بعجزك كله حتى يلج عن آخره فى إستك.

فإن هو قال لك فى خلال إتيانه لك: أين هو منك؟

فقولى: فى الاست ولا أخرجه ولو حبست.

فإن أعاد القول، وقال: أين هو؟

فقولى: فى الغار.

فإن قال: ماذا يعمل؟

فقولى: يخاصم الجار.

فإذا قرب إنزاله: فأكثرى النخير.

ثم قولى: صبه فى اللبة، اسكبه فى الشقبة، غيبه فى الركبة، صبه فى الشرج، ففيه الشفاء والفرج.

فإذا أنزل فتطامنى قليلاً، وهو فوقك، حتى تنبطحى على وجهك، ولا تدعيه يقوم عن واحد، وأرهزى تحته رويداً رويداً، كما وصفت لك ولا تخليه عن القيام عن أقل من ثلاثة أو أربعة، فإنك تذهبين بذلك لبه ، وتجلبين قلبه.

ثم أتت بعلها، وقالت له: إني قد ذللت لك المركب، وسهلت لك المطلب، فاقبل وصيتي تحمد غبّ موعظتي.

قال: مري بما شئت.

قالت: إذا خلوت بأهلك، فخذ فيما أردت الجِماع الصُلب، والرهز[1] القوى، وثاوره مثاورة الأسد فريسته.

فإذا صرعتها، فعوّل بالخمش، والقرص، وعض الشفتين.

ثم شلْ برجليها على عاتقيك.

ثم أدخل يديك من تحت بطنها حتى تجمعها من تحت إبطها، واقبض على منكبيها بأطراف أصابعك.

ثم ارفع باطن ركبتيها بباطن منكبيك.

ثم ضع رأس ذكرك بين شفريها.

واجعل لسانك في فيها.

ثم ادلك الشفرين دلكًا رقيقًا.

ثم أولجه حتى يغيب عن آخره.

فإذا قضيت فألصق العانة[2] بشفريها.

واستعمل في خلال ذلك النخير لتزيدها بذلك شبقًا، وغلمةً.

وأحد الرهز من فوق، وترهزك من أسفل على الإيقاع.

ولا تفتر حتى تصبه في حرّها، ثم تنعظ ثانيًا، ثم كذلك ثالثًا قبل القيام.

ثم قوما جميعًا فتنظفا بالماء.

وهذا الكلام، هو من كلام القدماء وأهل البدو.

وأما المحدثون، وأهل الحضر: فإنهم استطابوا أيضًا الكلام في حال الجماع واستحسنوا المراجعات منه فأتوا به مسجوعًا متفقًا.

---

(١) الرهز: هي الحركة المتواصلة من إيلاج وإخراج الذكر من وإلى الفرج.

(٢) العانة: الشعر النابت في أسفل البطن حول الفرج، والجمع: عون.

فمن ذلك

يقول الرجل للجارية: أين هو؟

فتقول: فى بطنى.

فيقول: ماذا يصنع.

فتقول: يندف قطنى.

ويقول لها: أين هو؟

فتقول: فى سرتى.

فيقول: إيش يعمل؟

فتقول الجارية: يصفف طرّتى.

ويقول الرجل: أين هو؟

فتقول: فى كركرتى.

فيقول: إيش يعمل؟

فتقول: يحاسب أكرتى.

ويقول الرجل: أين هو؟

فتقول: فى الخواصر.

فيقول: ما يعمل؟

فتقول: يعبّى قواصر.

وكل إنسان يمكنه أن يولد بحسب ما يحضره من الكلام، والباعث على ذلك إنما هو إفراط الشهوة، وأنه لا تكاد النفس تبلغ آخر غرضها منه.

فأما القبل

فقالوا: إنها دواعى الشهوة والنشاط، وسبب الانتشار والإنعاظ، ومنبهات الأيور من الرّقدات، ومهيجات الإناث، والذكور للحركات؛ لاسيما إذا خلط الرجل بين كل قبلتين عضة، وقرصة ضعيفة، واستعمل المص، والمشادة، والنخير، والمعانقة، فهناك تأججت الغلمتان، وتفقت الشهوتان، والتقى حلق البطان.

ولذلك أقام الظرفاء القبل مقام الاستئذان، واستدلوا بالطاعة فيه على حسن الانقياد، والمتابعة، وهذا موضوع على أصل صحيح، وذلك أن السبب فى شغف الناس بالقبل؛ إنما هو لسكون النفس إلى من تحبه وتهواه، وتعلم أن قد أطاع.

ولذلك قالوا: البوس رسول الزب[1] إلى الحرّ.

وقالوا: القبلة إنما هى عدة للجماع وسبب له، وأس من أساس البناء.

وقال أبو الحسن المدائني: التقبيل بزاق الجماع.

وكان يقال: إن المعافجة تقبيل الرجال.

ومما يدل على أن القبل عنوان الموافقة

قول أبى يعقوب الخزيمى:

يا من إليه المبتهل	ومن عليه المتكل
سددت يا نفس الهوى	على بواب الحيل
ما كان ما أمكنتنى من	أجل بعد أجل
إلا كظل طلعت	عليه شمس فارتحل
فخذ ودعنى من عسى	وسوف يومًا ولعل
هل بقيت من حشمةٍ	بعد اعتناق وقبل

قال: وليس التقبيل إلا للإنسان والحمام، فإن الحمام يستعمل التقبيل، والمص، والرشف، وإدخال الفم فى جوف الفم، وذلك هو التطاعم.

قال الشاعر:

لم أعطها بيدى إذ بتُّ أرشفها	إلا تطاعم عصر الجيد بالجيد
كما تطاعم فى خضراء ناعمة	مطوقان لصاحا بعد تغريد

وذكر الحمام لا يدعه إلا عند الهرم.

وقد شبه عبد الله بن المعتز القبل بنقر العصافير[2].

---

(1) من أسماء الذكر.

(2) مفردها عصفور، والعصفور: بضم العين، وحكى ابن رشيق فى كتاب الغرائب والشذوذ عصفور =

فقال وأجاد وأحسن:

وكم عناق لنا وكم قبل ... مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة ... من النواطير يانع الرطب

وروى أحمد بن محمد الكاتب:

قال الأصمعي: كل جماع ولا قُبل فيه فهو خداج.

قال هلال:

الخداج: الناقص الاستقامة.

من قولهم: خدجت الناقة: إذا وضعت ولدها لغير تمام.

وروى علي بن الحسين الكاتب قال: حدثنا جعفر بن قدامة.

قال: قال الجاحظ: أربعة أشياء ممسوخة:

أكل الأرز البارد.

والبوس على النقاب.

والغناء من وراء الستارة.

والجماع في الماء.

قالوا: وأحسن الشفاه وأشدها تهيجًا للجماع وموافقًا له: ما دق الأعلى منها، واحمرت، ونظفت، وكان في الأسفل منها بعض الغلظ، وإذا عُصر عليها اخضرت؛ لأن القبلة لهذه الشفة أحلى وأعذب.

وقالوا: إن ألذ القبل: قبلة ينال منها لسان الرجل فم المرأة، ولسان المرأة فم الرجل، وذلك إذا كنت الجارية نقية الفم، طيبة النكهة، فإنها تدخل لسانها فم الرجل، وذلك إدخال يصيب ريقها، وحرارة لسانها لسان الرجل فينحدر ذلك الريق، وتلك الحرارة والتسخين إلى

= بالفتح والأنثى عصفورة، قال الشاعر:

كعصفورة في كف طفل يسومها ... حياض الزدى والطفل يلهو ويلعب

وكنيته أبو الصعود وأبو محرز وأبو مزاحم وأبو يعقوب، قال حمزة: سمي عصفوراً؛ لأنه عصى وفرّ وهو أنواع منها ما يطرب بصوته ويعجب بصوته وحسنه، والعصفور الصرار وهو الذي يجيب إذا دعى من الصيرورة وعصفور الجنة وهو الخطاف. ينظر: حياة الحيوان (٢/ ١٤٠).

ذكر الرجل وإلى فرج المرأة؛ فيثير ذلك شبقهما وغلمتهما، ويقوى شهوتهما ونهمتهما فى الجماع، فيزدادوا بها صفاء وحسنًا.

وقيل: إن ذلك الريق والحرارة ينجعان فى الجسم، ويزيدان منه؛ كزيادة الزرع والمزروع فى الأرض الزكية، إذا روى من الماء العذب بعد عطشه.

وقال آخر: إن المنفعة فى التقام لسان المرأة، وشدة مصه إياه، وعضه عليه، لأنه يصيب لسان الفتى نداوة وحرارة؛ فتنحدر تلك النداوة والحرارة، من ساعته إلى أيره، وتنتفع المرأة بهذا الصنع كانتفاع الرجل.

وقد يبلغ من شدة كلف الرجل بالنساء وعشقه لهن: أن تدعوه لفرط الرغبة، وشدة الشبق، أو غلبة الحرص، وأن لا يرضى التقبيل دون أن يأخذ لسانها فى فمه، ويمص ريقها، وربما أدخل لسانه فى حرها، وذلك لا يكون إلا من غلمة شديدة مفرطة.

وخبرٌ شيخ من جله الكتاب؛ قال: سمعت شيخًا من أبناء الدعوة، وهو يقول لمنصور بن زياد: هل أدخلت لسانك فى حرٍّ قط؟

قال: نعم والله لقد أدخلت.

قلت: فما كان طعمه؟

قال: إلى الملوحة.

قلت: صدقت، فما شبّهت رائحته؟

قال: لم أعرض لذلك.

قلت: لأنك لم تستعمل الغزل، ريحه ريح البهار، إلا أن النساء كالدراهم فيه الجدد والزيف، ولهذا الشأن جهابذة يعرفون منه ما لا يعرف جهابذة الدراهم بالانتقاد.

قال إبراهيم ابن يسار

سمعت أبا شعيب الدلال يقول: كان جرير بن رمضان يأمرنى بإدخال اللسان فى الحر، فكانت للعزبة وقلة التجربة أتقزز من ذلك، فلما كان بعد، فعلته، فعلمت أنه كان بالله ورسوله أعرف منى.

قال إبراهيم: فلم أسمع كلامًا قط أعجب منه، ولم أعرف.

قال ابن شاهين لرجل: بلغنى أنك ربما أدخلت لسانك فى الحر، فلست أسألك عن

طعمه إنما اسألك عن رائحته.

وقد زعم بعض الناس أن ريحه: ريح البُهار.

وقالوا: إن الحرَّ مثل الفم، وربما كانت رائحته من قِبَل شراب طيب، أو من فاكهة، قد أكله صاحبه، فإذا لم يكن ذلك، فطيب سلامة من الخلوف.

وكذلك الحر: فربما كانت المرأة استنفرت بأشياء فيها أخلاط العطر فيوافق للرجل تلك الحال منها.

وذكر بعض النخاسين: أنهم ربما قبلوا الجارية فى استها، فذكرت ذلك لإسحاق بن إبراهيم الموصلى، كالمنكر لذلك.

فضحك وقال: ما الذى أنكرت من هذا؟ والله إنى لأقبل الجارية حتى أصحو على ردفها، فإن كان المجون والدعابة فى الجارية فإنه يذهل قلب مولاها حتى يحمله الشبق وشدة الشغف بها أن يدخل لسانه فى حرها واستها، وهذا مما لا ينكر.

وحدث محمد بن فارس النخاس، ببغداد، قال: استعرضت جارية لانية، خرجت من القصر، فجعلت أمرُّ يدى على عجيزتها.

فقالت: كم من فم سيد مطاع قد وقع على الكوة التى تحت يدك، فضحكت تعجبًا من مجونها.

فقالت: ما الذى يضحكك؟ فوالله لئن ملكتنى لأجعلنَّ ردفى لك فراشًا، فأعجبنى ما رأيت من مجونها؛ فأشتريتها.

قلت: فهل أجبت دعوتها؟

قال: والذى خلقنى، فإنه الله، لقد كنت أنبطح أقبل أليتيها حتى تضجر، فإن تمكنت قبّلتُ استاه، ولقد كنت ربما أدخلت لسانى فيه.

* * *

فصل
ما يختار النساء من أخلاق الرجال

الذى يهوى النساء من أخلاق الرجال: أن يكون الرجل شجاعًا سخيًا صدوقًا، حلو المنطق، بصيرًا بالهزل، مزاحا، وفيًا بالوعد، حليمًا محتملاً لما يرد عليه من تلونهن، وذعارتهن، وأن يكون نظيف الثياب، حسن الخلقة ليس فى جسده عيب، وأن يكون كثير الإخوان معينًا على الحاجة، غير متبرم، ولا ضيق الصدر، وأن يكون متجنبًا من معاشرة الأوضاع، والسُّفل من لا خير فيه، بل لمن يشاكله فيما تقدم من الوصف.

ومن دواعى المودة منهن: أن يكون الرجل نظيف اليدين، نظيف الرجلين، نظيف الثياب، رحب الذراع، كثير المال، قبُولاً للمودة، وجامعًا للأدب والفطنة، عالمًا بما يوافقهن، عارفًا بأمورهن.

فإن الرجل لو كان بالغًا فى جمال وجهه ومحمود أخلاقه، ومرضى أحواله لم يحظ عند النساء إلا بعد معرفته بأمورهن وإن كان بخلاف ما تقدم من الوصف فى الجمال، وكان بأحوالهن عالمًا ولموافقتهن متأتيًا، أحببنه وهوينه.

وست خصال يحمدها النساء من الرجال: منها ثلاثة أصلية، ومنها ثلاثة مكتسبة:

فالأصلية: حسن العقل، والخلقة، والجمال، والخطر، وأن يكون طيب الذِكر.

والمكتسب: بالأدب، والصناعة، والعلم بالشعر، والغنى، والمرتبة، والنظافة، وقراءة الكتب.

وقيل لبُرجان وحباحب: أى الرجال أحب إلى النساء؟

قالتا: ذو المتاع الطويل، والبدن الرطب، والضمّ الشديد، والعمل العتيد.

والذى يكرهه النساء من الرجال: أن يكون غيورًا، مسرفًا فى ذلك، بخيلاً، غضوبًا سليطًا جبانًا، كفورًا للنعمة، متضرعًا عند طلب الحاجة، حتى إذا بلغها أعرض عن صاحبها، وأن يكون قليل الرحمة، خفيف العقل، قليل التأنى، دنس الثياب، أكولاً، فقيرًا.

فإن هذه الخصال، أو بعضها إذا كانت فى رجل أبغضته النساء.

باب: آداب المفترش

الذى يستحب من الأفعال

أن يخفى نظره، ولا يحدق نحو الفاعل.

وأن يكون مواصلاً للخلاعة والمجون والمزح.

ولذلك قال الأول:

ويعجبنى منك عند الخلاط حياة الكلام وموت النظر

إن شخوص النظر يحدث للمنظور إليه حياء؛ لاسيما وهو فى حال الجماع؛ الذى الحياء منه يتركب فى الطبع، ولهذه العلة أبعد الفُرشِ من أماكن خلواتهم.

أيضًا: فإن الإنسان فى وقت الجماع يكون وجهه فى غاية القباحة، فلا يؤثر أن يراه خِله على تلك الصورة، فربما دعاه ذلك إلى مقته.

أيضًا: فإن من عادة المرأة أن تغمض عينيها فى وقت الجماع وإنزالها، وهى الحالة المطلوبة، والرجل يحب ذلك لأنه الغاية التى إياها يقصد، ولها يدأب.

وإنما كلام المجامع عند الباءة، وهو كمال المسرة، وتمام المروءة؛ لأن كل حاسة من حواس الفاعل تكون مشغولة بلذة:

فالعين: بلذة النظر.

والفم: بلذة الرشف.

والأنف: بلذة الطيب.

فيحتاج أن تكون الأذن: أيضًا متمتعة بألفاظ المحبوب؛ لاسيما إذا كان ذلك الكلام مما يخلب القلب، فإنه ينضاف الفكر إلى استماع الحواس بألفاظه التذاذاً، بحسن معناه، فتتكامل اللذة.

فإن الملتذ يريد أن يجد اللذات المتفرقة فى شخص واحد؛ ليتم باجتماعهما صورة واحدة شريفة.

قال الشاعر:

وفي أربع مني حلت منك أربع
فما أنا أدري أيها هاج لي ذكري

أوجهك في عيني أم الريق في فمي
أم النطق في سمعي أم الحب في صدري

وروى عن الزبير بن بكار قال:

حدثني ابن أبي اسرائيل المكي، وكان يتنخس.

قال:

قال لي علي بن موسي الرّضا- ﷺ-: انظر لي جارية جميلة كاملة ألتمس منها الولد.

قال: فجعلت أتنوّق له، وأختار إلى أن جئته بجارية، بمائتي دينار، ثم أتيته.

فقلت: كيف رأيت الجارية أعزك الله؟

قال: إنها الفارهة إلا أن فيها عيبًا.

قلت: وما هو؟

قال: لا تغير.

قال الزبير: وكانت عندنا بالحجاز جارية، عرفت بأنها ترى مجامعتها شغفًا به، وتكمله بما يعين الشهوة، فبلغت ضعف ثمنها على وجهها.

والمرأة إذا كانت عاقلة مجربة: لاعبت الرجل وداعبته، وناغته، ورقصته، وغنته، وأرضعته؛ حتى ينام وهو شبعان ريّان مسرور، فيسرى ذلك السرور في عروقه كما يسرى الهم. ألا ترى الملوك تنام على الغناء والضرب بالعود؛ ليسرى ذلك السرور في عروقها ويغيب في صدورها. ويرى أن ذلك من عمارة الأبدان والترويح عن الأذهان.

ولذلك قال الشيباني: حين انتحل غلس الملوك، وسماع مدخنة تعللنا حتى نؤت تناوم العجم، يعني ملوك فارس.

وكان النعمان بن المنذر: لا ينام إلا على سماع وهو ملك من ملوك العرب.

وأفخر آداب الباءة وأسنى آداب المفترش: ما ألزمته رَمْلة ابنة الزبير بن العوام

نفسها، فإنها بلغت من الظرف فى ذلك مبلغًا لا أحد يزيد عليه، ولا لها نظير فيه، فلو ضُرب بها المثل فى ذلك لكانت تستحق ذلك.

إنه قيل لها: مالك أهزل ما تكونين إذا كان زوجك شاهداً؟

قالت: إن الحرة لا تباضع زوجها بذلك؛ لأنها لا تأمن قرقَرَة البطن.

وحدث الحسن بن على بن يونس الكاتب: قال أحسست يومًا فى بطنى بريح، وأنا مع جارية أعشقها، ونحن فى منزل لصديق لنا، يقال له أحمد بن المثنى، وكان مخرجه قريبًا من مجلسه.

قال: فقمت إلى المخرج، وعلمت أنى إن أخرجت تلك الريح، سمعت الجارية، وصرت عندها فضيحة.

قال: فتركت المقعدة، وفزعت إلى الله، وأخلصت فى الدعاء فكشف ما وجدت.

وهذا الخبر وما تقدمه؛ يدلنا على قباحة هذه الحال، وتبعث على اجتناب مثلها مع الخلّ فى حال العشق، والتوقى من ذلكِ عند المضاجعة.

على أن فيثاغورس قال: إنه متى أراد الإنسان أن يذهب ما بقلبه من العشق، فليضجع عشيقته بجانبه، فإنه إذا شم رائحة الفسا سلاها من ساعته، فإذا كان ذلك كذلك، فليس فى آداب الباءة خلّةٌ أشرف من الاحتراس مما يؤدى إلى مصارمة الأصدقاء، ومجابهة الأوداء.

وقد قسمنا اللذة فى هذا الباب المتقدم وبعضه هاهنا، لأنه لا يجب على المساكين جميعًا تفقده من أنفسهم، والشاهد بذلك خبر رملة ابنة الزبير وخبر يونس الكاتب، وكل ما تفعله المرأة من الأفعال التى يشتهيها الرجل منها فهو من الأدب وحقوق الظرف.

وقال بعضهم: إذا نكحت المرأة، فأعطيتها ما تشتهيه منك ولم تعطك ما تشتهيه منها؛ ففراقها أمثل من إمساكها.

ووطئ عبد الله بن معمر، امرأته عاتكة بنت طلحة بن عبد الله، وكان منها نخير، وزفير، وشهيق، وغطيط قوى، فسئلتْ عن ذلك؟

فقالت: إذا لم تكن الجارية نخارة، فليعتقد زوجها إنما خالط حمارة.

وقد يوجد فى جوارى الهند من تجتلب بالغطيط، والنطيط شهوات الرجال، وربما تغاشت الواحدة، وتمددت فيتوهم الرجل أنها ربوخ.

حكى: أن ابن داجة تزوج بجارية، وكان ابن داجة هذا إذا جامع حَمْحَم مثل حمحمة الفرس، فلم ترض له الجارية بعادتها من تكلف النخير والغطيط، حتى تشبهت بالرّبوخ، فحظيت عنده، فنم عليه بعض الحسّاد.

فقال: قال ابن داجة فى كلمة له:

وتكلمنى وتنخــر عند وهزى وتحكى عن مــوسّــمــة ربوخ

قال: وسمعت امرأة لعاتكة بنت طلحة، وعمر بن عبد الله يجامعها وهو زوجها، ولهما نخير وغطيط لم يسمع بمثله.

فقالت لها فى ذلك.

فقالت: إن الدواب لا تحب الشرب إلا على الصفير.

وقيل لحبّى المدنية: ما الذى يستحب من المرأة عند الخلوة؟

قالت: أن يسمع لفرجها صرير، ولحلقها غطيط، ولخياشيمها نخير.

وروى النقاش: عن محمد بن شيخان.

قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق بإسناد له، قال: سمعت رجلاً سأل القاسم بن محمد بن أبى بكر عن النخير فى الجماع؟

قال: إذا خليا، فليصنعا ما شاءا.

وروى: أن سعيد بن المسيب، كان نخراً.

فقال: أما النخير فلا، ولكن يأخذ فى حمحمة كحمحمة الفرس.

وكان مالك بن أنس يقول: النخير سفه، أعاقب عليه، ولا بأس به عند المجامعة.

وروى عمر بن قيس المكى: أن امرأة جاءت إلى عطاء بن أبى رباح.

فقالت: إن زوجى يأمرنى أن أنخر عند الجماع.

قال: أطيعى زوجك.

وعن النقاش: قال: حدثنا محمد بن يحيى البرماى.

قال: أتت امرأة عبد الله بن عباس.

فقالت: إن زوجى أمرنى بالنخير عند الجماع.

فقال: أطيعي زوجك.

وروى عن بعضهم أنه قال: إني لأجامع امرأتي فيعرف ذلك جيراني.

وقال هرقط الهندي: ينبغي للمرأة أن تكون شفتاها في حال المجامعة، كأنها تتلمظ شيئًا، ولتكن حفرة عند الدفع بالذكر، مستقبلة تلتقي الدفعتان في حالة واحدة، ولا تحفر من تحته حفرًا شديدًا؛ فإذا أراد الرجل إخراج الذكر من فرجها، فلتضمه ضمًا شديدًا، ولا تمكنه من سرعة إخراجه.

وحدّث عبد الملك بن صالح الهاشمي قال:

بينما عيسى بن موسى قد خلا بنفسه مفكرًا، وكان قد استكثر من النساء حتى انقطع، إذ مرت به جارية كأنها جان، فتحركت نفسه، وخاف أن لا يجد له قوة، ثم طمع ف يالقوة لطول الترك، واجتماع الماء فلما صارعها، وجلس منها ذلك المجلس، خطر على باله: إن عجز كيف يكون حاله، فلما ذكره فتر، فأقبل كالمخاطب لقلبه.

فقال: إنك لتجلسني هذا المجلس، وتحملني على هذا المركب ثم تخذلني، وتغشيني بمثل هذا الذل، فلا والله لولا حيرة الخجل ما أستعمل ما لا يُقبل، وذلك أنه لما حصل في تلك الحال رأى أبلغ الحيل في توهيمها أن العجز لم يكن إلا من قبلها أن يقول لها: تعرِّضين لي وأنت ثِقلة ثم لا تستهدفين لسيدك، ولا تعينى على نفسك، حتى كأنك عند عبد يشبهك، أو سوقة لا يقدر على ملكك، فلو كنت من بنات ملوك العجم أو من بنات ملوك العرب لألفاك سيدك على أجود صنعة وأحسن طاعة.

وأنشأ يقول:

النفس تطمع والأسباب عاجزة   والنفس تهلك بين العجز والطمع

ويستحب من المرأة: الغنج.

وقد أكثر الواصفون جودة الحسن بالغنج والدلال.

وذكر عن حبى المدنيَّة أنها قالت:

الغنج: ما كثر فيه النخير، وطال في خلاله التنفس والزفير.

وقالت الفارعة- وكانت من أجمل النساء: لكل شيء أسٌ، وأس الجماع: الغنج.

قالوا: وإذا ظفرت بجارية مملوكة، أو حرَّة لا غنج عندها، فعلمها الغنج.

وهو أن ترش عليها الماء البارد على غفلة منها، وتنخسها بإبرة أو شوكة وهى غافلة، فإنها تنخر وتزفر، فأدمن ذلك عليها مراراً من حيث لا تعلم، فإنها تتطبع على الغنج.

وقيل لحبى المدنية: إن النساء قد أحدثن شيئًا.

قالت: وما هو؟

قيل: النخير.

قالت: والله لقد نخرت نخرةً تحت رجل، فنفر منها ثلاثة آلاف بعير من إبل الصدقة، وكانت فى المربد، فمرَّت على وجهها، وذلك فى زمان عثمان بن عفان، فما تلاقوا بها إلى الآن.

وقيل للمدائنى: بأى شىء تستميل المرأة الرجل، فيكون لها أشهى؟

قال: إذا كانت المرأة شابة، ولها فى الجماع نهمة، فإنها تستميل الرجال بالمواتاة، وبحب صادق، ومودة، ومحبة، واجتهاد، وتأخذ نفسها فى متابعته؛ حتى ترى منه الأثرة والحب على الأم والأب، وكل حميم وقريب.

فإذا كانت المرأة كَهْلة فإنها تستميله بأنواع المطاعم، والتحف، والأشربة، والظرف، والتجمل، والتقرب، باللطف، وما تقدر عليه من القول.

وقالت الفارسية: تحتاج من أرادت أن تظفر بلذة الجماع إلى:

التنظيف، والتبرقش.

ومعالجة الرجال، ومفاكهتهم، ومداعبتهم.

والخضوع فى القول، ورخامة المنطق.

والنظر بالأحداق بالطرف مرة، ومسارقة مرة.

والتبسم فى وجوههم، وعرض نفسها عليهم.

والاستئناس بهم، بحديث يشغل القلب، ويهيجه.

وأن لا تزال رُكبها محلوقًا منظفًا.

وذوائبها مقضبة مرجَّلةً.

وثيابها مصبغة.

ولجسدها ولوجهها غاسلة.

ولشعرها إن كان فيه لحاجتها لاقطة.

وأن تستعمل المرتك في كل يوم بالماء البارد، فإنه رأس الطيب.

وإذا أردت الجماع:

فلتبدأ بغسل رأسها، وتطيبه بالدهن الطيب من اللخالخ الفاضحة الرائحة.

وتستعمل السواك، والخلال.

ثم تمضغ ما يطيب به الفم.

ثم تستعمل الكحل فإنه داع لتهييج الجماع.

وقال أبو عمرو بن العلاء:

أنكح ضرار بن عمرو ابنته من سعيد بن زرارة فلما أهداها إليه.

قال لها: يا بنية أمسكي عليه الفضلتين.

قالت: وما الفضلتان؟

قال: فضل الكلام، وفضل الغلمة.

وحدث بعضهم فقال: الرفق في كل شيء حسن، إلا في أكل الرمان.، والبطيخ، والجماع.

وحدَّث محمد بن العباس بإسناد له قال:

كان عمر بن الخطاب يكره أن يقعد الرجل في مقعد المرأة حتى تبرد.

وإذ قد ذكرنا جملاً من آداب الباءة واختصرنا ما أمكن جمعه من كلام العلماء، وأخبار الظرفاء، فنلذكر الآن الأدوية التي تمنع الرياح أن تخرج في حالة النوم، وتستعمل عند الحاجة إلى ذلك.

وهي: بذر الكرفس الرومي، والنَّبطي، والأنيسون، وبذر الرَّازيانج اليابس، وبذر الشبت، يؤخذ من أيها كان: وزن درهم واحد، ويسحق ويشرب قبل النوم فإنه يمنع ما ذكرنا ووصفنا.

---

(١) الرمان: شجر مثمر من الفصيلة الآسية يؤكل حبه واحدته رمانة.

(٢) البطيخ: نبات عشبي حولي متمدد، ومنه أصناف كثيرة وهو مرطب، ملين، يطفئ الظمأ، يدر البول، يفيد المصابين بالرثية (الروماتيزم)، يحفظ من التيفوئيد. والإكثار منه يسبب عسر الهضم والأفضل أن يؤكل بين الوجبات وليس بعد الطعام مباشرة. ينظر: قاموس الغذاء ص (٧٢).

باب: ما يقوى على الباءة

الأسباب التى يكون بها الضعف عن الباءة إذا زالت عن الاعتدال هى التى يكون منها القوة عليه إذا اعتدلت، والقوة تكون إذا كان المنى حاراً رطبًا بقدر معتدل ولأن تولد المنى، فإنما هو فى الأنثيين، فإنه إذا كان مزاجهما يابسًا، فإن مقدار المنى وضعف صاحبها عن الباءة لقلته ولأنه بارد جامد ليست له حركة، فإنه ينبغى أن يكون غائراً فى قعر أوعيته فلا يدرُ ولا يجرى إلى ما يلى ظاهر البدن من تلك الأوعية، ودليل حرارة الأنثيين: شدة الشبق، وأن يكون الرجل منجبًا أكثر أولاده ذكورة، وسرعة نبات الشعر على العانة، وكثرته وغلظه، ومتى اجتمعت فى الانثيين حرارة ويبوسة كان المنى غليظًا، وكان الرجل كثير الشبق سريع الاحتلام كثير شعر البشرة إلى الفخذين، وكان صاحبه مسرعًا إلى الجماع إلا أنه ينقطع سريعًا، وإن حمل على نفسه وأضرُ به.

وإن اجتمعت مع الحرارة رطوبة: كان الشعر أكثر، والمنى أغزر، وهذا الصبر على الجماع من صاحب المزاج الحار اليابس وضرره أقل، وصاحب هذه الصفة ربما ضرُه الامتناع منه.

وإن اجتمعت فى الأنثيين رطوبة مع البرد: كان الشعر فى العانة رقيقًا يسيراً بطىء النبات، وكان صاحبه بطئ الإدراك بطئ الشبق، وكان أكثر أولاده إناثًا. وإن اجتمع برد مع يبس. كان صاحب هذا المزاج مثل حال من غلب على أنثييه البرد والرطوبة إلا أن المنى يكون أغلظ، وأقل هذه مزاجات الأنثيين.

فالأسباب التى تقوى على الباءة من الأطعمة والأشربة والأدوية على صنفين:

أحدهما: ما يزيد فى مقدار المنى ويحتاج إليها إذا نقص.

والآخر: ما يُسَخنه ويدره ويحتاج إليه إذا قصرت حرارته عن أن يدره حتى يبرزه من قعر أوعيته إلى ما يلى ظاهر البدن، وإذا كان ذلك كذلك، فقد بان أن الأشياء التى تقطع عن الباءة على صنفين:

منها: ما ينقص منها من المنى ويفنيه.

ومنها: ما يبرده ويخمده، فليس ينبغى لمن احتاج إلى زيادة من الباءة أن يقتصر على

معرفة ما يزيده فيه دون معرفة ما ينقص منه؛ لأنه إن لم يعرف ما ينقص منه لم يقدر أن يجتنب وليس الإنسان إلى استعمال ما ينفعه فى باب من الأبواب بأحوج منه إلى تجنب ما يضره فى ذلك الباب، لاسيما إذا كان الشىء مما يستعمله الناس فى المطاعم والمشارب.

وقد قال بعض الحكماء: الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع، فالمنفعة فى الأطعمة التى تولد المنى وتكثره هى ما اجتمعت فيه ثلاث خصال:

أن يكون كثير الغذاء.

وأن يكون فيما يزيده باحثًا.

وأن يكون جوهره ملائمًا للمنى.

وذلك أن المنى كثير الفضول؛ أعنى جوهره من نفس الغذاء لم يتولد منه ما يكثر المنى، وطبيعة المنى مركبة من ريح ورطوبة مختلطين كالرغوة، ويدل على ذلك بياضة واجتماعه حين يخرج، وانحلاله إذا لبث حاراً، وبياضه عند تفشى الريح الممازجة لتلك الرطوبة ، كالرغوة تراها بيضاء مجتمعة وتولدها من رطوبة تخالط ريحًا، فإذا لبثت حتى ينفش الريح ذهب ذلك البياض بالإجماع، فرجعت الرطوبة إلى الرقة والانحلال، ولولا تولد المنى من رطوبة من نفس الغذاء المستحكم ومن ريح وجب أن يكون الطعام الذى يكثر المنى كثير الغذاء مولداً للرياح وكلما كان الشىء أقرب إلى الشىء طبيعة كان تولده منها أسهل وأسرع، فلذلك وجب أن يكون الطعام الذى يولد المنى ملائمًا فى جوهره لطبيعة المنى.

ومن عرف أن الأطعمة تولد المنى، فهو قادر أن يؤلف بين طعامين أو أكثر، إن كان كل واحد منهما لا يبلغ أن يولد المنى.

مثال ذلك: من علم أن الباقلى[1] كثير الرياح، مولد للغذاء الذى إلى البرد ما هو، فقد علم أنه قد اجتمعت فيه خلتان من الخلال الثلاث التى بها يكون الطعام مولداً للمنى وعدم جملة واحدة، وذلك كثير الغذاء، مولد للرياح من جهة هاتين الخلتين يذهب مذهب ما يكثر المنى إلا أنه ليس بحار، فهو من هذا الوجه غير ملائم لجوهر المنى، فيحتاج الأكل له أن يدخل عليه ما يكسبه حرارة بقدر ما يحتاج إليه ليكون ملائمًا لطبيعة المنى.

والذى يعلم أن الطبيعة التى فى الدار فلفل، والزنجبيل، والشقاقل حارة، وليس فيها ما يولد المنى ويقوى على الباءة.

(١) الباقلاء: يطلق على الفول فى مصر وغيرها اسم «البَاقِلّى، الباقلاَّ، الباقلاء». وعرف أيضًا فى القديم باسم «الجِرْجِر» و «الحُمَّى»، وهو نبات من الفصيلة القرنية: ينظر: قاموس النبات (٤٤).

ومن علم أن البقل حار مولد للرياح إلا أنه قليل الغذاء، فقد علم من طريق ما هو حار مع رطوبته، ومن طريق أنه مولد للرياح، فقد ذهب مذهب ما يولد المنى، ويقصر به عن ذلك؛ لأنه ليس بكثير الغذاء، فإذا خلط مع ما له غذاء كثير، مثل اللحم الحولى، وما فوقه اجتمعت فيه الخلال الثلاث التى يحتاج إليها لتولد المنى وكذلك الحلتيت[1].

ومن علم أن حب الصنوبر[2] حار لذيذ الغذاء ليس بمولد للرياح، فهو يعلم من طريق حرارته ولذاذته أنه يذهب مذهب ما يكثر المنى لأنه يقصر به عن ذلك، وكان يفرق للأشياء المولدة للرياح من غير أن يكون بضار يتولد المنى بجهة من الجهات، مثل عقيد العنب، فإذا شرب منه شيء وأكل بعده وقبله ثمر الصنوبر، تولد منه غذا ءيكثر المنى، وكذلك فى صفرة البيض الرقيقة، ومخ العظام، وأدمغة العصافير، فإن كل دماغ رطب يولد ذلك إلا أنه بارد مع رطوبته والعصفور طائر حار ولدماغه جملة من الحرارة التى فى بدنه وحصّة تساوى بها حرارة ما هو أقل برداً منه.

ومن علم أن الحمص[3] قد اجتمعت فيه الخلال الثلاث أعنى به كثير الغذاء مولد للرياح حار رطب، وقد علم أنه كان فى تولد المنى لا يحتاج أن يختلط به غيره، يريد فى المنى، ومزاجه على انفراد قريب من هريسة الحنطة، ولاسيما إذا خالطها مخ العظام.

فهذه جملة من القول على الأطعمة التى تعين على الباءة.

أما أن تدره بحرارته وتبرده، مما يلى باطن البدن إلى ما يلى ظاهره منها.

فإما أنه يخالط الغذاء الذى يتناوله الإنسان، فيتولد بينهما ما تجتمع هذه الخصال الثلاث، ووكذلك حال الأدوية المعينة على الباءة.

---

(١) الحلتيت: صمغ راتنجى، وهو المعروف بأبى كبير، ويستعمل فى الطب.

(٢) الصنوبر: جنس أشجار حرجية من الفصيلة «الصنوبرية» أو «المخروطية» وهى من الزهريات عاريات البذور التى منها: السَّرْوُ، والعَرْعَر، والأرْز وغيرها. فيه أنواع عديدة منها: صنوبر حلبى، أو صنوبر القدس، منتشر فى حدائق دمشق وغيرها، ويعرف بالصنوبر الذكر، وهذا خطأ علمى، نقل عن اليونان واقتبسه منهم المؤلفون العربْ، والصحيح أنه ليس فى الصنوبر ذكر أو أنثى، بل له أزهار ذكرية وأنثوية على الشجرة الواحدة. ومن أنواع شجر الصنوبر نوع اسمه «صنوبر مثمر» وتؤكل بذوره، وهو منتشر فى لبنان خاصة.

ينظر: قاموس النبات (٣٥٨).

(٣) الحمص: نبات زراعى عشبى حولى حَبّى من القرنيات الفراشية.

العقاقير المعينة على الباءة

بذر الأنجرة، أنيسون، توريد، لسان العصافير، الزعفران، القنبيط الحلو، الحرف، بذر الكتان، المغاث، كُلى السقنقور[1]، خُصَى الثعلب[2]، الدار فلفل، القودرك، العاقر قرحًا، البهمنين، اللُّعبة، الخولنجان[3] ، شحْم الأسد، خُصَى حمار وحشى، قضيب العجل،

---

(١) السقنقور: نوعان هندىّ ومنه ما يتولد فى بحر القلزم وهو البحر الذى غرق فيه فرعون وهو عند عقبة الحاج ويتولد أيضًا ببلاد الحبشة وهو يتغذى بالسمك فى الماء وبالقطا فى البرّ يسترطه كالحيات وأنثاه تبيض عشرين بيضة تدفنها فى الرمل فيكون ذلك حضنًا لها.

وللأنثى فرجان وللذكر ذكران كالضب.

قال التميمى: وقال أرسطو السقنقور حيوان بحرى وربما تولد فى البحر فى مواضع الصواعق ومن عجيب أمره أنه إذا عض إنسانًا وسبقه الإنسان إلى الماء واغتسل منه مات السقنقور وإن سبق السقنقور إلى الماء مات الإنسان وبينه وبين الحية عداوة حتى إذا ظفرا احدهما بصاحبه قتله والفرق بينه وبين الورل من وجوه: منها أن الورل برىّ لا يأوى إلا البرارى والسقنقور لا يأوى إلا بالقرب من الماء أو فيه، ومنها أن جلده ألين وأنعم من جلد الورل، ومنها أن ظهر الورل أصفر وأغبر وظهر السقنقور مدبج بصفرة وسواد والمختار من هذا الحيوان الذكر فإنه أفضل وأبلغ فى النفع المنسوب إليه من أمر الباره قياسًا وتجربة بل كاد أن يكون هو المخصوص بذلك والمختار من أعضائه ما يلى ذنبه من ظهره فهو أبلغ نفعًا وهذا الحيوان نحو ذراعين طولاً ونصف ذراع عرضًا. ينظر حياة الحيوان (٢/ ٢٨، ٢٩).

(٢) الثعلب: معروف، والأنثى ثعلبة والجمع ثعالب وأثعل. وكنية الثعلب أبو الحصين وأبو النجم وأبو نوفل وأبو الوثاب وأبو الحنبص والأنثى أم عويل، والذكر ثعلبان وأنشد الكسائى عليه:

أرب يبول الثعلبان برأســه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ينظر: حياة الحيوان (١/ ١٥٩).

(٣) عرف هذا الجنس من النباتات الزنجبيلية باسم «ألبينيا L'Alpinia » نسبة إلى العالم النباتى الإيطالى بروسبير ألبينس «P,Alpinus »، ولكن البحث العلمى الحديث أثبت خطأ هذه التسمية، لأن هذا النبات أمريكى الأصل، وهو مشابه لنبات الخولنجان الآسيوى الذى يعرف فى ميلانو باسم «لانجواز». وكلمة «خولنجان» فارسية من أصل سنسكريتى.

هذا الجنس هو عشب مرتفع معمر كبير الورق، وأهم أنواعه: الخولنجان الصغير أو الصينى، ويسمى الأبيض، والخولنجان الكبير أو الأحمر. وهناك أنواع أخرى تستعمل للزينة فقط لجمال أزهارها واستدامة خضرتها، وبعض أنواعه يصنع منه الورق، وآخر تؤكل سوقه أو تطبخ.

والخولنجان الطبى «Alpinia O fficinarum » يعرف باسم الخولنجان الصغير، ويسمى بالصينى؛ لأن أصله من جزيرة هينان بشرق الصين، كما يعرف بالأبيض.

ويستعمل بكثرة كتابل ومحسن لنكهة بعض الأدوية، ويغلى- كالشاى- للدفء والتنبيه. =

الفلفل، الحلتيت، لبّ حب القطن، الماء الذي يُطفأ به الحديد، الحسَك[1]، بذر الرطبة، حب الرشاد[2]، البازرنبوه.

الأغذية المعينة على الباءة

البصل[3] البلبنوس، الجرجير، الحمص البرى، الهليون[4]، جوز الصُنوبر، حبّ الزَلَم، النارجيل[5] ، حب الفلفل، صفرة البيض، أدمغة العصافير، اللبن الحليب، الخَنْدقوقى، اللوبيا[6] ، خبز السَّميد[7] ، لحم الحملان، الفراخ، بيض الشفانين، البط، الهرايس، العسل، السمن، الروبيان، الهيشاء.

= ويستخرج منه بالتقطير زيت طيار لونه أصفر ورائحته كافورية تشبه مزيجًا من زيتى الآس وحب الهيل، ويستعمل منبهًا عطريًا معديًا وطاردًا للأرياح ومسكنًا معديًا، ومسحوقه يساعد على إزالة الضيق وعسر الهضم. ينظر: قاموس الغذاء ص (٢١٧- ٢١٨).

(١) نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف القمح وأوبار الإبل.

(٢) حب الرشاد: بقلة سنوية من الفصيلة الصليبية تزرع وتنبت برية وحبها يسمى حب الرشاد.

(٣) البصل: نبات ينمو تحت الثرى، وله جذور دقيقة تضرب تحته وأغصان ترتفع قليلاً فوق سطح الأرض.

وفى الطب الحديث وصف البصل بأنه: ينقى الدم وينظم دورته، ويدر البول، ويزيل الأرق، وينفع فى تضميد الجروح والدمامل، وبعض أمراض الكبد والكلى.

فوائده الغذائية:

أما فائدة البصل الغذائية فهى تفوق فائدة التفاح، وفيه عشرون ضعفًا من الكلسيوم الموجود فى التفاح، وضعف ما فيه من الفوسفور، وثلاثة أضعاف ما فيه من فيتامين (أ) والحديد. وفيه الكبريت، وفيتامين (ج)، ومواد مدرة للبول والصفراء، وملينة، ومقوية للأعصاب، ومغذية للقدرة الجنسية، ومؤثرة فى القلب ودورة الدم. ينظر: قاموس الغذاء ص (٥٩- ٦٠).

(٤) الهليون: جنس نبات من الفصيلة الزنبقية والقبيلة الهليونية. ويعرف فى البلاد العربية بأسماء: ضُغبُوس، يَرَامع، كشك الماس (ألماظ). وهناك أنواع أخرى للتزيين.

ينظر قاموس النبات (٧٣٩).

(٥) النارجيل: قال الجوهرى: ما أظنه عربيًا، وقال الجواليقى: فى العرب كأنه أعجمى، وذكر أنه فارسى محض. ينظر مختار الصحاح (رنج) ولسان العرب (رنج).

(٦) اللوبيا: بقلة زراعية سنوية من فصيلة القرنيات الفراشية التى منها الفاصولياء والبازلاء والفول وغيرها، ولها أنواع عديدة، تعرف اليوم فى الشام والعراق ومصر باسم «لوبيا»، وفى لبنان «لوبيا مسلأت»، بينما يطلق اسم «لوبية» على الفاصوليا. ينظر : قاموس النبات (٦٣٨).

(٧) هو: لباب الدقيق.

ومن الخواص

قضيب الذئب: إذا شُوى فى الفرن، وقطعت منه قطعة، ومضغت، هيجت الباءة.

مرارة الدب: إذا أخذها الرجل، وربطها على فخذه الأيمن عند النوم جامع جماعًا كثيرًا من حيث لا يضره، ويؤخذ مقدار حُمُّصَةٍ من مرارة دب، فيذاب بمقدار تسع أواقى خل ويشرب، يهيج الجماع ويزيد فيه.

ذيل الثعلب: يسحق ويذاب بدهن ورد، ويطلى به الإحليل فى وقت الجماع، فيزيد فى الباءة والشهوة، ويعين على الحبل.

أسنان التمساح[1]: إذا أخذت من الجانب الأيمن من فيه، وعلّقها الرجل على عضده الأيمن حرّك الجماع حركة قوية.

ذكر ثور مستفحل: يجذب ويؤخذ منه شىء يسير، فيسحق ويلقى عليه بيضة نيمرشت، ويتحسَّى؛ يهيج الجماع، ويزيد فى الباءة.

خُصَى الثعلب اليمنى: تجفف ويسقى منها وزن درهم بماء تمر الصرفان مقدار كأس، يزيد فى الباءة، ويسخن الكلى.

لحم الضب[2] وشحمه: إذا أخذ وطبخ وأخذ دسمه، فخلط معه زئبق، فطلى به الإحليل، كثر الجماع.

قلب الهدهد: يجفف ويشرب، ويطلى به الإحليل يزيد فى الباءة.

---

(١) التمساح: اسم مشترك بين الحيوان المعروف والرجل الكذاب، قال القزوينى، وهذا الحيوان على صورة الضب وهو من أعجب حيوان الماء، له فم واسع وستون نابًا فى فكه الأعلى وأربعون فى فكه الأسفل وبين كل نابين سن صغيرة مربعة ويدخل بعضها فى بعض عند الأنطباق وله لسان طويل وظهر كظهر السلحفاة لا يعمل الحديد فيه وله أربع أرجل وذنب طويل، وهذا الحيوان لا يكون إلا فى نيل مصر خاصة، وزعم قوم أنه فى بحر السند أيضًا، وهو شديد البطش فى الماء ولا يقتل إلا من إبطيه ويعظم حتى يكون طوله عشرة أذرع فى عرض ذراعين وأكثر ويفترس الفرس وإذا أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيلقى الأنثى على ظهرها ويستبطنها فإذا فرغ قلبها؛ لأنها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس ظهرها وهو إذا تركها على تلك الحال لم تزل كذلك حتى تقلب وتبيض فى البر. ينظر: حياة الحيوان (١/ ١٤٩، ١٥٠).

(٢) الضب: حيوان من جنس الزواحف من رتبة العظاء، غليظ الجسم، خشنة، وله ذنب عريض، يكثر فى الصحارى. والجمع: أضب، ضباب، وضبان.

لحم الزرازير: يطبخ ويؤكل يزيد فى الباءة.

خصى الديك ودماغه: يحركان شهوة الجماع.

قضيب الأوز وخصيته: إذا أخذ وأكل بزيت زاد فى الجماع.

شحم الكروان ولحمه: إذا أكلا زاد فى الباءة.

لحى الجرذون: يؤخذ ويعلق على عضد الإنسان الأيمن، يزيد الباءة، ويحرك شهوة الجماع.

حرز الجرذون البحرى: إذا أخذت من ظهره الوسطى مما يقرب من الكليتين، فعلقهما الرجل على صلبه فى وقت الجماع، زادت فى شهوته.

خصية الجرذون اليسرى: إذا جففت،وشرب منها وزن قيراط بماء حمص أسود مغلى، مع كأس شراب وأستار من سمن بقر أدر المنى، وحرك الجماع، وأسخن الكلى وزاد فى الباءة.

خصى الثعلب: إذا أخذ وأحرق وشرب بنبيذ، قوى شهوة الباءة.

مرارة النمر: إذا أمسكها الرجل بيده زادت شهوته جداً، وكذلك مرارة الثور.

دماغ الخُشّاف: يمسح به أسفل القدم يزيد فى الباءة.

من أخذ لسان غراب أسود: وجعل معه شيئًا من أصول السوس، ثم جعله فى قصبة فضة، وعلقه على عضده الأيمن، أمن من أن يُسحر عند الجماع، وبلغ حاجته من النساء.

ومن أخذ ذنب أيل: فأحرقه بجلده وعظمه، ودق رماده، ونخله وعجنه بشراب شديد، ثم طلى به على أنثييه، بلغ من الجماع حاجته، ولا يزال يجامع ما دام ذلك على مذاكيره، فإذا غسله انقطع.

الأدوية التى تولد انتشار القضيب وتصلبه وتمنع من النيام

بذر السنذاب، بلور الحندقوقى، بذر الخردل الأحمر، بذر الأنجرة، ظلف المعز[1]، عكر الزيت القطران، العتيق، النّوى المحرق، القرطم البرى، أصل شجرة الجاوشير، صمغ السّذاب، يؤخذ من أيها شئت: مثال، وتحتال فيه على الإنسان، وتطرح له فى الماء الذى

(١) جمع مفرده: الماعز، وهو: ذو الشعر من الغنم خلاف الضأن، وهو اسم جنس، ويجمع كذلك على: أمعز ومعيز.

يستنجى به، أو يرش فى سراويله الذى يلبسه، ويستعمل فى كل جمعة مرة، ويعاد ما دامت الحاجة داعية إليه.

الأدوية التى تبقى الإحليل على حالته لا يضعف عن حركة الجماع ويكون متوترًا

قشور الأترج[1] اليابس، بعر الضب، جلد القنفذ[2]، جلد السلحفاة البحرية، محرقة دم الحلزون، نوى مشمش بغير داخله، شابانك يابس، قردمانًا محرق، تكباس محرق، يؤخذ

---

(١) الأترج: جنس شجر من الفصيلة البرتقالية، وهو ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبى اللون، ذكى الرائحة، حامض الماء، ينبت فى البلاد الحارة. يعرف فى الشام باسم «تُرنْج» و «كبَّاد»، وفى مصر والعراق «أترج»، كما يسمى «تفاح الحجم» و «تفاح ماهى»، و «ليمون اليهود».

فوائده الطبية:

وأطال الأطباء الحديث عن فوائده- وفى طليعتهم الشيخ الرئيس ابن سينا- ومما قالوه: حلمه (لبه) ينفخ وهو بطئ الهضم. وقماحه (زهره) ألطف فى تسكين النفخ، وحُماضه (ما فى جوفه): قابض كاسر للصفراء، مزيل لصفرة العين كحلا. يسكن الخفقان الحار، يجلو اللون، ويذهب الكلف، وينفع من القوباء (الحزازة) طلاء، وهو ردئ للصدر. وورقه: يسكن النفخ، ويقوى المعدة والأحشاء. وبزره: يسهل ويحلل، ينفع من البواسير، يقاوم السموم. رائحته. تصلح فساد الهواء والوباء. قشره: محلل، يعين على الهضم، يطيب نكهة الفم، يمنع السوس عن الثياب، طبيخه: يسمن يسكن القئ، يطيب نكهة الفم.

ووصف فى الطب الحديث بأنه طارد الأرياح، هاضم؛ لأن قشره يحتوى على زيت طيار.

لا تصنع من الأتراج مأكولات، وإنما يستفاد من قشره فى صنع مربى لذيذ.

ينظر: قاموس الغذاء ص (٩٠- ٩٩).

(٢) القنفذ: بالذال المعجمة وبضم الفاء وفتحها البرّىّ منه كنيته أبو سفيان وأبو الشوك والأنثى أم دلدل والجمع القنافذ ويقال لها العساعس لكثرة ترددها بالليل، ويقال: للقنفذ أنقد وهو صنفان قنفذ يكون بأرض مصر قدر الفأر ودلدل يكون بأرض الشام والعراق فى قدر الكلب القلطىّ، والفرق بينهما كالفرق بين الجرذ والفأر قالوا: إن القنفذ إذا جاع يصعد الكرم منكسًا فيقطع العناقيد ويرمى بها ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق، فإن كان له فراخ تمرّغ فى الباقى ليشتبك فى شوكة ويذهب به إلى أولاده، وهو لا يظهر إلا ليلاً. قال الشاعر:

قنافذ هدّاجون حول بيوتهم ... بما كان إياهم عطية عودا

وهو مولع بأكل الأفاعى ولا يتألم لها. ينظر: حياة الحيوان (٢/ ٣١٢، ٣١٣).

من أيها شئت: مثقال، ويدق ويسحق، ويعجن بدهن زنبق خالص، ويطلى به الإحليل شهراً دائمًا فى كل يوم، فإذا انقضى الشهر استعمل الدواء الثانى، فإذا انقض الشهر استعمل الثالث من أول الأدوية إلى أن ينتهى إلى آخرها، ثم يرفع أولها أبداً فإنه يكون ما وصفنا.

وإذ قد أوضحنا العلة فى القوة على الجماع من جهة مزاج البدن، فلنذكر الآن بعض الأسباب الحسية المنشطة له، والأفعال التى تعرض منها الشهوة، إذ كل واحد من النظر والسمع أحد الأعوان عليه.

قال الملك لبرجان وحباحب: أخبرانى ما رأس الشهوة؟

قالتا: النظر لذى العين، واللمس والصوت للمحجوب، إذا كان تركيب طباعهما صحيحًا.

ويدل على ذلك قول بشار بن برد:

يا قوم أذنى لبعض الناس عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانًا

وقال علماء الباءة: من أراد أن يكثر جماعه، فليكثر طروقه الحرائر من النساء، والسرارى، وليكن صبَّاراً عليهن وليختر ذات البزّة، والحلى الفائق، المديمات للطيب.

وأنشد بعضهم:

وللغين ملهى فى البلاد ولم يقدْ هوى النفس شيئًا كاقتياد الظرائف

وقيل لبرجان وحُباحب: ما السبب الذى يهيج له الباءة؟

قالتا: عناق خلقى شجىّ، وحسن حديث من وجه جميل.

وقال غيرهما: إن مما يزيد فى الهمة طيب النفس بالمذاكرة والمطارحة، والمعولُ عليه أن يكون القلب مسروراً فارغًا.

قالوا: ومما يقوى على الجماع، إدمان ركوب الخيل، وذلك أن كثرة الحركة، واحتكاك الأعضاء، وعصر بعضها بعضًا تسخن وتجذب أعضاء المنى رطوبة مفرطة، وحرارة، فلا يلزمها تعب لسبب ما ذكرنا من إسخانها وفرط رطوبتها، وحرارتها، وأيضًا فإن المواد التى فى البدن عند الحركة المعتدلة بالركوب تنهضم، وتسخن الأعضاء التى فى الجوف، وكذلك الرِّجلان بأن حرارتها تزعج أعضاء المنى وأوعيته وتسخنهما، والهضم أيضًا يكثر المنى.

قال: وسبيل الرجل أن يورع نفسه ما استطاع ووجد إلى ذلك سبيلاً، وليجتنب التعب، والنصب، والهم والحزن، وليكن طعامه الدسم والحلو، وأكله باقتصاد، ولا يرتفع إلى كيله طعامه من الشبع، ولا يتخطى إلى غرث الطوى، وليقلل من الشراب، وليغسل رجله فى الشتاء فى كل ليلة بماء حار، ويمسح أسفل قدميه بالأدهان الطيبة، وليكن جلوسه على الطنافس[1]، والأنماط.

فإذا قامت الجارية لتسقيه الماء فلتقم ببزة حسنة حلوة وهيئة جميلة، وليدلك حلمتى ثدييها وناصيتها بأصابعه وليمددها، ولتكن القمص والسراويلات التى تلبسها سابغات.

وقد يوجد فى بعض الناس من لا تنهض شهوته للجماع إلا بالنظر إلى غيره وهو يفعل.

وقد حكى: أن جماعة من الملوك والسوقة لا يستطيعون مجامعة جواريهم إلا بعد نظرهم إلى من يجامع، حتى أن بعضهم ربما أظهر تغضبًا على الجارية؛ لئلا تتوهم صغر منزلته عندها فى أمره الغلام بجامعها.

وقد تكلم الفيلسوف على علة ذلك فزعم أن فى استعمال الجماع خلتين:

شهوة بشبق، ولذة تتبع الشهوة.

والشهوة منها طبيعية، ومنها لازمة ضرورية، ومنها باختيار اللذة التى تلزم الرجال الذين تمتد فيهم شهوة الجماع على الاستقامة، فهم يستعملونه على العادة الطبيعية.

فأما الذين يجامعون باختيار لطلب ما يلقون من اللذة، فإن جماعهم يكون غير طبيعى، فمن أجل ذلك لما لم يقدروا عليه عند ذكره، ولم ينتشروا لفعله؛ احتالوا بأنواع الحيل فيه؛ ليستدعوا الشهوة.

فمنهم: من يكتفى بالحديث، والكلام والمزاح.

ومنهم من لا يقنعه ذلك، فيزيد عليه النظر إلى الوجه الحسن، أو يستدعى الأشياء الملائمة الداعية إلى ذلك، ومنهم من يكون ضعيفًا عن العمل، فلا يقنعه ما وصفنا من أسباب الحيل، ويستدعى ذلك بأن ينال قبلاً، ثم ينكح هو من بعد ذلك عند انتباه الشهوة، لاسيما إن اعتادوا ذلك من صباهم أو عوّدهم ذلك من نكحهم، لأن العادة شبه الطبيعة، وخاصة إن كان الصبى مسترخيًا مؤنثًا.

---

(١) الطنافس: نوع من السجاد.

وحكي: عن بعض الناس أنه كان إذا أراد مجامعة بعض جواريه دعا بعض غلمانه، وأمره يجامعها إلى أن تتحرك شهوته، فإذا تحركت أنزله وعلاها.

قال: وأحضر يومًا جارية وأمر غلامه أن يضاجعها، فلما علاها الغلام وجد له شهوة عجيبة، فصاح به ليقوم عنها، وقد قام أيره.

فقالت الجارية: يا مولاى أنت فى حرج إن لم تدعه حتى يفرغ، فإنى خائفة عليه إن لم يفعل أن يموت.

قال لها: لعلك أنت تموتين.

فقالت: هو أحدنا، فاختر أينا شئت، فضحك منها وأمسك عن الغلام حتى فرغ، ثم زوجها منه، والأخبار فى ذلك كثيرة.

فأما ما يحرك شهوة الرجل من المرأة فتحريكها عجيزتها، ووميضها بعينيها، وتلاثغها فى كلامها، وترجيعها بظهر كفها حتى تضرب بها صدر الرجل.

ومما يحرك أيضًا شهوة الرجل: ضخم عجيزتها، واستدارتها، وبياض ساقيها وامتلاؤهما، وصغر قدميها، ورخوصة لحمها، ونهود ثدييها، وصلابتها، ودقة خصرها، وطول فرعها.

وأما المرأة: فإنها إذا أبصرت الأير، اختلج حرُها، فإذا جسته من تحت الثياب استخرت مفاصلها، وإذا أخذته بيدها، تفتقت شفاشكها من داخل رحمها.

وحكي: أن رجلاً تزوج جارية حسناء بكرًا ذات عقل وحياء، فلما دخلت عليه امتنعت عليه، ودافعته عن نفسها فزاولها بكل ضرب فلم تجبه، فاحتال بأن أدخل عليها أزواجًا من الحمام ذات هدير وصور حسنة، وجعلها نصب عينها تنظر إليهن، فكانت إذا رأت صنعهن، فكرت فى فعلهن، وتحركت الطبيعة حتى صار أوفق المحاسن لها الدنو منها.

فإن الحواس لا تؤدى إلى النفس من قبل سمع أو بصر أو ذوق أو مجسة إلا تحرك من العقل فى قبول ذلك ورده.

والاحتيال فى إصابته أو دفعه أو الكراهة والسرور بقدر ما تحرك النفس منه.

وحدث أبو طالب بن البهلول: بإسناد له طويل يرفعه إلى خالد بن معدان، قال: من أكثر من تلاوة القرآن كثر جماعه.

وحدث أبو بكر النقاش: يرفعه إلى الحسن- ﷺ- أنه سئل عن الرجل يذكر امرأة غيره فينعظ؟

قال: أو يكون ذلك؟

قيل: نعم.

قال: لا بأس به يترنخ للنعظ فى الحمام.

ودواؤه: أن يأخذ من ذنب الديك الريشة الطاووسية، قبل أن تنزل ويقطع طاقة من أصل سذاب نبطية من بستان، مما يلى ظهرك ثم تجمعها. جمعًا، وتدخل الحمام وقد رفعت ثيابك على يدك اليسرى، ولا تلتفت حتى تضعها فى المثعب[1] الذى يخرج منه الماء، ثم انزع ثيابك وأنت تقول على المثعب نحو الكلام والنار بما يريه الرّيان والسبع المثان أجب من أجلنا، ثم تأمر أن يحمى الماء ثم يغتسل، فإنه لا يغتسل منه إنسان إلا أنعظ فإن أردت حلّه فأخرجه والسلام.

* * *

(١) المثعب: سطح الحوض.

باب: معجونات الباءة

الأشياء المستعملة لكثرة الجماع والزيادة فيه ثلاثة

أحدها: الأدوية، وهى أقوى وأبلغ من الأخرى.

والثانية: الأغذية، وهى أقوى من الثالثة وأضعف من الأولى.

الثالثة: الأطلية وهى أضعف الثلاث.

فأما الأدوية: فقد ذكرناها بالاختصار فى باب قبل هذا من الكتاب، ونحن نذكر ها هنا المركبة.

فأما الأغذية: فقد أوردناها فى الباب المتقدم من هذا الكتاب.

وأما الأطلية: فقد أفردنا لها بابًا يلى هذا.

معجون هرمس الملك: وهذا المعجون يزيد فى المنى، ويقوى الشهوة ويصلب الذكر، فإذا أخذ الإنسان منه مثقالين بماء البصل، وصفرة البيض، وداوم ذلك ثلاثة أيام، جامع فى كل ليلة دفعات كثيرة بلذة وصلابة فى الذكر، وشهوة تامة بغيرانكسار.

وإن من أدمن أخذه ثلاثة أسابيع انتشر انتشاراً شديداً حتى يكاد الذكر ينشق.

ومن أراد القصد فى الجماع أخذ منه كندراً، ومصطكى[١]، ثلثى مثقال، فمضغه ساعة، ثم أوى إلى فراشه من غير أن يصيب قدميه الأرض، ويجعل فى أذنه قطنة عند

---

(١) شجر من الفصيلة البطمية «Anacordiacees» قريب من البطم، ينبت بريًا فى سواحل الشام وبعض الجبال الواطئة، يستخرج منه علك تجارى، يعرف فى الشام باسم «المسكة» اسمه العربى القديم (مصطكا) مأخوذ من «Matike» اليونانية، ويسمى أيضًا «الضرو» وصمغه يسمى «الكمطام».

أما فى الطب الحديث: فإن عصارة المصطكى تستعمل قابضًا فى إسهال الأطفال حين التسنين، وتفيد فى سلسل البول، ومضغها يقوى الأسنان المزعزعة. ومحلول المصطكا فى الغول «الكحول» إذا وضع بقطعة صغيرة من القطن فى السن النخرج سكن ألمها، وتطلى به الجروح لتطهيرها وحفظها من الجراثيم.

وتستعمل العصارة فى تطييب بعض المآكل كالحليب والجبن والمربيات وغيرها. كما تستعمل محلولاتها فى عمل طلاء الأثاث، وفى البخور. وكانت قديمًا فى مقدمة التوابل بحيث ما كان طعام يخلو من استعمالها لتطييبه إلا نادراً. ينظر: قاموس الغذاء ص (٦٧٩- ٦٨٠).

مضغه الكندر، ويشتم رائحة طيبة، فإذا قضى من الجماع وطره، وأحب أن يقطعه رش على رأسه شرابًا، أو يتحمل منه.

آخر: يؤخذ عفص غير مثقوب أوقية، ومن ورق العليق، أوقيتان، ومن ورق الآس، أوقيتان، يطبخ ذلك ويستعمل.

آخر: يؤخذ أوقيتان ناردين، ومثله ورد، ومثله سليخة، وأوقية شب رطب، يُحَل ذلك كله بالمطبوخ ويلطخ به الموضع قبل الجماع.

آخر: يؤخذ شاهبلوط أوقيتان، ومثله عفصْ، ومثله شب يمانى، وأوقية عاقر قرّحا، ومثله فلفل أبيض، يدق ذلك كله، وينخل، ويعجن بدهن ورد، حتى يصير فى قوام العسل، ويلطخ به الموضع قبل الوقت.

الأدوية التى تحبب النساء فى الرجال، وهو اثنا عشر

اليسد، المرزنجوش، البسباس، الصعتر[١] البرى، الورد، قشور الرمان، قشور الأترج، قشور الكرفس، والترمس[٢]، قشور الكندر، والقنطريون، والإذخر الحَرمى، يؤخذ منها مثقال، فيعجن بألبان، وتتحمله المرأة بصوفة بالنهار وتخرجه بالليل، وهذه الأدوية فيها سبع منافع.

تقوى أشفار[٣] الرحم، وتحمى طريق الإحليل، وتطيب رائحة الحرّ، وتضيق عنق الرحم، وتحميه ما يسرع الإنزال من الرجل بكثرة إنزال المرأة، وبكثرة ذلك ما يلتذ به الرجل بصغر الثديين، لأن المواد تنجذب منه بتغمز الغدد التى فى جوانب الرحم، وتدسمه حتى يلتذ الرجل بوطأته، كما أن النساء يحببن الأيور الغلاظ، كذلك الرجال يحبون من النساء ضيق الأحراح والحرارة.

---

(١) نبات من التوابل، من الفصيلة الشفوية، له رائحة عطرية قوية، وطعم حار. مر قليلاً، وله أنواع برية وأنواع تزرع. «السعتر» و «الصعتر»، وبالعامية «الزعتر»، ومن أسمائه «حاشا» وهى كلمة آرامية.

عرف منذ القديم، واستعمله المصريون واليونان كبخور فى معابدهم، وزرعه الرومان فى حدائقهم، واستعملوه غناءً وعلاجًا. ينظر قاموس النبات (٢٧٢).

(٢) نبات زراعى من الفصيلة القرنية والقبيلة الفاشية يزرع لحبه المأكول. قيل إن كلمة «ترمس» مأخوذة من اليونانية ونقلت إلى القبطية والعبرية. والآرامية، ومنها العربية والفارسية. وهو غنى بالبروتين. ينظر القاموس (١٠٦).

(٣) أشفار: جمع شفير، وهو الحرف والجانب والناحية من كل شىء.

ومما يضيق الأحراح: عصار الخرنوب الرطب، والصمغ، والقرظة، والشب اليمانى تدلك المرأة بذلك متاعها دلكًا شديدًا، وتمكث ساعة فإنه يقبضه.

وأبلغ من ذلك: أن تعمد إلى رامك، وسُلب، ومسك، وكرذمانة، فيسحق ويغسل به الأحراح، بماء بارد ثم تدلك به.

ومما يضيقه أيضًا: الأقسين، العفص، الجلنار(١)، الروسختج، الريحان، القيصوم، أصول السوسن(٢)، الدار شيشعان، الحماما، صمغ البطم، يؤخذ من أيها شئت درهمان، يعجن بالزيت وتتحمل به المرأة سبعة أيام متواليات، فإنه يضيق النساء الواسعات من الولادة، ومن كثرة الجماع.

ومما جُرب لضيق فروج النساء: يؤخذ إثمد، وعفص من كل واحد جزء، يسحق ذلك ويصب عليه شيء من طلى، ويذاب، وتمسح به الجارية فرجها، ثم تأخذ شبًا يمانيا فتنقعه فيه، وتلته به لتًا جيداً وتحركه حتى يذوب فيه، ثم تعمد إلى خرقة كتان صفيقة، فتغمسها فيه، وتتركها يومًا وليلة حتى يشرب ذلك، ثم تخرجها ولا تعصرها وتجففها فى الظل، فإذا جفت أخذت جزءًا من عفص؛ وجزءًا من قشور الرمان مدقوقين منخولين، فتنقع ذلك فى التواتيا، حتى إذا اختلط غمست فيه الخرقة وتركته يومًا وليلة حتى ينشف ذلك كله من تجفيفها كما فعلت أولاً، فإذا توضأت استدخلت بعض تلك الخرقة ساعة كلما توضأت فاستدخلت بعضها فإنها تكون كالعذراء، سرا.

ومن الأدوية التى ترد العذرة وتشبه الرواجع بالأبكار

مخ عظام الإبل، الشابانك اليابس، السرطان البحرى مُحرق، مرارة السلحفاة يابسة، القندهار الدادى، جلد القنفذ، يؤخذ من أيها كان درهم واحد يعجن بماء البصل ويطلى به على صوفة وتتحمل المرأة منه وقت نومها وإلى الغداة أربع عشرة مرة، فإنه تثبت عذرتها.

آخر: يجعل الثيب كالبكر، يؤخذ؛ شب، وعفص، وسُعْد، وفقّاح الأذخر، ودقُ السُوس بالسوية، يسحق وينخل ويطبخ بالماء، ويحبس أيامًا، فإذا اشتد تكميشه، أخذت قطعة مصران فرج خفيفة وجعلت فيها دم فرخ، وتحملت به فى وقت الحاجة.

---

(١) هو زهر الرمان.

(٢) السوسن: جنس نباتات «الأيرس» من الفصيلة السوسنية، وهى نباتات معمرة تنبت فى أوربا وبلاد البحر المتوسط. ينظر المعجم الوسيط (سوس).

باب: الاعتدال في الباءة

الأصلح لمن أراد الاعتدال في الجماع: أن يستعمل إذا كثر شبقه فاشتدت شهوته وأحس قبل ذلك في بدنه بثقل ودغدغة، فإنه إذا فعل ذلك في هذا الوقت خفَّ عليه بدنه ونشط واعتدل وضخم.

وقال سهل بن هارون:

من جامع مقتصداً دامت سلامته ... لا يقطع الجماع إلا كل منهرم

وذكر عند سهل بن هارون حال من يريد أن يكون عند المرأة أنكح الناس.

قال: لا ينضفي، ولا ينقطع كما من جامع لنفسه وشهوته، وإنما ينصفي وينقطع من جامعه ليبلغ أقصى غايته لذة المرأة، وليعتقد أنه أنكح الناس، فإذا جامع للرياء والسمعة والطرمذة؛ ليكون بذلك مذكوراً فحينئذ يختل وينضفي وينقطع.

وأنشد بعضهم:

من جامع للذكر أصفى قبل مدته ... والنفس تطلب شيئًا غير موجود

والسبب في أن من لم يكن شبقًا لا ينبغي أن يجامع هو أن الذي يكون هائجًا مشتاقًا إلى الجماع يخرج منه إذا جامع على قلته من فرط المني وكثرته وما يضر به جنس مثله في بدنه.

فأما إذا كان البدن مستغنيًا عن إخراج شيء مما فيه، فإنما يخرج بالجماع ما كان ملائمًا له نافعًا كونه فيه، فمتى كان إلى اللذة أميل، وهو يجب معها في الإبقاء على الصحة، فليكن ذلك عند علمه بأنه لا يجد بعقبه ضعفًا، ولا ذبول نفس، ولا أن يبطيء إنزاله، فإنه متى حاول هذا المقدار، فقد ترك الإبقاء على نفسه، والحفظ لها واضطر إلى أن يستدرك ما فرط منه؛ لأن النطفة إحدى الفضالات التي تشتاق الطبيعة إلى نقصها، إذ هي كثرت، واحتدت، فمتى جامت بسهولة ومن تلقاء نفسها خفَّ ذلك على البدن؛ واحتملته الطبيعة، وانتفع به، وكان دليلاً على استغناء الطبيعة عنه، وتسمحها به.

وما حل بعسر، ونكد، وعلاج شديد، فإن احتمال البدن لخروجه، وشقّ ذلك لفقر الطبيعة، وشحها وضنها به.

والذى يُختار من الأوقات للجماع: أن يكون البدن قد اغتذى بما هضمه، وخف حركاته، ونشاطه، فهذه الحال تكون فى الأكثر بعد النوم الأطول، فمن كانت قوته ثابتة، لا يحتاج بعد الجماع إلى النوم لسكون ضعفه، ورجوع قوته، هذا الوقت أصلح الأوقات له، ومن احتاج بعده إلى نوم وكان ممن يكثر الباءة، ويسرف فيه، فإنه لا ينبغى أن يكون ذلك فى هذا الوقت، لأنه لا يحتاج أن ينام بعده نومًا معتدلاً.

وينبغى لكل أحد أن يقل منه فى الصيف والخريف، وفى وقت فساد الهواء، والوباء، والأمراض الباردة، ويعقب إسهال وإخراج دم وعرق مفرط.

وينبغى لمن أراد الإبقاء على الصحة: ألا يجامع على الامتلاء من الطعام والشراب، ولا فى حال السكر، ولا على الخمار، لأنه يملأ الرأس بخارًا دخانيًا، ولا على الجوع والعطش، ولا بعقب السهر الطويل، والهم الشديد، فإن الإكثار منه فى هذه الحال، وفى سائر ما ذكرناه تسقط القوة، ولا فى حالة الفرح المفرط جدًا؛ فإنه يكثر التحليل من البدن حتى يحدث منه الغشى.

والسبب فى ذلك: أن الجماع قبل الطعام أنفع منه على الامتلاء، وهو أن عند الامتلاء تكون أوعية المنى ضيقة؛ فيصعب خروجه من هناك كما يظهر من حال المثانة أنها متى كانت ممتلئة لم يتهيأ الإنسان سرعة وسهولة، فإذا كان البدن خاليًا خفيفًا، كانت أوعية المنى مفتوحة واسعة المجارى، فيسهل ذاك الجماع.

وبالجملة: فينبغى أن يكون فى أعدل أوقات وأقواها، وحين لا يحس الإنسان بحرارة وحدَّة خارجة عن الاعتدال، ولا ببرد مفرط.

ولا ينبغى أيضًا أن يكون بعقب الحمام، ولا أن يشرب منه بعقب الإكثار منه الشراب الصرف القوى.

وقد تختلف العوارض التى تعرض من هذه الأسباب بحسب اختلاف أمزجة الناس إلا أن الإكثار من الجماع بعقب الرياضة والتعب، والجوع الشديد، والعطش المفرط بذوى الأمزجة اليابسة أضرُّ منه بذوى المزاجات الرطبة.

* * *

فصل
أوقات الجماع

روى أبو مزاحم الخاقانى

عن جعفر بن محمد- عليه السلام - قال: يكره الجماع ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وما بين غيبوبة الشمس إلى غيبوبة الشفق، وكره أيضًا فى الليالى التى تنكسف فيها القمر، وفى اليوم الذى تنكسف فيه الشمس وفى اليوم مع الليلة التى تكون فيها الريح السوداء، والحمراء والغبراء.

فأما الكلدانيون، يعنى النبط: فإنهم ذكروا فى كتابهم فى الصورة: أنه ينبغى للإنسان أن يتخذ بيتًا فى مسكنه، يكون مقبرة لطلب الولد من مجامعة النساء، وليكن نظيفًا مبيض الحيطان، مطبق الأرض بطوابيق من الرخام، أو من طين مطبوخ بعد أن يكون صحاحًا نظافًا، ويعمد الرجل إلى قارورة فيها رطل ماء ورد جيد، ويلقى عليه شيئًا من مسك، وشيئًا من كافور[1] ويخلطهما حتى يذوبا، ويرش فى الأرض من ذلك البيت، وعلى ما قرب من الأرض من حيطانه، ليطيب رائحة البيت، ثم يبخره فى الوقت بالعود الجيد المطراد النادر، ويغلق الباب حتى يصير غايةً فى طيب الريح، ويكثر فى طيبه من العنبر خاصة، والمسك، ويقلل الكافور ويترك الزعفران[2] فلا يدخله فى شىء من طيبه، فإذا كان أراد أن يُولد له ابن، أو ابنة جميلى الصورة فليعمد إذا كان الطالع الثور، أو الميزان، أو الحوت، والقمر متصل بالزهرة، أو مقارنًا لها، فإذا لم يكن ذلك، فليكن للزهرة والمشترى فى الأصل، وليصور صورة على حائط البيت، أو فى ورقة كاغد كبيرة جيدة.

فإن أراد أن يكون الحمل ذكراً جعل الصورة، صورة ذكر، وإن أراد أنثى جعلها صورة أنثى على أحسن ما يكون من الصورة، وأجود صنعة الصور فى نفسه، ويستشعر أنه يريد

(١) الكافور: شجرة من الفصيلة الغارية، يتخذ منه مادة شفافة بلورية الشكل، يميل لونها إلى البياض رائحتها عطرية، وطعمها مر وهو أصناف كثيرة.

(٢) الزعفران: نبات بصلى معروف من الفصيلة السوسنية وللزعفران أنواع كثيرة.

ينظر قاموس الغذاء (٢٥٧).

أن يصور أحسن صورة تكون، وأجملها، فإذا فرغ منها عمل لها بالأصباغ ثوبًا جميلاً، إما على هيئة الوشى أو الديباج المليح، فإذا كمل ذلك فليتعمد الرجل أن يكون الطالع أحد الثلاث بروج التى قدمنا ذكرها، والقمر مقارن، أو متصل بالزهرة، ثم يجامع المرأة فى ذلك البيت وليبدأ قبل جماعها بتأمل الصورة تأملاً حسنًا، ويتفقد ما أمكنه، واستطاع فى ذلك الوقت، وأن تنظر المرأة أيضًا إلى الصورة، فإن الولد يخرج مشاكلاً لتلك الصورة، فإن أراد الرجل أن يولد له ولد، سوى الصورة شديدة القوة والبطش، شجاع مقدام، فلينظر إذا كان الطالع برج الحمل، أو الأسد، أو القوس، أو العقرب، والقمر متصل بالمريخ من التسديس، وليعمل صورةً من مس، إما صب، وإما ضرب، وليجعل بيده رمحًا، أو سيفًا، أو حربة، أو أى أنواع السلاح شاء، وليتعمد فى وقت كون المجامعة: أن يكون الطالع أحد الأربعة البروج التى ذكرناها، وأن يكون الطالع ينظر إلى المريخ، والمريخ مشرق سليم من النحوس، والرجوع، والاحتراق، والقمر متصل به، وتكون الصورة المعمولة من المسّ بحيث يراها هو، والمرأة، ثم يجامعها مجامعة طلب الولد يفعل ذلك حسب العادة، وليعاود إلى أن تحمل المرأة، وليكن القمر فى برج مذكور، والمريخ فى برج كذلك، وربما كان الجيد فيه، ألا يطلع برج العقرب، حتى يكو الطالع أحد البروج المذكورة.

فإن أراد مريد أن يكون لا أولاد ذكورة، أو أحب أن يولد له ذكر، فليكن فى وقت مجامعة المرأة الطالع برجًا مذكوراً، والنيران جميعًا فى برجين مذكرين، وبين الشمس، وزحل نظر من تثليث أو تسديس ويكون نظرهما فى وقت الجماع إلى صورة ذكر.

وكان بعض علمائهم يرى أن ينظر الإنسان وقت الجماع إلى ذكر حمار، أو بغل قد قطعًا، ونظفا وطيبًا، وإذا دخل الرجل إلى ذلك البيت فى الوقت الذى ذكرناه من الطالع، ومواقع الكواكب نظر إلى الصورة، وإلى ذكر الحمار ومن كره النظر إلى ذكر الحمار أو البغل على الحقيقة، فليعمل مثالاً كذلك مما شاء من الجواهر، أو الخشب، فيأخذه الرجل بيده، ويجامع المرأة مع نظره إلى الصورة فى الوقت الذى حددناه من اختيار هيئة الفلك.

ومن أحبَّ أن يولد له ولد طويل العمر صحيح البدن فليعمل صورة رجل من حجر على أى قدر أحب، فإن لم يتفق ذلك فليأخذ لوحًا من حجر، فينقش عليه نقشًا ناتئًا بارزاً عن وجه الجادة، فإنه يقوم مقام التمثال، ومن أراد أن يستقصى المعالى والمعانى فلينظر فى كتابهم هذا فإنه يجدها على التمام[1].

(١) وهذا كله من باب التخاريف والسحر، وأعمال الشياطين والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى.

باب: الأحوال التى يستطاب فيها النكاح

وهى ثلاثة أحوال توافق الرجال مجامعتهن فيها

أولها: فُضّل على سائر الأوقات.

فمنها: أن يجامع المرأة إذا حُمّتْ فى ابتداء الحمى، وهو أيضًا موافق للمرأة.

قال علماء الباءة: إن أوفق الأشياء الإدمان للجماع عند سقم المرأة، فإن فيه صلاحًا لأجسامهن، ومداواة لها، وهو أشد لهن ملائمة من الحقن، وإخلاطه للأدوية المشفية.

ومنها: أن يجامع المرأة إذا فزعت لأمر قد همها، وارتاعت له، فإنه يسكن ذلك ويزيله.

وحكى: ابن الأعرابى، عن القاضى الحسن بن عبد الله أنه قال: إذا أردت أن يخرج ولد المرأة ذكراً فأغضبها، ثم قَعْ عليها، وأنشد فى ذلك:

تسمها غضبى فجاء مُسَّهداً وأنفع أولاد الرجال المسَّهَّد

يريد: قليل النوم.

ومنها: أن يجامع المرأة فى الشهر السادس، من حملها، أو بعد ثلاثة أشهر.

وزعم جالينوس: أن بدن الرحم فى أول حمل المرأة يتندَّى، فيسخن بحسب تزيُّده فى العضو، فإذا حضر وقت الولادة صار بدن الرحم طويلاً، دقيقًا لأن ثُخْنَهُ إذا تمدده طولاً وعرضًا ينقص، فأما حالها فى المرأة المتوسطة بين هذين الوقتين فعلى حسب تَزَيُّد عظمة يكون تَزَيُّد ثخنه.

وزعم علماء الباءة: أن للمرأة فى ذلك لذة.

قالوا: لأنها كالإنسان قد شبع من الطعام، وقد امتلأ وتناهى، ثم أوتى بالطعام الطيب اللطيف النظيف، فهو وإن وجد طعمًا طيبًا، فليس هو الجائع الخميصُ بطنًا.

وزعم قوم: أن غاية الأمور وتجريبها أن مجامعة النساء نهاراً لا يكون إلا طيبًا لذيذاً

شهيًا، ويكون الفرج أيضًا نقيًا نظيفًا، ولأنها كلما مشت وجاءت وذهبت، احتكّ بعض ذلك ببعض، فعند ذلك سَخُنَ منها كما يُحدث الحمى من احتكاك الأجرام، وعلى أن المرأة لطول انطباق فرجها بالليل عند النوم يعتريه ما يعترى الأفواه المطبقة من الخلوف، والخموم.

وأيضًا: فإن كثرة التوضؤ بالماء القراح، وغسل ما هناك مرارًا فى اليوم من أكثر الصلاح، على أن مجامعة المرأة بالليل.

كما قال إبراهيم بن هانئ: أن رجلاً وطئ جاريته زمانًا وهو يراها بالنهار، ثم عمى فهو يتوهمها إذا وطئها ليلاً.

وأجلُّ من كلِّ ما ذكرنا رؤية محاسنها الملذة، والحركات المهيجة.

فأما الأوقات التى تكون فيها المرأة أحسن

فقالوا: إن محاسن الجارية الشابة، تتسهل وترق إذا احتضرت، وأخذت غبطة فى جمال العُكن، ولم يتقدم ذلك مرض.

وذكر يعقوب بن الربيع[1] ذلك: حيث وصف معشوقةً كانت له فى تلك الحال فقال:

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت	للموت قد ذبلت ذبول النرجس
وتسهّلت منها محاسن وجهها	وعلا الأنين تحُشّه بتنفس
قطع الرجاء مطامعى بأسى كما	قطع الرجاء مطامع المتلمس

ويقال: إن المرأة إذا كانت عتيقة الحسن، ناعمة البدن، رقيقة اللون، فإن لونها يكن فى أول النهار إلى الضحى الأكبر، يضرب إلى الصفرة.

قال الشاعر:

وبيضاء العوارض فى ضحاها	وصفراء العشية كالعرارة

والصفرة تعترى البيض لأسباب كثيرة منها: أن البيضاء الناعمة إذا طال تضمخها بالطيب اعتراها لذلك ما يعترى الدُّرة والعاج.

وبيضُ النعام الموصوف به النساء فى الكتاب المنزل، وفى المثل السائر.

---

(١) يعقوب بن الربيع بن يونس: شاعر ظريف، بغدادى، استنفذ شعره فى رثاء جارية له، اسمها: مُلك، وكان الرشيد يأنس به قبل الخلافة. توفى سنة (١٩٠هـ).

قال امرؤ القيس[١]:

وبيضاء العوارض فى ضحاها وصفراء العشية كالعرارة

والبكر فى هذا المكان يجوز أن يكون بيضة، ويجوز أن يكون دُرّة.

قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:٤٩] فجعلها بيضًا، وجعلها كأنها ربيتْ فى كنّ.

قال أعرابى: يصف صاحبة عطر وزعفران، كالعاج:

صفرها الإكثار والطيب

وقال العرجى[٢]:

من كل صفراء مثل الرئم خُرْعُبَة

فى ناصع اللون تحت الريط واللين

وزعمت الهند: أن المرأة الحسناء أدق ما تكون محاسنًا، وأرق وأعبق صبيحة عُرْسها، وأيام نفاسها، أو فى البطن الثانى من حملها.

ولأعرابى يخاطب امرأته:

أعتبتنى غبُّ الغباء ونافسًا وغبُّ الكلال بكل ذلك مُعْجَبِ

قد كنت بكرًا قبل ذاك قصيرة لايقر حادث ذات حرٌ كَثْعَبِ

يقول: قد أعتبتنى أن يحسن وجهك مرق لونك.

فهذه الأحوال كلها، وهى الأحوال التى تكون المرأة فيها أطيب خَلْوَةً، وأدق محاسنًا، وأرق لونًا ساعة الكلال والطيب، والنعاس، وعقب الافتضاض، من رقة اللون، وعبق المحاسن، وحرٌ الكثعب.

ومنها: أن يجامع المرأة إذا سارت على دابة سيرًا طويلاً، ونزلت عنه، وقد أعيت.

وقال الحارث بن كلدة، طبيب العرب: إذا أردت أن تحبل منك امرأتك، فمشها فى

(١) هو: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندى، شاعر، جاهلى من أصحاب المعلقات، من أبناء الملوك، توفى قبل الهجرة، على صاحبها الصلاة والسلام والبيت فى معلقته.

(٢) هو: عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجى، من شعراء قريش، الذين اشتهروا بالغزل والنسب، وكان مشغوفًا باللهو والصيد، عاش إلى سنة (١٢٠هـ).

عَرَصَة الدار عشرة أشواط، فإن رحمها ينزل فلا يكاد يُخلف.

فمن كلف بمعرفة حالات النساء: على أن المرأة أطيب ما تكون ألذ خَلْوةً وأحرُّ حونًا؛ فإذا غشيها الرجل بعد طول سيرها على ظهر دابة.

وزعموا: أنها تلقَحُ من الكوم التى يوافق منها إفراط الشهوة، والرجل المجرب لا يكاد يخفى عليه انفتاح فم الرحم، والتقامه النطفة لابد أن يكون ذلك الكوم أشهى إليها وألذ عندها.

وقالت البصراء بمعرفة الباءة: إن جماع المسارقة لذيذ؛ لأجل إعمال الحيلة فيه، وطلب الاختلاس له، ويرد ذلك على الفؤاد، إذا ظفر به وطالبه.

وأنشد:

ألذ الجـــماع تأخـــذه ســـراراً ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ يمنع الحب أو خـــوف الرقـــيب

وقيل لزياد بن محمد بن زياد: أنفقت فى منزل هذا المغن خمسة آلاف دينار على جاريته شكر، وأنت تقدر أن تشتريها بخمسمائة دينار؟.

فقال: يا مجانين، فأين تلك المسارقة والمداراة، ولذة الاختلاس للقبل، وأين جماع الدبيب، وأين جماع ما تؤجر عليه، إلى جماع ما تأثم فيه، وأين برد الحلال وفتوره من حرارة الحرام، وحركته، وأين قبلة الإشارة من قبلة المباشرة، وأين لذة جماع القيان من لذة جماع المالك، لهن فى موضع القدرة والأمن، وأين عز الظفر عند المسابقة والمناقشة.

وقال أصحاب الباءة: إذا طهرت النفساء، وتنظفت مما تجد عند الولادة، فأعجل لها بالجماع، فإنه لبدنها أصلح، ولنفسها أرجع، ولها فيما كابدت وجاهدت فى ولادها أنفع، وفى صحتها أبلغ، وأنجح كما أن الجائع الخالى الجوف السَّغب الصدى عطشًا، إنما حياته الماء وبه صلاحه وقوامه، وكذلك المرأة عند تلك الحال تكون صحتها وصلاحها وقوام أمرها بالجماع الصلب السائغ الذى تجد له فى مفاصلها وعروقها أفضل اللذة، وهو لظمئها أروى، ولجوعها أسكن.

وأنشد بعضهم فى جِمَاعِ حُبْلى:

يقـــول لما أن أعـــلاها وبرك
قـــوم مـــرديكَ فى وسط الفلك
ارفع أعـــاليكَ وطأطىء أسفلك

لا تقعلن طفلاً صغيراً ليس لك
ضاجعني مدينيًا وذا الدرهم لك

ولا ينبغي للرجل أن يباشر المرأة إلا بعد عشر سنين، فإنها فيما دون ذلك من السن يَضُرُّ إتيانه إياها بها، وبنفسه، ويضعفها كما يضعف عَرْف الدم، وقطع العروق منهن، لم تبلغ اثنى عشر سنة.

فأول كمال الجارية بلوغها بعد المقدار من السن ودخولها ثلاثة عشر سنة، وبعد ذلك تنهد، وتغلظ شفتاها، وأرنبتها، وكلامها فهي تصلح أن تعشق الرجل من خلف، فيصيب بطنه ظهرها، فإن ذلك ينشطه للنساء، ويديم شبابه إذا احتضنها هو إلى أن تبلغ ثمانية عشر سنة، فهي غاية منية الرجل، ويكمل عند ذلك الخفر والحياء والموافقة إلى ثمانية وخمسين سنة، ثم يكون منها الاسترخاء الظاهر، واللين في اللحم والجلد، وكثرة الشيب، وشبح الوجه، فإذا بلغت هذا المبلغ من السن انقطع الحيض، وقد يكره نكاح المنقطعة الحيض، لأن ذلك لا يكون إلا من نقص في البدن، فعند ذلك ينقطع الولد ويكثر الماء، فأما الرجل فإن انقطاع نسله عند ذهاب شعر إبطيه، فإذا هو ذهب انقطع نكاحه ونسله.

* * *

باب: وصف الأخذ القبيح والنكاح الشنيع

وصفت ماجنة رجلا ضاجعها، فقالت

دفع في صدري وطرحني مستلقية، ورفع برجلي في الهواء، وأمرق عليَّ من بين فخذيه شيئًا هائلاً كأنه جعبة، رابي الهامة، طويل القامة، شديد الامتلاء والاستقامة، فشرع به نحو صُدع حرِّي، كالرمح في يدي حنقٍ، تعمَّد به قتل عدوه، فأدخله عَنْفًا، فوجدت مَرَّه في جوفي، كمرور المجر في يدي نجار، وكالمصقلة يصقل بها الحديد، وسمعت لتربيع حرِّي، وتثليثه، وقطريه، وشفريه، واسكتيه؛ لغلظ الأير وضيقه عنه أطيط كأطيط المحمل في ليلة ندية، أو كمخض السِّقاء في يدي كردي، شديد الانتحاء، فخاض به في حرِّي خوض المخوض في عس اللبن، يرهز في ذلك ويقذف بمائه في حري، فيربو كما يربو اللبن عند الخوض، فقام عني وقد أفرغ ماءه في جوفي، كالميزاب يتسلب من مطرٍ جودٍ، وانصرف.

وقال يعقوب

سمعت امرأة تقول لأخرى: جامعني والله فلان بأير كأنه وَدٌّ ولدي إلى بطني.

فقالت الأخرى: لكنه جامعني جماع من كان يطلب في حرٍّ كنزاً من كنوز الأكاسرة.

ومن كلام بعض المجان في ذلك

قال: فجلست بإزائها وحركت متاعي، فرأت شيئًا كأنه ثعبان منعظًا شاميًا بجرانه، فرمته ببصرها محدقةً، ثم أغمضت، وقد انتقع لونها، ثم عادت للنظر فأنعظته حتى غبَّ في غبائه، فاشتد فسرُّ عين الناظر، فطمحتْ حدقتاها وحالتا، وترمرمت شفتاها، واختلجتا، ونكست المغزل، فاختلط غزلها، ثم تبسمت وأرخت مفاصلها وطفقت تبلع ريقها، فعل الحمارة للحمار الداسر وامتد، وعَبُلَ، واشتد.

فلما رأيت تباشير التهاب الشهوة، وأمكنت الفرصة سموت إليها سمو الحباب، وكالأسد الحنق للوتر طلأب، وقد قام على سنابكه، واستوى على سوقه، فلما انتهيت إليها

كالفحل البازل المدل الهبّاب دفعت فى صدرها، فاستلقت غير متعاسرة، وسدد السعيد الحدّ نحو صدغها، فأدغمه فى حرّها، فلما أوعيتُه فيها وطعنتها به، ضجرت كأنها امرأة تلد، ثم اعتمدتُ عليها بأشد الرهز والغمز وازداد متاعى عُظْمًا وغلظًا، حتى كاد ينفطر من شدة امتلاءه، فأقبلت عليها أحاجرها، وأصفق قبلاتها صفق طبال يتعب بكفيه طبلة إذا حنق ضربًا واحتاج طربًا.

وقالت جارية لبينادخت

إنّ لى أمًا متشددة عليّ، وقد عذبنى ما يعتادنى من الوجد بالجماع وفتت كبدى احتراق نيرانه في جوفى، وأذاب لحمى وبرى عظمى، وولة قلبى، الأرق، والمنى والقلق قرمًا إليه، وليس من يرحمنى مما أنا فيه من سكرات حب الجماع وعرابده، وبلابله فى صدرى، وما يتغشانى من حرارة اشتعال شهوته، فإذا أذنت يا سيدتى قتلت أمى فيخلو لى درعى، وأشفى من الجماع، وآكل ثمرته الشهية الطيبة، وأشرب بكأسه الروية الباردة على الفؤاد، وأسّكنُ غليان قلبى وأطفىء توقد صدرى، وأقضى منه نهمتى، وأبلغ هواى ونهمتى.

فقالت بينادخت لوالدة الجارية

مالك شددت رباطة البغلة، وحبستها راكية على قوائمها، خلى عنها، واخلعى عذارها، واقطعى رباطها، وفكى عنها قيودها لتخبّ، وتجرى، وتتمرغ، وانزعى عن الرّمكة اللجام، والحكمة المانعة، وامرجيها تتبحبح فى المروج، وتسير وتركض فى عراصها تتمعك فى رباطها لاتمنعيها فتحزن، وتنكسر فقد كنت مرةً شابة، وللفتيان طلابة وعلى أزواج غيرى غلأبه، ولرب شاب طعن فى ثلمتك عن اضطراب هيجان غُلمتك طعنًا نافذاً، وأخذ كتفيك بيده وجذبك إليه فقرب بين أكتافك ووضعه فيك ممتداً، وأخذ بين رجليك حتى جمع بين طرفيك، وشال على الأرض أليتيك، واعتمد على وركيك، وجامعك مستلقية، وباركة، وعلى جنب، وقائمة، ومتوركة، وعلى أيره قاعدة، وعيناك للحلاوة شاخصتان، ورفع منك رجلاً ووضع رجلاً، فأولج فيشته فى حرّك، وعرقوبك فى عنقه مرة، ووسط ظهره مرة أخرى، وعلى ذلك حتى يستقصى معرفة غُلمتك، واستعمال حكة حرّك عند استدار مرور الكمرة فيه، ووجودك للحلاوة، ودبيب الشهوة، حتى تودّين أن الشاب ولج بأسره فيك فضلاً عن أيره، وإن أيره جذع من جذوع الرّواشين، مدمج مستدير لتشهقى وتصهلى وتنخرى، وتتلمظى، وتزفرى تحته، وتلزى عليه بألوان الرهز، استقبالاً، وغربلة، وإتعابًا، وترسلاً، ومع ذلك الرهز همهمة ودعاء نفسك بالويل وتقولين:

يا حبيبى قتلتنى، سال بى السيل، وتكثرين من قولك شققت حرّى، فككت وركى، ثم تتبعين ذلك بأن تقولى: هكذا فديتك، يا سيدى فجامعنى أيها شفيتنى أصبت موضع الشفاء والمقتل، وما أطيبك، وأطيب أيرك، وأغلظه، وأطوله، وأصلبه، خده وجره، وأوفره وأحسن منته، وأشد وقعه، ما أشفى ولُوجه، وألذ خروجه، تريدين بذلك أن يدوم نشاط الفتى، ويكثر رهزه، ويشتفى من جماع حرك وتَسْكين حكته، ورسيس دبيب الشهوة فيه.

قال علماء الباءة

إن كلما احتذى الرجل رأس المرأة نصب رجلها واستها فإنه أشد لإقصاء الأير إلى قعر حرّها، وألذ للجماع، وأطيب، وأبلغ فى نشاطها.

وقيل لأم الجحاف مولاة الزبير:

أىُّ الأشياء أوقع فى قلوب المتفتنات من التنعم وقت النكاح؟

قالت:

موضع لا يسمع فيه إلا النخير، وشهيق يجلب الماء من غشاء الدماغ، ومخارج العظام.

وكان أبو خالد المعتزلى يقول:

لوددت لو أن كمرتى فى رأسى حتى أدخل كما أنا إذا جامعت فى حرّ المرأة.

وقالت بعض نساء العرب:

ليتنى قد لقيته ... فوضعْ هَنْهُ فى هنىْ
وخلونا كما أحبُّ ... على خير موطنِ
فجمع بين ركبتى ... وصدرى فهزنى
وتنفست تحته ... وتغاشيت للمنى
مذ تصمهَيت حبه ... صرت فيه كأننى
واله ظلّ طفلها ... تنشد الناس لاتنى

ولعبد الصمد بن المعذّل:

جارية إباؤها نصارا ... تغذى بالشهد وبالجوارَى
واللحم والخمر لها قصارا ... لها سنى تاتها أشباراً

حـــدائق أنهـــارها بحـــارا　　　وشـجـــر أطيــارها حـبــارى
فى كل ريح بالذُّرَى سـعَــارا　　　مـثل العــذراى لهم العُــذارى
أنصـــبت فى ذروتهــا المهـــارا　　　بقـــينةٍ فى الغىّ لاتبــارَى
بِتُّ بهـــا سكران فى سكارى　　　حـتى إذا مـا رقـد الغـيـارا
من أهلهـــــا ونام من يُدارى　　　نمت ولا رأى لمن يمــــــارى
وقـــد بدا منهـــا الذى توارى　　　حتى وصَلْتُ الشعـر بالصـمـارا
تَحـدُّر الصـقـر على الحُبـارى　　　وقلت أحسـست لهـا استعـارا

كـــبكر ذى وخـــدات نارا

وقال ذو الإكثار:

ولقـــد قـــال ذو كـــثـــا　　　ر فـيـاحـسن مـا احتـــذا
لـيت أيـرى وإنَّ حــــــــر　　　ك جـمـــيـعـــا تواخـــذا
فـــأخـــذ ذا بَشَـــعْـــرِ ذا　　　وأخـــذ ذا بشـــعِــــرْ ذا
أشـــتـــهى منك منك منك　　　مـكانا مـــــحـتبـــذا
فـــأضـع فـيـه فــيـه فـيـه　　　ذراعًــــــا ومـــــثل ذا

* * *

باب: أنواع النكاح

من الأدوية التى يتعالج بها الرجل فى طلب النكاح المحروص عليه، الشهى اللذيذ المطلوب بأنواع الصفات، الذى قد بان فضله على سائر الشهوات ربما أضرت بالجسم لحرارتها، ولغير ذلك من طبائعها فهى إذا وقفت من من وجه أضرت من غيره، حتى يكون الإكثار منها مهلكًا للجسم مع المؤونة التى تلزم عليها، وخدع بعض الأطباء واعترامهم وتبسطهم فى الطلب، هذا مع تعذر وجود الصحيح من الأدوية، وما لا يؤمن تدليس بعض الصيادلة بالعقاقير.

فتلطف الحكماء بوضع ما لا يمكن على البدن، ولا على الصغير الحال، القليل اليسار محمل، ولا على النفس استبشاع، بل ما يقوى النشاط، ولا يذم عاقبته، فألفوا أنواع أعمال الجماع لما فى ذلك حركة النفس واشتعالها، وهبوب الرجل عند اللفظ به، والتصريح بذكره، حتى يعتاد عند وقوفه على أنواع الباءة، وطرائقه وفنونه ومشاهد غرائب أشكاله والاستدرار، وشدة النَّغط، فيكون له فى العمل أعظم الحظ، وتدر عروق الأير، ويحمى أديمه وينتفخ خَرْقَةُ، ويستوى سقوطه، وانحناؤه، ويغلظ مجسهُ، ويصلب تراخيه ويخشوشن متنه ويسمع عاليًا جرسه، ويشتد وقعه، فصرحوا إليه ونبهوا عن الكناية، وركبوا أنواعه على أفرعة؛ للقلب وإغرائه بالعمل التماسًا للتحريك، والتسويق، فلهذه العلة ألفوا فيه الكتب، وصوروا فيه أنواع الأشكال، ووضعوا عليها الأسماء والألقاب، فكل واحد ممن وضع كتابًا فى ذلك لقبه بما ثبت فى نفسه من معناها، وما رآه أحق بتسميتها، وجميعها ترجع إلى خمسة أنواع:

- الاستلقاء من الرجل والمرأة.
- اضطجاعهما على جنب.
- تناكحهما وهما جالسان.
- تناكحهما وهما قائمان.
- وأن تكون المرأة باركة على رجليها واضعة صدرها على الأرض.

والاستلقاء ثمانية وجوه

أحدها:

أن تستلقى المرأة، وتلصق فخذيها بفخذى الرجل، وهو المعروف بين الناس.

آخر:

أن تستلقى المرأة وتلصق رجليها على جوانب الرجل، ثم يدخل يديه تحت فخذيها ويجامعها، ويشبك أصابعه، وربما عمل ذلك على وجه آخر، وهو أن يفعل بها ورجلاها مبسوطتان واحدة على الأخرى.

آخر:

أن تستلقى وتضع قدميها على خاصرة الرجل ويأخذ هو عقبها إليه.

آخر:

وهو أن يضع الرجل فخذه بين فخذيها.

وليس يعرفه كل واحد، وقد سماه قوم الخاص.

آخر:

أن تستلقى المرأة وتضع قدميها على صدره، وتجمع يديها على قفاه فتجذبه إليها حتى تنثنى هى، فتصير ركبتها ملتصقة بصدرها، وذكره فى فرجها.

آخر:

أن تستلقى المرأة، وتبسط إحدى رجليها، فيجلس الرجل على فخذها المبسوط ويرفع رجلها الأخرى إلى فوق منصوبة ما استطاعت.

آخر:

تستلقى المرأة، ويدخل الرجل ذراعيه تحت فخذيها، ويعبر ساعَديْه تحت ظهرها، ويثنى أصابع يديه على رؤوس أكتافها.

فهذا نهاية المبالغة.

* * *

وأما الاضطجاع فهو ثلاثة وجوه

أحدها:

أن تضطجع المرأة على جنبها الأيمن، ويستقبلها الرجل، وهو مضطجع على جنبه الأيسر، ويضم فخذها إلى صدرها.

آخر:

أن تضطجع المرأة على يمينها ويضم الرجل فخذيها إلى ثديها.

آخر:

أن يجلس الرجل على يمينه ملازمها ويرفع من فخذها الآخر قليلاً لتنفتح.

وأما الجلوس فعلى وجهين

أحدها:

أن يجلس الرجل وسط فخذيها، ثم تجلس المرأة فيضمها إليه بيديه.

الثاني:

أن يسند الرجل المرأة إلى حائط، ويلصق فخذيها ببطنها، ويجامعها.

وأما القيام فعلى ثلاث وجوه

أحدها:

أن تأخذ قدمها الأيمن، وهي قائمة، فيضعها على الأيسر، ويفتح فرجها بيده ويدخل ذكره فيها، ويضع يده على متنها.

الآخر:

أن يسند المرأة إلى حائط، ويشيل الرجل إحدى رجليها، ويدخل بين فخذيها ويجامعها.

ولكل واحد من هذه الأعمال اسم يعرف به، وإنما لم نذكره لاختلاف الناس فيه وكل ذلك موجود في كتب الباءة.

* * *

وأما الملاعبة

قال زهير بن دعبوس:

مررت يومًا ببعض قصور الرشيد بالرقة، فدخلت قصراً منها فسمعت حركة شديدة، فأصغيت، فإذا قائل يقول: أولجه فى الغار، فإن فيه النار، فتقدمت قليلاً فإذا أنا بجارية رائقة الجمال.

فقالت: إن أردت شيئًا، فدونك فدخلت إليها، وإذا عليها غلالة مطيرة قد عبقت بالمسك، والعنبر ورأيت لها بطنا، وأعكانًا وسُرَّةً لم أر أحسن منها، وإذا لها حرّ كأنه قرنية، وقد ارتفع عن بطنها وأفخاذها.

قال: فأدخلت يدى وقرصته، ولويت شفريها، ثم قبلته.

فقالت: خذ فى غير هذا، فإن هذا لا يفوت.

قال: فألقيتها، وخالطتها، فلم أر أطيع منها على الجماع فما تنحيت إلا عن أربعة.

ثم قامت إلى الماء، فرأيت لها ردفًا لم أر أكبر منه، ولا أحسن يرتج ارتجاجًا، ويهتز اهتزازاً.

فلما دخلت كشفت عن عجزها، فقبلته وعضضته وأصابنى شبق شديد.

وقال المعبدى: اشتريت جارية، فلما خلوت بها وأردت وطئها.

قالت: مكانك أتعرف رأس الجماع.

قلت: لا.

قالت: لذة الجماع فى الحرّ أن ترفع برجلى، وتقعد على أطراف أصابعك، وتولجه فتنظر إليه كيف يدخل، ويخرج، وتثنيه ساعة بعد ساعة، فإذا أردت الصب، فلك وجهين:

أحدهما: أن تخرجه فتصبه فى السرة، فتراه كأنه سبيكة من الفضة.

أو تولجه فى الاست، فتصبه فيها، فترى الشرج بعصره، ويمصه مص الجدى ثدى أمه.

وأقل الريق إذا جامعت فى الحرّ، فإنه أطيب له.

وألذ ما يكون فى الحرّ على أربعة، لأنك ترى الركب تذهب وتجيء، وتنظر إلى البطن والثديين والسرة.

وألذ ما يكون الجماع فى الاست إبراكًا ، فأكثر الريق، فإنه أطيب، وألذ، غيبه إلى الأصل، وبالغ فى الإيلاج، وقبل الأليتين كل ساعة، فإن ذلك يزيد فى شبقك، ففعلت ذلك، فما رأيت أطيب منه.

وقال بنان بن عمر بن حفص، صاحب محمد بن موسى المنجم:

سمعت إنسانًا بالبصرة يقول: حلفت بالطلاق أن أجامع امرأتى جماعًا من دُرّ.

قال: فجئت إلى فقيه فى حلقة الجامع، فسلمت.

وقلت: أصلحك الله، إنى حلفت أن أجامع امرأتى جماعًا من دُرّ، فما أدرى وقع بى الطلاق، أم لا؟

فتبسم الفقيه ثم قال: أنا أجامع امرأتى كل يوم جماعًا من در، اذهب عافاك الله، فأقم امرأتك على أربع، وقم من خلفها، وبل كمرتك بشىء من البصاق، ثم أدخل أيرك فى استها إلى أصله، وأخرجه وأدخله فى حرّها إلى أصله، وافعل ذلك دائمًا حتى تنزل، فإن ذلك جماعًا من دُرّ لمن عقله.

قال: وما فرغ الفقيه من فتياه، حتى سال لعابه من الشهوة.

وذكروا: أن الزنج والحبشة أكثر ما يجامعون فى الاستاه مع الأحراح.

قالوا: وفى الهند طائفة يقال لهم: (اللومن) يجامعون سوى الأحراح ويقصدون مواضع أخر مثل بين يديها ، وفى فيها ، وفى إبطها ، وباطن مرفقها ، وباطن ركبتيها ، وأما الأحراح خاصة.

فقدمنا القول فى أنواعه وقد فرّعه الناس، ولقبوا كل نوع منه بلقب يليق به، وجميع ما أوردوه غير خارج من الأقسام التى ذكرناها فى أول الباب.

ومن غريبه: نوع يقال له: خاتم أخواجا ، وهو أن يجعل تحت عجز المرأة مخدتان حتى ترتفع ثم يجلس الرجل على صدرها وظهره إلى وجهها .

ثم تأخذ المرأة إبهامى رجليها بيديها ، وتجذبها إلى نفسها جذبًا شديدًا نحو رأسها حتى يصير الرجل جالسًا بين رجليها ، فإذا انشالت شديدًا برز فرجها كله ، فيولج حينئذ فيه ، وهو يشاهد عجزها ، وفرجها ، وجميع ما يتصل بذلك.

ومنهم من سمى هذا : الشكل (الروبيانى).

أما الشكل الذى لا تحبل منه المرأة: فهو أن يجامعها الرجل قاعداً متمكنًا.

وإذ قد ذكرنا أصناف الجماع، فلنذكر الآن صفة الذكر فى الفرج.

فنقول:

إن حركات الذكر فى الفرج على ضروب شتى، ولكل شىء من ذلك صفه، والنساء يختلفن فيه على ضروب شتى، فمنهن من تريد ذلك كله، ومنهن من تكتفى بنوع منه.

فمن ذلك:

أن يتحرك الذكر فى الفرج صعداً فيعمد بطرفه على أعلى الفرج.

ولقبه: الهيكل.

ومنه: أن يتحرك الذكر فى الفرج مهبطًا، ويتعمد بطرفه أسفل الفرج.

واسمه: الأنجر.

ومنه:

أن يتحرك الذكر مرة مصعداً، ومرة هابطًا.

لقبه: المتحير.

ومنه:

أن يكون الذكر فى جانب الفرج.

ولقبه: المعوج.

ومنه: أن يسكن لا يتحرك.

ولقبه: الواقف.

ومنه:

أن يتحرك على نوعين أو أكثر من هذه الأنواع.

ولقبه: لقط الحب.

لأنه كالطير يلتقط الحب من جوانبه.

* * *

باب: ذكر السليم والضار من أنواع النكاح

أحمد الأشكال

استلقاء المرأة على الفراش الوطيء، وعلو الرجل عليها، وأن تكون وركها عاليًا، ورأسها منصوبًا ما أمكن، وليس في أصناف الحيوان من يجامع على هذا الشكل إلا القنفذ فإنه يطأ الأنثى من قدام كما يفعل الإنسان.

وأما صعود المرأة على أير الرجل:

فربما أكسبه قروحًا في المثانة[1] والإحليل والأدرة، والانتفاخ.

وحبس المني عند الجماع:

يورث الأدرة، وفساد المزاج في الأبدان المستعدة لذلك.

والجماع من قيام:

يورث ألمًا في الورك.

والذي على الجنب:

رديء لمن أعصابه ضعيفة، ويعسر أيضًا معه خروج المني، ويورث وجعًا في الكُلى وربما أورث في القضيب.

فأما ما يوجبه الظرف، فنقول

إن افتراش المرأة ذل لها فظيع تقشعر منه لكشف السوءة، فظهور العورة، وتأمل تجردها، فإذا انضاف إلى استذلالها بالنكاح أن يكون ذلك بأحد هذه الأشكال التي ذكرناها في الباب الذي قبل هذا كان أبلغ في إذلالها وامتهانها؛ لأن ذلك دليل على صغر منزلة، ونقصان محبة، وعنوان ملل، وإذا كان ذلك كذلك، فالعدول بالمَزَوَّجَة والمعشوقة الخطيرة القدر عن هذا الشكل المقدم ذكره في صدر هذا الباب الذي تشهد العقول بموافقته

(١) المثانة: كيس في الحوض يتجمع فيه البول رشحًا من الكليتين.

لما فى الطباع، واستعمال غيره من الأشكال الغريبة مناف للمروءة مباين للأدب، وإن يسامح فى ذلك بعض الناس لنفسه بصاحبه، فلا يجب أن يكون فى أول مجلس إلا عند ابتداء الملاقاة.

وحكى عن أسماء بنت أبى بكر- رضى الله عنها- أنها قالت:

النكاح رقٌ، فانظر عند من تضع رقك.

كما أن فعل ذلك مع من ذكرنا يقبح، فكذلك العدول بالإماء والمواجر من النساء عنه مخالفًا للصواب إذ كان ذلك مستحبًا فيهن لم يظهرن من المشابرة على النكاح والمصالتة عليه، والتلهف على بلوغه، كما فضل الله تعالى الأزواج على الإماء، فكذلك خصصناهن بالتفضيل، وذلك أنه فرق بينهن فى أشياء كثيرة.

منها: أن الأمة إذا صلّت لم تستر شعرها، والحرّة يكبر قدرها عن ذلك؛ لأنه ضعةٌ ومحقرة.

ومنها: أن الحرائر يحصن للأزواج، والسرارى لا يحصن للموالى.

ومنها: أن الظهار فى الحرائر دون السرائر، وكذلك الأيلى.

ومنها: أن على الإماء أن أتين بفاحشة نصف ما على المحصنات من العذاب أعنى الضرب.

وكما قصُر بالأمى والعبيد عن حال الحرائر، ولم يتزلهن منزلتهن، كذلك أجريناهم فيما ذكرنا، على أن ابن سيرين رأى غير ذلك، وقيل له: أيفاحش الرجل امرأته فى النكاح؟

فقال: أفحشه ألذه.

وقالت العلماء بصنعة الباءة

المرأة تنتقل فى كل شهر إلى ثلاثة أحوال:

فإلى عشر من الشهر طامث[1].

ومن العشر إلى تمام العشرين، يجمع الرحم دمًا مكان الذى خرج منه بالطمث.

ومن العشرين إلى آخره يكون الرحم واقفًا ليس بمشغول.

وإنما يجتمع إليه ما يتولد من الغذاء، لأن الكبد إذا أحالته وجمعته، وفرقته فى الجسد فصار ما يؤدى إلى الرحم أكثر، فنكاح المرأة فى العشر التى تكون فيها طامثًا مكروه لنفرته، وكراهته.

(١) الطمث: دم الحيض.

ويقال

إنه يقصر العمر، ويتخوف منه البياض، ويخاف فيه تعسر الحوائج.

وإن طلب الولد فى الحيض: كان مشوهًا، ومخبلاً، أو ناقص الجسد أو كان به صمم أو عمى، أو ما أشبه ذلك.

فالنكاح فى العشر التى تليها، فهو ألذ ما يكون، وأشهى؛ لأن الدم يجتمع فى الرحم مكان ما نفذ عنها فيكون النكاح شهيًا طيبًا موافق لحرارة الدم.

ولا ينبغى أن يطلب منها الولد لشغل الرحم، فيما يجمع الدم، فإن طلب منها تخوف عليه أن يكون الولد مخدجًا، أو ناقصًا، أويضعف بالدم فلا ينضحه الرحم، فيولد لسبعة أشهر، ويلقيه إلقاء قهراً، هذا العشر يصلح للدم فقط.

والنكاح فى العشر الأخير هو الذى يصلح لطلب الولد.

وزعم ماسرجيس: أن من أراد أن يجامع امرأة أن يجىء فيلصق صدره بصدرها مع التقبيل، وعض الشفتين، والمص للسان ليحمًا مًا فى صدرها من الماء.

وإن أحب أن يحمى فليلزمه من ظهره ويلصق بطنها به حتى يحما ظهره، فإن عظم منحدر ماء الرجل من ظهره.

وقيل: إنه وجد حجر بحلوان عليه مكتوب:

الأول من الجماع: عجز.

والثانى: قضاء.

والثالث: شفاء.

والرابع: شوق.

والخامس: آفة.

وقال محمد بن سيرين- رحمه الله-: كانوا يستحبون الوتر فى كل شىء حتى فى النكاح.

* * *

باب: فضل الاغتسال وما جاء عليه

أما الغسل بعد الجماع، فنقول

إن الله- تعالى- أدب خلقه به، وحضَّ على فعله لما فيه من عظم المنفعة، وذلك أنه لا شيء أبلغ لعلاج البدن من الاغتسال بالماء، ليخلف عليه رطوبته مكان ما حلله الجماع عنه، فإن كان المغتسل به حاراً عدل أعضاءه، وقوَّم أودها وأصلح من جمسه المقدار الذى زال عنه لاستوى نُطف المسام التى يخرج منها ما يخرج عند هذا الفعل، وذلك أن الطبيعة تكون قد رمت إلى ظاهر الجسم بأجزاء خفية، ومهما كان من عرق أو بخار فإنه سهل، فمتى لم يغسل هذه الأجزاء، وتنجى عن الجسم خشيته أورثته زفرا كريه الرائحة فولد القمل والصئبان.

فإن كان الماء المغتسل به بارداً: قوى أعضاءه، وشد مفاصله بما تجتذبه الطبيعة من قوة الماء، ورطوبته، ويكون خلفًا بما خرج عنها، وهو مع ذلك عذب يجذب مع النشاط، وطيب النفس، والارتياح ما قد شاهده ويُحسُّه.

وبإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اغتسل العبد من الجنابة خلق الله من كل نقطة تساقط منه ملكا يسبح الله ويقدسه، وثوابه لذلك العبد».

وقال الفراء:

قال الأصمعى: إنما سميت الجنابة جنابة لأنها جانبت الطهارة، ومعنى ذلك أنها ضدها.

وقد تكلم قوم، فقالوا: كيف أوجب الله تعالى الغسل من الجنابة وهى أنظف من الغائط، ولم يأمر من الغائط إلا غسل الموضع فقط.

فيقال لهم: إن الله تعالى أراد بنا اليسر، ولم يرد بنا العسر، ولو أمر بالغسل من النجو والبول، لقد كان يكون غاية العسر، واقتصر فى الطاعة على ما تحمله الطاقة وأخف فى المؤونة، ولأن لهم سبيل إلى حبس المنى، ولا سبيل لهم إلى حبس النَّجو والبول، وفرض فى ذلك الوضوء فقط.

وفرض فى المنى غسل جميع البدن.

والشاهد بذلك أنه يخرج من الإنسان إنسان مثله من ينتزع شبهه من قرنه إلى قدمه، ويحكيه فى جميع آرائه وأموره.

باب: الاحتراس من الحَبَل

الحيلة فى أن لا تحبل المرأة يكون بأمرين

أحدهما:

من فعل المجامع.

والآخر:

باستعمال الأدوية التى تفعل ذلك.

فأما فعل المجامع فإنه يكون بنوعين

أحدهما:

استعمال شكل من أشكال البا ءة، قد ذكرناه فى موضعه من هذا الكتاب، وهو الجماع من قعود.

والآخر:

استعمال العزل عنها، وله شرائط، إن ذكرناها طال الكتاب.

ونشرح جملتها

إن الحرة يشترط عليها، والأمة لا بأس بفعله معها من غير شرط.

وفى التوقى من الحبل والحيلة فى التخلص منه؛ صيانة للمودة، وأمن من الفضيحة، والنجاة من أكبر إثم وأعظم وزر، وذلك أنه ربما يحتال الإنسان أن يرمى بولده ومهجة قلبه.

فقد حكى: أنه كان لأبى إسحاق إبراهيم بن أحمد الماذرانى، جارية ربّاها وأدبها وكانت لها قريحة صحيحة، فلقنت منه ومن جميع المنادمين، وأخذت عنهم، وبرعت حتى قالت الأشعار وصنفت، وناظرت، وكان لإبراهيم بن أحمد، ختن يعرف بابن بشر، فأحبها، وخدعها وراودها عن نفسها، فطاوعته، وأحست منه بحبل، فأعلمته، وأظهرت له الجزع من مولاها فوعدها أن يشتريها، وسألها الاجتماع بمولاها على الحيلة فى ذلك، ففعلت، واتصل بإبراهيم بن أحمد طمعا فى شرائها، وراسله بأخته فلم يجبه، ورأى مولاها أنها

مقيمة على طلب البيع، فأغضبه ذلك، وأمر بإخراجها إلى سوق النخاسين، فعرضت، واشتراها عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وهي غير شاكة في أن من يشتريها إنما يشتريها لابن بشر، فلما وقفت على أن الأمر إنما جرى على سبيل الحيلة عليها حتى أخرجها من دار مولاها حزنت لذلك، وأغضت على كمد شديد، فلما كان بعد مدة كتب إليها ابن بشر بُرقعة مع عجوز كتبه إليها يصف فيها شوقه، ووشحها بأبيات شعر استعارها.

فلما قرأت الجارية الرقعة أقلبتها، وكتبت في الحال على ظهرها، وردَّت العجوز.

فلما أقبلت العجوز لتدخل الدار كان إبراهيم قائمًا بإزاء الدار.

فقال لها: من أنت؟ فارتاعت؟ فاستراب إبراهيم بها، وأمر بتفتيشها، فوجدوا الرقعة معها، فقرأها إبراهيم، فإذا هي من الجارية إلى بشر ونسختها:

من المعشوقة الشكلى	إلى من باعها حُبلى
سلام أيها المولى	سبيل السنة المثلى
ألم أنبئكَ أني ب	ك لا أسلم من بلوى
ألم أذكرك الله	ألم أفصح لك الشكوى
ألم تزعم أني لك	مادمت على الدنيا
وأني ملك كفيك	على غاية ما أهوى
فأين الحلف والوصف	وما أعقبني الشقوى
وأين العهد والميثا	ق والتصريح والنجوى
لقد أحملني حبُّ	ك بعد الشرف الأعلى
وبعد الخز والبز	وبعد الغاية القصوى
وبعد القصف واللذات	والنعمة والجدوى
ينادي بي مع الدايات	أين المقرب الحبلى

أما بعد: فيا فاضح العشاق، ومنتهى الفساق، فقد أتاني كتابك الوارد بشعرك البارد تنحو فيه نحو غيرك، وتتشبع بما لست منه كخابط عشواء، وسالك ظلماء، إضاعة للأثر، وتركًا لليقين، واستعمالاً للخبر، ولعمري لقد حل بي الخطاء، وأدركني فيك ضعف

رأى النسا، ولحقنى فيك المثل السائر من قول القائل: «يداك أوكتا، فوك نفخ».

لاغترارى بك، وإضاعتى الحزم فيك، حتى ملأت بطنى، وأثقلت ظهرى، وهتكت سترى.

وأقول: ما نقص من مالك ما زاد فى عقلك ولا وفّر وفرك ماهتك سترك.

وأقول:

من ذا ألوم وأنت المذنب الجانى	كفاك علمك من إيضاح برهان
لا تسأل الناس عما أنت تعلمه	وانظر لنفسك فى سر وإعلان

ويلك والويل حلّ بك، متى رأيت العشاق أحبلوا، فأحبلت، والتمسوا الولد كما التمست، أو ما قرأت أشعارهم، واتصلت بك أخبارهم، إن العاشقين يلبثان مدة من دهرهما وبرهة من التقائهما لا يعدوهما ذلك إلى غير توكيد العهد، وَتجديد الود ليس لعجز منهم، ولا تقصير عما أدركته غايتك لكنهم جعلوا للعشق عهداً، وللفسق حداً، فالعشق ما أجروا سبيلهم عليه، والفسق ما أدنى بك سبيلك إليه ياتيس الغنم، وفحل البُهْم، وذكر الرُّخْم.

وأقول:

ما رأينا ولن نرى	عاشقاً يطلب الحبل
إنما غاية المحب	إذا فارق الزلل
لحظة بعد لحظة	فإذا زاد فالقبل
فإذا جاوز ذا وذا	لك فمزور ومفتعل
ذاك يجرى الذى به	يدرك النسل والحبل

ألم تعدنى ما وعد الشيطان، وتمنحنى ما أعقب الحرمان، أو لم تزعم أنى لك يدك، ومالك عهدك، حتى إذا التقتا حلقتا البطان، وأصابنى الريّان[1]، جعلتنى مثل جرو الكلب إن سكت عدم، وإن نبح رجم، كأنى سفير لا فى العير ولا فى النفير، مستحلاً لما سلف من ذنبك، مستحسنا لما سبق منْ جرمك، حتى إذا انتشر فى الناس أمرك، وصارت الركبان بذكرك وصرت عظة المرتدع، وسيرة الممتنع، أقررت حتى صار إقرارك وإنكارك يستبين لوجود الفاحشة ودنو الفاضحة.

(١) المقصود: الذكر.

وأقول:

لئن كنت أوطأتنى عـثـرةً ... لقـد كنت أخلصك الود حـينا

وإن كنت أعلمـتنى خـدعـة ... فـقـد كـان قـولك عندى يقـينا

ومـا أنت للعـشق أهلاً له ... كذى يفضح العشق والعاشقينا

وبحسبك يا متخلف، لقد أصبح ولدك عبداً يباع فى الأسواق وينادى عليه فى الرقاق لا يعرف من أبوه، فيدعى به، ولا نسبه فينسب إليه، فإن كان من عهارٍ، فللعاهر الحجر، وعلى الجاحد الوبار إلى ما احتقبت من العار، واكتسبت من الشنار وما لعمرك فيها جيرة لمختار.

وأقول:

يا ذا الذى كان حظى منه تعذيبى ... حققت ما قيل فى مسترعى الذيب

خلفـتنى لأكف الدهر تعـركنى ... عـرك الأديم بتصـعـيد وتصـويب

من بعد مـا كنت ضد الدهر أمنحه ... قسراً فينقاد لى فى ظل مغضوب

أصبحت قوداً لمن قد كان لى تبعًا ... وأستـذل لمن قـد كـان يسمـو بى

كـذاك من غـرّه من نفـسـه ثقـة ... يمـسى ويصـبح فى همٍّ وتعـذيب

يا طول همى ومن يرثى لمكروب ... وقد ركبت الهوى من شر مركوب

هذا وقـد ضـرب الماضى لنا مـثلاً ... أخلق به مـثـلاً من ذى تجـاريب

لا تحـمـدن امـرءًا حـتى تجـربه ... ولا تـذمنه من غـيـر تجـريب

فـاذهب فـمال فيك اليوم من أرب ... لئن أسـأت لقـد أحـسنت تأديبى

فلما وقف إبراهيم على الرقعة أنفذ، وسأل عبيد الله فى بيع الجارية، وردها عليه ولج معه عبيد الله إلى أن دفع إليه ربح خمسمائة دينار، وأخذ الجارية إليه، وقال لصهرة ابن بشر: إن لم تقبل ولدك طلقت ابنتى منك، فألزمه الولد، ورجعت الجارية إلى مولاها.

وقال أبو الحسن الجوهرى

قرأت هذا الخبر على أبى العباس أحمد بن يحيى، ثعلب النحوى، فاستحسنه، وقال: يا سبحان الله! هذه الجارية أخطب من ابن القرية، وأفقه من أبى حنيفة، وآدب من ابن المقفع، فلما علمت أن هذا هكذا لم ناولته رجلها.

فقلت: يا أبا العباس لو ضرب عليك ما ضرب عليها ناولته يدك ورجلك.

وكان بعض الأعراب لا يزال يخبل الجارية فى الحى، ثم يسأل مواليها أن يهبوا له ولده منها.

فقيل له فى ذلك: إن كنت لابد فاعلاً، فاعزل عنهن.

قال: بلغنى أنه مكروه.

قيل: أفتقدم على الزنا وتتورع عن العزل؟

قال: نعم، لو لم يكن فى العزل إلا قبح اسمه، وشدة إثمه، وإن الإنسان أحوج ما يكون إلا السكون تطلب نفسه الحركة، وأطيب ما يجد لذته حينما يخرج فيشته، ويضيّع نُطفته، وهذا أمر ينبغى أن يحضره الفتوة والمرؤة.

وقيل فى كتب الباءة

إذا أردت أن تعلم أن المرأة تحبل أم لا: فيدخل الرجل فى فرجها قبل أن تحيض بثلاثة أيام تمرة صرفان، من أول الليل، وتمسكها إلى الصباح، ثم تستخرجها، فإن وجدت تلك التمرة قد ضرب لونها إلى الحمرة، فقد تقارب حملها وإن ضرب لونها إلى البياض، فإن حبلها عسر لا يرجى، فإن لم يتغير لونها حبلت بإبطاء.

وقيل أيضاً

إذا أردت أن تحبل المرأة بغلام[1]: فيشد الرجل بيضته اليسرى من خصيته بخيط، ويجامعها فى ليلة أو يوم يهب فيه ريح الصبا، فإنها تحبل بغلام.

وإن أحببت أن تحبل بجارية: فيشد الرجل خصيته اليمنى بخيط، ويجامعها فى ليلة أو يوم يهب به ريح الدبور.

وقيل أيضاً فى كتب الباءة

إنه يؤخذ زرع الرجل فى خرقة بيضاء نظيفة، وزرع المرأة فى خرقة أخرى، وتترك الخرقتان حتى يجف ما عليهما، ثم يغسلان، فأيهما ذهب منها الأثر، كان اعتياض الحبل من قبل صاحب الذراع الذاهب الأثر.

فإن زرعًا يذهب أثره لا يكون منه ولد.

---

(١) «الذكور والإناث» كلاهما رزق من الله وبأمر من الله فلا حيلة للبشر فى ذلك.

وإذا قدمنا ما يجب تقديمه فى هذا الكتاب، فلنذكر الآن الأدوية المانعة من الحبل.

الأدوية المانعة من الحبل

يؤخذ: توشادر وشب يمانى وسقمونيا، من كل واحد نصف درهم، سذاب يابس درهم ونصف، ويدق الكل وينخل ويغلى، وبأوقيتين دهن ورد، ويجعل فى قارورة، فإذا أراد الرجل والجماع استعمل قبل أن يدنو من المرأة.

آخر:

يسحق الكندس ويعجن بعسل، ويجعله الرجل على ذكره، ويجامع فإن المرأة لا تعلق.

وزعموا أن النخاسين يفعلون ذلك.

وإذا أخذت المرأة وقت الطهور دانقين سقمونيا مسحوقًا معجونًا بالعسل واستعملته، أو طلا به الرجل إحليله وجامعها: لا تحبل.

آخر:

معجون إذا استعمله الرجل لم يكن من المنى الذى يخرج منه ولد، وهو مسحوق يعرف بمعجون السكيخة.

وفيه ثلاث فوائد

أحدهما: أن المرأة لا تحبل.

والثانى: أنه يحبب المرأة إلى الرجل.

والثالثة: لا يضعف بدن المستعمل له من كثرة الجماع.

أخلاطه: خشخاش أبيض، وأسقيفون، من كل واحد درهمان ونصف، مرارة الشبُوط وبذر السذاب ولولو، وصابرينا، وقثاء الحمار، من كل واحد وزن درهمين، سليخة ومرّ، من كل واحد نصف درهم، صَعْتر فارسى وكافوره، من كل واحد سدس درهم، تجمع هذه الأدوية مسحوقة بالغداة فى الوقت الذى يراد فيه الجماع بالليل، والشربة منه مثقالان، وإن أراد بالنهار استعمل بالليل.

وبالجملة: إنه ينبغى أن يكون قبل وقت الجماع باثنتى عشرة ساعة، نافع إن شاء الله.

معجون آخر: إذا استعملته المرأة، لم تحبل، وإن كانت حاملاً أسقطت على المكان:

أخلاطه: بذر الخندقوقى، وخرو الفيل، وخردل أحمر، ونواى الزعرور، ويؤخذ من هذه الأدوية أجزاء سواء ويدق وينخل ويعجن بميعة سائله وتتحمله المرأة بصوفة، فإنه يمنع من الحبل، وإن كان هناك حمل سقط.

ومن الخواص قالوا

إذا أردت ألا تحبل المرأة: فخذ شيئًا من الزرنيخ، واجعله فى قطعة من جلد جمل، وعلقه عليها فإنها لا تحبل.

آخر:

إذا أردت ألا تحبل امرأتك: فخذ زرنيخًا، وصره فى جلد أيل، وعلقه على رجلها، وكذلك إن علقته على رجل دجاجة تبيض فإنها لا تبيض.

* * *

باب: تلافي المضار الحادثة عن إكثار الباءة

يحتاج من أكثر من الجماع: أن يقلل من إخراج الدم، ومن التعب، ومن التعرق في الحمام، فإن تدبر بدنه بالترطيب، والتسخين، وما يقويه، ويكثفه؛ لأن الجماع يبرد البدن، ويجففه، ويضعفه، ويخلخله، وأن يزيد في الغذاء، والنوم، والشراب، والدعة والتطيب بالأدهان والاكتحال.

وبالجملة: إنه يحتاج في كل واحد من الأعراض الرديئة التي يجدها لكثرة الجماع في جملة مزاجه، أو بعض أعضائه أن يدبر ذلك بما يضاده، ويقاومه وإن يتقدم قبل وقوعه باستعمال التدثير المضاد للأعراض التي يحدث كونها، ونحن نشرح حال أصحاب المزاجات، وما يتدبر به كل واحد منهم.

أصحاب المزاج البارد اليابس

سبيلهم أن يتدرجوا إلى الاستكثار من الغذاء والشراب والتدبير المسخن للبدن المرطب، وأن تكون الأغذية والأشربة من الحرارة، والرطوبة كمثل مزاج البدن.

فإن كان البدن إلى الرطوبة: كانت الأغذية مسخنة، وجملة التدبير إلى الحرارة.

فإن كانت يبوسة المزج أكثر من برودته: كان تميُّله إلى الرطوبة في الأغذية أكثر من تسخينها.

والبدن البارد اليابس: على تعادُل فيها إذا استكثر من الجماع، فسبيله أن يتدرج إلى الاستكثار من الخبز السميد ولحوم الحملان، والشراب الأحمر الذي له حلاوة، وغلظ معتدل وليطيب طبيخه بالزنجبيل والدار صيني والفلفل، ولا يقرب حامضًا ولا مالحًا، ولا عفصا، وليزد في الاستحمام بالماء العذب المعتدل السخونة، ولا يتعرَّق في الحمام كثيرا، وليتنقل باللوز[1]، والسكر ويرتاض رياضة معتدلة ويعنى بالهضم، ويزيد في نومه ووطائه ودثاره، أو يتمرخ بدهن الخيري وبالبان، ويأكل المربيات المعتدلة كالشقاقل، والأترج وحبَّة الخضراء.

(١) شجر مثمر من فصيلة الورديات، وهو نوعان: نوع بذره مر لا يصلح للغذاء، ونوع بذره حلو يؤكل. ينظر القاموس (٦٤٠).

ويأكل الأخبصة الرطبة واللوزينج، والقطايف، والزلابية بالعسل، والسكر، ويشتم الشمام، والمرزنجوش، ويتنشق الأدهان.

أصحاب المزاج الحار الرطب

هؤلاء أقل ما يضرهم الباءة، بل كثير يضره تركه حتى يعتريهم الكآبة وسوء الهضم، وسقوط الشهوة ووجع البطن، وثقل ودوران وورم فى أعضاء التناسل، فمن عُرض له ذلك فليستعمل الباءة باعتدال والتقليل من الشراب، ثم يتطيب وينام نومًا كثيراً فإن ذلك يعيد قوته إلى حالها، ومتى رأيت البدن يعتريه بعقب الجماع نافض فاحش فاستفرغه بالأدوية المفرِّغة للمرار الأصفر، ثم عد إلى تدبيره وترطيبه.

أصحاب المزاج البارد الرطب

ينبغى أن يعنى بتسخين هؤلاء أكثر، فتكون أغذيتهم حارة إما بالطبع، وإما بما يختلط بها من التوابل، وليأخذ المربيات المسخنة، كالمشرودنطوس المعمول بالأسفيقون، ويشربون الشراب المادى، أو نبيذ العسل، وهو الأجود المصرى المسمى المزر. فإنه نافع لهم.

وبالجملة: فإنهم يحتاجون إلى الأدوية الحارة المشهورة بأدوية الباءة، فإن احتمالهم لها، وانتفاعهم بها بقدر ميلهم إلى البرودة.

أصحاب المزاج الحار اليابس

ليكن الغرض ترطيبهم وحفظهم من أن تشتعل بهم الحرارة الغريزية، وذلك يكون للأغذية المرطبة من البقول، وألوان الطبيخ، والسمك الطرى والبيض واللبن الحليب، والاغتسال الكثير بالماء الفاتر والبادر، والتمريخ بالأدهان المعتدلة، وترك التعب والحركات، والسهر والإكثار من الشراب الأبيض الرقيق بالمزاج الكثير، أو نقيع الزبيب الذى لا يكون فيه عسل، ويكون ما يأخذونه من أدوية الباءة الكثيرة الترطيب المعتدلة الأسخان، كالدواء المتخذ من اللبن والترنجبين، وأكل السمك المكبب، والبيض النيمرشت، ولحوم الجداء الرضع المعمولة باللوز، ودهنه بالسكر الطبرزد، والخبز السميد، والتمر الشهريز المنقوع فى اللبن.

فأما أصحاب المزاج المعتدل

فإن هؤلاء ينتفعون بحفظ أمزجتهم بالأشياء المشاكلة لمزاجهم من المأكول والمشروب، وسائر التدبير، ويسلك بهم فى التدبير مسلك أهل المزاجات الباردة اليابسة.

باب: علاج الانقطاع وإعلال الذكر

إن فى الذكر والأنثيين قوة تجتلب إليهما من جميع الجسد.

والحركة

إنما تكون فيها من الدماغ، وربما كانت من قبل المحبة التى تأتى من القلب، وربما كانت من القوة العارية التى تأتى من الكبد.

فإن كان ذلك من القوة التى من الدماغ:

فإن أداة الأعضاء العصبانية تسترخى وتضعف.

وإن كان ذلك من قبل القوة التى تأتى من القلب:

فإن حمية الريح وشدتها قد تستنقص، فمن أجل ذلك ينتشر الذكر ولا ينتفخ.

وإن كان من قبل الذى يأتى من الكبد عن نقصان رطوبة الكبد وقوتها المدمجة:

فمن أجل ذلك تقل الشهوة وتذهب وأيضًا فإن إذا كثر ماء الصلب والمنى، وكثرت الريح التى تأتى من القلب هاجت من بعض العلل كثير الإمزاء، وكثر انتشار الذكر، فإذا امتنع الذكر عن فعله، فانظر أى شهوة ذهبت، فعالج الأصل الذى نشأ منه.

فإن كان سببها للدماغ: فاجعل العلاج للدماغ.

وإن كان سببها للكبد، فعالج الكبد.

وإن كان السبب فيه مرض الثلاثة: فعالجها كلها كيف شئت، وأمكنك، إما تارة واحدة، وإما واحداً بعد الآخر.

وذلك أن القوى التى تصل إليه من الدماغ إذا امتنعت عن فعلها فى هذا العضو من قبل فساد مزاج عرَض فيه، أو فى مجارى هذه القوة امتنع بذلك العصب الذى يؤدى إليه الحركة، والحس من الدماغ، فعاق ذلك الذكر عن فعله.

فإذا امتنعت قوة الحرارة، والحرارة التى تنحدر إليه من القلب لضعف القلب، أو لشدة تعرض فيه، أو فى مجارى الريح إليه: لم يقم الذكر، ولم ينتشر.

وإذا امتنعت القوة التى تنحدر فى عروق الكبد وعروق الكليتين إلى الإحليل من الكبد، بردت عند ذلك شهوته، وامتنع عن فعله لفقد الغذاء.

وعلامات ذلك

إذا رأيت المنى يستنقص: فاعلم أن ذلك من قبل الدماغ.

وإذا رأيت الذكر لا يكون سرع الانتشار، ولا قوى الحركة: فاعلم أن ذلك من قبل عروق القلب.

وقد يأمر الأطباء عند غلبة الرطوبة الغريزية أن يتفض الأبكار.

ثم قال

وإن كان ذهاب الشهوة من علة فى الدماغ: فعالج الدماغ بأن تنظر، فإن كل من فضل اجتمع فيه، أو من شدة البخار فتّق ذلك بالأدهان، والغرغرة، والأيارجات، والكماد والصبّ وإن التكميد يحل، وكذلك الأدهان.

وأما العطاس: فإنه ينزل الفضول.

وأما السُّعوط: فإنه يفتح السدد التى فى المجارى.

فإن كانت تلك الفضلة من كيموس حار: لم يقربه شيء حار أصلاً، لكن تستعمل الأدهان الباردة، وصب اللبن.

فإن كان ذلك من ضعف الدماغ: فاستعطه بالسّليثا، وأشباهه. وقوه بكل ما تقدر عليه.

وإن كان ذهاب الشهوة من قبل الغم: فاسقه دواء المسك، وذلك إذا كان الغم من غير علة، فإنه إذا عرض بغير سبب، فإنما ذلك من قبل المرة السوداء زبيب كركم، فأخرج الدم الفاسد، وإسقه الأدوية المسهلة الغاسلة لأوساخ البدن، ثم أعطه دواء المسك، وما يجرى مجراه.

فإن رأيت ذهاب الشهوة من قبل ضعف الكبد: فاسقه الأدوية النافعة للكبد مثل رسكركم والأمروسيا، وأشباه ذلك فهذا أصل ما أورده إسحاق ابن سليمان فى شعره الذى نظمه فى هذا المعنى، ولم يورده على جهته لنباهته فى العبارة

فأما جالينوس فإنه قال

إن الأعراض اللاحقة لانقطاع شهوة الجماع، فهى:

أحدها: من كثرة الهم، والغم الدائمين.

والثانية: من رخاوة المفاصل.

والثالثة: من التعب الشديد.

والرابعة: من النظر للوجوه.

والخامسة: من احتراق بعض أوردة الأوعية.

والسادسة: الأورام والقروح العارضة فى الإحليل.

الأعراض اللاحقة لقلة المنى والشهوة وقوته، خمسة، وهى:

أحدها: من ضعف الأوعية، وذلك أنها إذا ضعفت لم يقدر على ضبط المنى.

والثانية: ضعف الكبد، وذلك أن الكبد إذا ضعف لم يحمل دمًا يصلح لذلك.

والثالثة: الامتلاء من الأطعمة خاصة الباردة اليابسة، لأن هذه تبرد العروق، فإذا بردت لم يخرقها دم وتكون ضد المنى.

الرابعة: من قبل السن إذا أمعنت فى الكبر قلّت منتها.

الخامسة: الجماع بغير استعمال الأدوية التى تغزر المنى، وتخلف ما ذهب منه، فينقص على طول الأيام ويقل.

وأما الأعراض اللاحقه للإنسان عند دنوه من المباشرة من الانقطاع خمسة:

أحدها: الفزع.

والثانية: الحياء.

والثالثة: كثرة البلغم المجتمع فى أوعية المنى، فإنه إذا حمى حميت أعضاء الجماع، وإذا دبت للحاجة انصب ذلك البلغم، فقطع حرّها وكسر حمّاها.

والرابعة: ينقص شهوة الذى يدنو منه خاصة، وأن يكون بغير شهوة غريزية.

والخامسة: قلة العادة بأن يكون للإنسان لم يعرف النساء.

فهذه الأشياء العائقة عن الجماع، والأعراض القاطعة لشهوته.

فأما الأحوال المانعة العائقة عن الجماع فإنها من جهة مزاج البدن:

فنقول: إن منها ما يحدث عن الحر واليبس.

وعلامته: أن يكون صاحبه كثير الشهوة بنظره وقلبه وفكره لكثرة الحرارة، وأن يكون

كثير الإنعاظ للحدة، والحرارة، وأن يكون نذر الماء لفرط اليبس.

وعلاجه: استعمال الأشياء الباردة الرطبة، كالسمك الطرى، ومن نبات الشبابيط، والبنى، واللبن الرايب، وخاصة رائب البقر، وأكل البطيخ والخيار[1] والقثاء[2]، وبقلة الحمقاء، والخس[3] والقرع والبقلة اليمانية، وما أشبه ذلك، وأن يدهن الذكر والأنثيين بدهن البنفسج[4]، ودهن اللينوفر، ودهن السمسم[5] المربا بدهن القرع، ودهن حب القرع.

والذى يجب للمحرور، أن يستعمله فى الصيف: أن يتعالج للزيادة فى الباءة، وخاصة الإنعاظ أن يمرّخ ذكره وأنثييه والركب وأسفل السرة بالبان الساذج، من غير أن يكون فيه مسك ولا عنبر ولا شىء من الأفاويه، وأن يأكل الهليون، والجرجير والنعنع[6] مع حبوب

(١) الخيار: نوع من الخضر يشبه القثاء.

(٢) نبات من الفصيلة القرعية أصل اسمها من اللاتينينة واسمها بالعربية القشعر، عرفها القدماء المصريون واستعملوا بذرها لإدرار الحليب والبول ولزيادة القوة الجنسية. أنظر قاموس الغذاء ص(٥١٧).

(٣) الخس: نبات عشبى من الفصيلة المركبة اللَّسَيْنيَّة الزهر التى منها: «الخس، الهندباء، والطرخشقون».
أصله نبات برى، وقديم جداً، وجدت بذوره فى آثار فرعونية، ووجدت له نقوش كثيرة منها صورة إله الخصب، والتناسل المشهور فى الأقصر، وقد تكدست تحت رجليه أكوام من الخس، وورد ذكر الخس فى ورقة إيبرس الطبية ضمن مركبات لوجع الجنب، وطرد الديدان والنفخة.
ينظر : قاموس النبات (٢٠١).

(٤) البنفسج: نبات من الفصيلة البنفسجية من ذوات الفلقتين كثيرة التويجيات، فيه أنواع وضروب كثيرة، ويستعمل الزهر كمهدى لآلام الالتهابات بشكل لُبْخات. وتمزج زهوره مع السكر وتجفف لاستعماله فى معالجة السعال والإمساك، كما أن جذوره تفيد فى مكافحة الإمساك. ويصنع من زهور البنفسج شراب مقو ومدر خفيف للبول، كما يفيد مغليه ضد الزُّحار، «الزنتارية» وأنحباس البول، كما أن منقوع زهوره يفيد فى أمراض الجلد، وهو منق وملين ومعرّق، وجذورها يحضّر منها شراب مقىء، وتجفف الزهور ويشرب منقوعها أو مغليها لتهدئة الأعصاب، وفى حالات الصرع. ولرائحة البنفسج تأثير مهيج للغريزة الجنسية. ينظر: قاموس النبات (٨٨، ٩٠).

(٥) السمسم: ويسمى السمسق وهو نبات حولى زراعى دهنى من القبيلة السمسمية يستعمل فى طبخ الأطعمة، وكان يستخرج منه زيت السمسم. ينظر قاموس الغذاء (٢٩٤).

(٦) النعنع: مسكن، مهدئ، هاضم، مقو، مانع للقئ، مزيل التشنجات، مرطب، منعش. وقد أمكن استخراج خلاصة منه بتقطير أوراقه. وأزهاره تؤخذ من الداخل لتهدئة الجهاز العصبى، ومكافحة آفات المعدة وجهاز الهضم، والتسممات كلها، وعاهات الكبد والمرارة، والأمعاء، وضد الخفقان، والدوخة، والوهن، وطفيليات الأمعاء، والمغص.
ينظر: قاموس الغذاء ص (٧٣٢- ٧).

الحولى من الضّأن والحمص المنقوع، والهليون بالفراريج الذكورة المسمنة بالحنطة والأرز بعد أن يطبخها بلبن الحليب وأن يأكل الشقاقل المربّا والأترج المربّى، والجوز[1] المربّا، وكل هذا بعسل الطبرزد وفى الشتاء بالزنجبيل المربّى بالعسل.

ومنها:

ما يحدث من البرد، واليبس:

وعلامته:

قلة شهوة الجماع من غير إنعاظ ولا تكون شهوة أصلاً، وربما كان المنى قليلاً يسيراً حاراً، وعلاجه بالأشياء الحارة الرطبة، مثل حبوب الحولى من الضأن، والهليون، والبصل الطرى، والنعنع، والزنجبيل والدار فلفل، والشقاقل، والسقنقور، وملحه، وإدمان أكل الحمص المنقوع مع ملح السقنقور، والزنجبيل، والفلفل فى الملح قبل الطعام، والانتظار عليه طويلاً حتى يعمل ويؤكل على وصفنا.

ومنها: ما يحدث عن البرد والرطوبة.

وعلامته:

قلة الشهوة للجماع والإنعاظ لمكان البرد، والمنى يكون كثيراً رقيقًا مأتيًا لكثرة الرطوبة.

وعلاجه:

بالأشياء الحارة اليابسة كأخذ الترياق والمرزنجوش واستعمال الفلفل، والخردل، والدارصينى، والفجل[2] النبطى، وأكل العصافير، وفراخ النواهض، والقنابر بالملح الذى

---

(١) الجوز: جنس شجر مثمر من الفصيلة الجوزية من ذوات الفلقتين عديدة التويجيات. جميل المنظر، كبير الحجم، يعمر طويلاً. وهو وفير الانتاج، يزرع فى أى مكان، وينمو فى التربة الغنية بالطّمْى. وله أنواع كثيرة. ينظر قاموس النبات (١٥٤).

(٢) الفجل: نبات عشبى حولى، أو ثنائى الحول، واحدته: فجلة. وفى الطب الحديث: تبين من تحليل الفجل أنه يحتوى على ٨٥٪ ماء، ومواد نشوية ومعدنية قليلة، ونسب مخفضة من فيتامينات (ب، ج)، وفى جذوره فيتامينات (أ)، (ج)، والكلسيوم والحديد، واليود، والكبريت، والماغنيسوم، والرافانول (وهو جوهر كبريتى). وقيل فى فوائده: إنه مشه، مضاد للحفر: مضاد للرشح، مطهر عام، وهو يقوى العظام، ويدر البول، وعصيره على الريق يفيد ضد الأحماض الصفراوية، ونوبات الكبد والرمال، ويعد الطعام يعين على الهضم وعلل الصدر. وينفع ضد السعال الديكى، وتخمرات الأمعاء. ينظر: قاموس الغذاد ص (٤٧٢).

فيه الفلفل والحلتيت، والدارصيني، ويتمسح بدهن الناردين، ودهن القثاء، والبان وفيه مسك وعنبر وعاقر قرحًا وجنديبدشتر.

وأما صاحب مزاج الحرارة والرطوبة

فمحمود للجماع مقوى مثبت ملائم لمذهبه.

وتقوية هذا المزاج: بالأشياء الحارة الرطبة من حبوب الحولى، والجزر[١]، والسلجم[٢]، والبصل، وصفرة البيض مع البصل الأبيض، والزنجبيل والدار فلفل.

فأما الأشياء القاطعة للمنى المجمدة له

فكل لطيف محلل للنفخ: كالسذاب، والفوتنج، والحرمل، والكمون[٣]، والمرزنجوش.

وكل بارد مجمد: كالنيلوفر والورد والخلاف[٤] والبزرقطونا والبنجْ والكافور.

وكل يابس قوى التجفيف: كالشهدانج والخرنوب، والجاورس، والعدس[٥]، والشعير، والجمار.

وكل الأشياء القابضة: والحماضية والمزة، والجامعة للحموضة والعفوصة كالحصرم[٦]،

---

(١) الجزر: بقلة عسقولية من الفصيلة الخيمية.

(٢) السلجم: هو اللفت وهو نبات زراعى دهنى من الفصيلة الصليبية ويستخرج منه زيت نباتى جيد كما يستعمل سلقه علفًا للمواشى. ينظر: قاموس الغذاء (٢٨٧).

(٣) الكمون: فى الطب الحديث: وصف بأنه يثير الشهية، ويكافح التشنج، ويدر الحليب، ويهضم. وفيه أكثر مزايا الأنيسون وخواصه، ولكنه يهيج الأغشية المخاطية، لذا يجب ألا يفرط الإنسان فى تناوله. مسحوقه ينفع فى بعض حالات الصمم ذروراً فى الأذن، وتفيد ضمادات منه فى احتقان الثدى والخصية. يشرب مغلى بذور الكمون بمعدل معلقة فى لتر ماء، ويمزج بمعدل جرام واحد فى قليل من العسل. يصنع من الكمون شراب يسمى «كوميل» يضاف إلى بعض الأطعمة لإعطائها طعمًا طيبًا. ويستخرج منه زيت لتعطير الحلويات، كما يستعمل فى صنع العطورات، وفى صنع الخبز والكعك والمخللات، ويضاف إلى كثير من المآكل وبخاصة الشرقية القديمة. وفى هولندا يدخل فى صنع الجبن. وفى ألمانيا وغيرها يضاف إلى الفطائر والخبز لتعطيرها. ينظر: قاموس الغذاء (٦٠٩).

(٤) هو: الصفصاف.

(٥) جنس شجر من الفصيلة القرأصية تزرع لثمرها يأكله الإنسان، وورقها يأكله دود القز وله أنواع كثيرة . ينظر قاموس الغذاء (١١٩).

(٦) الحصرم: هو أول العنب ما دام غضًا (أخضر)، ويسمى «حِصْرِمًا» و «كَحْبًا». وصف فى الطب القديم أنه: يعقل البطن، ويولّد رياحًا ومغصًا، والإدمان عليه يضعف المعدة. وإذا جفف فى الظل وسحق ودلك فى البدن فى الحمام نفع من الحَصَفُ اليابس الجرب وقوى البدن. ينظر: قاموس النبات (١٧٤).

والسماق[1]، والريباس، والرمان الحامض، التوت[2]، والسفرجل، والتفاح، والمشمش، والخل[3]، والشراب القهوة.

والبقول الكثيرة الماء والبرد: كالخس، والقرع، وبقلة الحمقاء، والأكشوث، والكسفرة[4] الرطبة، والطرخون، وبقلة اليمانية، والحماض، والهندبا[5]، والبازروج، والقثاء، والخيار.

(١) السماق: ويسمى: التمتم، والعبرب، والعربرب، والعنزب، والعترب.

شجر صغير من الفصيلة البطمية التي تشمل الفستق والبطم، والبلاذر الأمريكي وغيرها.

يزرع في كثير من بلدان آسيا وأوربا وأمريكا، وتعلو شجيراته إلى ١٥ قدمًا، وتظهر زهوره في حزيران، وتموز (يونيو ويوليو)، وجناه في أيلول وتشرين الأول (سبتمبر وأكتوبر) وهي تشبه العدس، ويستفاد من حموضتها في المآكل. ينظر: قاموس الغذاء ص (٢٩٣).

(٢) جنس شجر من الفصيلة القراصية، تزرع لثمرها يأكله الإنسان، ولورقها يأكله دود القز، ومنه أنواع كثيرة. ينظر قاموس الغذاء (١١٩).

(٣) الخل: تابع مائع ذو طعم نافذ.

وخل التفاح يقال: إنه أحسن أنواع الخل، وأن خل الفول هو أكثر الخلول إثارة للمعدة، وخل الحليب- وهو لا يستعمل إلا نادراً مع الأسف- يتولد من تخمر مصل اللبن، ويعتبر جيداً جداً لتنظيم عمل الأمعاء.

والخل يصنع- أيضًا- من عصير: العنب، والبرتقال، والشمندر، والبطيخ، والكمثرى، وقصب السكر، والتوت، والتفاح، وعسل النحل. كما يصنع من القمح والشعير والذرة والبطاطا- بعد تحول النشا إلى سكر بواسطة خميرة خاصة تسمى «خميرة الدياستيز» وتمكن العلماء من صنع خل بالطريق الكيماوية.

أهم المواد التي يتركب منها الخل: الماء، وحامض الخليك، ومن مواد صلبة وطيارة وعضوية ومواد أخرى تعطيه الطعم والرائحة.

إن حموضة الخل تظهر نكهة بعض الأغذية، وتجعلها أشد قبولاً ومذاقًا، وتساعد على هضمها. كم أن إعداد مرقة من الخل والزيت والملح يتفتح الشهية أكثر.

ولكن تناول الخل بكثرة يهيج غشاء المعدة، ويزيد حموضتها، والإفراط في تناول سلطات الخل يسبب آلامًا في المعدة وتخمرات في الأمعاء، وعسر هضم، ومغصًا، وقروحًا، تحتم الامتناع عن تناول الخل والمواد المملحة، والاستعاضة عنها بعصير الليمون الحامض.

ينظر: قاموس الغذاء ص (٢٠٨- ٢٠٩- ٢١٠).

(٤) الكزبرة: بقلة حولية زراعية من الفصيلة الخيمية تابل من التوابل المعطرة القديمة. ينظر قاموس الغذاء (٥٩٠).

(٥) الهندبا: بقل زراعي سنوي أو ثنائي الحول، ومحول من المركبات اللسينية الزهر التي منها. الخس، والهندباء، والطرخشقون.

ومما يضر بالباءة جداً: شرب الماء، والتخم المتواترة، وإتيان الحائض، والذى لم تؤت زمانًا طويلاً، واللواتى لم يَبلغن.

وأضر ما بالرجل المنهوم بالنساء من كثرة الوطء، الذى يتعاطاه بشدة الرهز وقوة الطعن، فإن ذلك مما يقطع المنى ويورث البَهَر، ونفخًا عند قفا الظهر.

ومن العلل التى تعرض فى الإحليل: خروج المنى فى غير وقته.

وذلك يكون من ست جهات:

الأولى: أن يقلل الإنسان من الجماع، فيحتبس المنى، ويجتمع الأول فالأول؛ فإذا كثر فى موضعه سال وخرج.

ومنها: أن تضعف مواضع المنى، فلا يقدر على حبسه لضعف المسام الحاسة، لأن الله تعالى جعل فى كل عضو قوة حابسة تحبس الشىء إلى استكمال المنفعة به.

ومنها: من شدة القوة الدافعة، فإنها إذا قويت دفعت المنى بغير إرادة من الإنسان.

ومنها: من قبل رقة المنى ولطافته، فلا يحتبس فى مكانه كالجرَّة يكون فيها عسل، فلا ترشح، فإذا جعلت فيها ماء رشحت.

ومنها: من شدة حرارة المنى وقوته فإذا كان حاراً لم تستطع مواضع المنى من حبسه لفرط حدة الحرارة.

ونظير ذلك الماء الحار يصبه الإنسان على كفه، فيورثه حرارته فيصبه من كفه مستفرغًا.

ومنها: من فساد مزاج يابس مقبض فيسيل لمكان العصر العارض من المثانة.

وإذ قد ذكرنا قبل من كلام الأطباء فى علاج الانقطاع، وأشباهه فلنذكر الأن بعض كلام الفضلاء فيه، ومن شكا إلى قومه أمر الجماع.

= تسمى الهندبا: الهِنْدبا، الهِنْدَب، الهِنْدِباء، اللُّعَاعَة، ولفظ هندبا من السريانية، والأصل يونانى. وتوصف بأنها نبات ذو جذر وتدى طويل، وساق متفرعة، وأوراق قاعدة، وأزهار زرق.

أما خصائص هذا النبات فهى: مقو مر، مرمم، ضد فاقة الدم، مشه، معدوى، مطهر، مدر، مسهل خفيف، مفرغ للصفراء، دافع للحمى، طارد للديدان. ولذا يوصف فى حالات: فاقة الدم، والآفات الكبد، وأجهزة الهضم، ومسالك البول، والإمساك، والنقرس، والتهاب المفاصل، والرمال والحصى، وفقد شهية الطعام والوهن النفسى والأراض الجلدية. ينظر: قاموس النبات (ص٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥).

قال سليمان بن على

قلتُ لرؤبة بن العجاج: ما عندك فى هذا الأمر يا أبا الجحاف؟

قال: يمتد ولا يشتد، فأظمأ، ثم أورد فلا أشرب.

فقال سليمان بن على: ذلك الكبر.

قال رؤبة: لا، ولكنه للرعاث، لأن الناقة إذا بركوا عليها الفصيل فرَّغت كل شيء من ضرعها فقطع ذلك أصل اللبن.

وقال الحجاج بن يوسف لإكيل بن السراج العكلى: ما عندك للنساء؟

قال: والله إنى لأطيل الظمأ، وأرد فلا أشرب.

وقال بعض الأكاسرة: كنت خائفًا إذا أنا كبرت الأير ذمنى النساء، فإذا أنا لا أريدهن.

قال الشاعر:

فأما الحسان فيأبيننى   وأما القباح فآبى أنا

ونظر شيخ إلى سرب من نساء كأنهن الأقمار.

فقال: خزاهن الله وأخزى من يبغضهن.

وقال محمد بن زياد

قلت لشيخ: ما عندك فى النساء؟

قال: القلب مسترع إليه وليس غير ذلك.

وكان معاوية بن أبى سفيان يقول: ما رأيت رجلاً منهومًا بالنساء وإلا رأيت ذلك فى منته.

قالوا:

والدليل على من قل نكاحه: أنه يكون أصلح مُنَّةً وأظهر جلداً وأجود لبدنه وأظهر سُمْنًا.

وقد قال بعضهم: وأطول عمراً.

وما يجد ذلك فى جميع الحيوان وذلك أن الشفنين طائر يحب أنثاه، وهو شديد الهيج كثير السفاد، فإذا صيدت أنثاه استوحش، ولم يطلب أنثاه أبداً، فهو مزول بالكمد ويسمن بالتأهل.

وأنشد أبو عبيدة:

عجبت من أيرى كيف يصنع
أدفعه بإصبعى ويرجع
ويقوم بعد الجهد ثم يضرع

وقال بعض الأعراب:

قد كان أيرى يا أميم حرا
عند الهياج مسعداً مبراً
فصار ما يزداد إلا شراً
حتى إذا ما قام واسبطرا
وانتفخت أوداجه ودراً
عاد إلى خاسئًا مُزْوَرًا
كأنما أسقط شيئًا مُراً
أريد بحراً ويريد براً
يا لك من أير حزيت شراً

وقال آخر:

أصبح يرى نائمًا عروقه
وليس فى الناس حر يذوقه
لا خير فيه يعجبه تَبْرِيقُهُ

وقال أبو عمرو الجرمى:

أقول لها أقيمنية فقالت ... فديتك لا يهم ولا يقوم
إذا ما كان أيرى ذا خلاف ... على مع الزمان فمن ألوم

قالوا: ومتى خاف الرجل أن ينقطع إذا قعد ذلك المقعد انقطع. ومتى فكر فيه وهو فى العمل فتر.

ومن الناس من ينقطع عن أمته وزوجته إذا سمع فى البيت الآخر كلام أو خاف أن يدخل عليهما بعض أهل الدار.

وقال بعضهم: ليس فى الأرض مطلوب ألم من أير.

وقال الأصمعى: روادت أعرابية شيخًا عن نفسه، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أبطأ عليه الانتشار فأقبلت تستعجله وتوبخه.

فقال لها: يا هذه إنك تفتحين بيتًا، وأنا أنشر ميتًا.

وأنشد:

يالهف نفسى على نعظٍ فجعت به ... إذا التقى الركب المحلوق والركب

قال الأصمعى: انظروا كم بين هذا الشيخ وبين الشاعر الذى يقول فى نظر الغيرة:

نظرت إليها حين مرت كأنها ... على ظهر عادى فتاة من الجن

ولى ناظر لو كان يحبل ناظر ... بنظرته أنثى لقد حملت منى

فإن ولدت ما بين تسعة أشهر ... إلى نظر أنثى فإن ابنها منى

وحدّث محمد بن أحمد بن مخزوم، وهو أبو الحسن الورّاق:

قال: حدثنا أحمد بن محمد القرشى، قال: سمعت سويد بن سعيد يقول: أى شىء معنى قول القائل:

أنعمى أم خالد ... ربَّ ساع لقاعد

قلت: فقد روينا عن معاوية فى زوجته أم خالد.

فقال: لا، بل كان بالكوفة رجل لا يكاد يتحرك عليه إحليله، فدعا بجارية فغمزته، فتحرك عليه فجلس من الجارية مجلس الرجل من المرأة ففطنت امرأته، وكان يقال لها: أم خالد، فجاءت ونحت الجارية، ودخلت موضعها فجعلت الجارية تدور فى الدار، وتقول:

أنعمى أم خالد، رب ساع لقاعد.

فأرسلتها مثلاً.

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمى:

حدثنا أبو العيناء عن بعض أصحابه قال: اشتريت جارية مليحة، فقمت إليها فلم يقم علىّ.

فأخذته بيدها وقالت: يصلح للمضير.

قلت لها: كيف؟

قالت: يا مولاي أليس هذا بقلة الحمقاء .

صفة طلاء لاسترخاء الذكر:

يؤخذ: شيء من بَوْرق، وشيء من ورس، فيعجن بعسل منزوع الرغوة، ويلطخ به الذكر، وما حوله، وليدمن ذلك أيامًا.

فإنه عجيب.

* * *

باب: من الحيل فى الباءة وأحواله

الحيلة للرجل السريع الإنزال حتى يبطئ:

أن يشغل قلبه، وهمته عن المرأة بشيء يشغله عن شهوتها، وأن يتذكر غير ما هو فيه من سائر الأمور كالعذاب، والحبس، وما أشبه ذلك.

والحيلة للبطئ الإنزال:

إذا كانت المرأة أسرع منه أن يشغل قلبه بها، ويصرف شهوته كلها إليها، ويتوهمها الغاية فى الحسن والجمال، ولذة المنكح وإن لم تكن كذلك.

والحيلة فى جماع المرأة الهرمة:

أن تشد ركبتها فى حقوها شداً محكمًا، ثم تجذب جلدها كله إلى فوق الشد حتى ينبسط شناج حرها ومايليه، ثم تفتح فى سراويل المرأة موضعًا موازيًا لحرها فيأتيها منه.

الحيلة فى جماع المرأة الواسعة:

يجعل تحت عجزها مخدة حتى ترتفع، وتمد إحدى رجليها، وتضم الأخرى، وتجامعها من قدام.

الحيلة فى تهييج غلمة[1] المرأة:

أن تفرك حلمة ثدييها، فإنها تهتاج هياجًا شديداً، ومما يشهد صحة ذلك أن المرأة إذا حملت انقطع لبنها لأن بين الثدى والرحم اتصالاً.

فى الخواص:

قالوا:

إذا أردت أن تأتى امرأتك وهى نائمة لا تعلم:

فخذ ضرس إنسان ميت، وعظم هدهد من الجانب الأيمن، فصيرها جميعًا فى خرقة، وضع الصرة تحت رأسها، واصنع ما شئت.

(١) غلمة: أى الشبق والشهوة.

فإنها لا تعلم حتى تأخذه من موضعه.

صفة قفل الأير:

كانت لأبى الخطاب بن صباح جارية تهوام، فحملها الشغف به، والغيرة عليه أن عملت هذا القفل وأنفذته إليه، وطالبته بأن يقفل على ذكره.

وصفته:

وهو أن تعمل حلقة صغيرة سعتها مقدار امتلاء الأير، وهو غير قائم، ويكون فى وسطها لولب كالخلخال، ثم تجعل فى رأس كل طرف من أطراف الحلقة شاخة قائمة قوية، ويكون فى رأس كل شاخة شاخة أخرى معكوسة رقيقة، مثل ما يكون لفراشة القفل، ثم تعمل أنبوبًا لطيفًا مفتوح الرأس الأعلى، ويكون على الرأس الأسفل فليس مثل ما يكون لأسفل القفل، ويكون فيه ثقبان لتدخل فيهما الشاختان كدخول الفراشة فى القفل، فإذا أريد فتحه أدخل فى الأنبوب مفتاح لطيف لتضم الشاختان، فينفتح وإن أريد قفله على الذكر أدخله فى الحلقة، فإنه إذا كان فيها لم يقدر على القيام.

فلما وصل هذا القفل إلى أبى الخطاب وقف عليه، وقال للرسول: قل لها: تطول من كل جانب من جانب شفريها ثلاث طاقات من الشعر النابت عليها حتى أجمعها، وأعقدها، وأضع عليها أسرجه وأختمه، فإذا فعلت هذا، قفلت أيرى كما رسمت.

صفة خطاف الحر:

يؤخذ ذنب حمار وحشى صغير، فتحلق الشعر الذى عليه، ويطلى بخطمى، ويأخذه الرجل فى كمه.

فإذا قعد الرجل من المرأة مقعده أخذه وأدخله فى حرها، فإنها لا تشك ألبتة أنه أير قائم، فإذا أراد أن يخرجه لحقها أمر عظيم لأن أصول الشعر الذى فى الذنب مستقبلة لشفريها.

الحيلة فى مطالب المرأة بالمضاجعة:

أن تطرح فى الماء الذى تستنجى به كسجك، وهو الذى يطرح على قفا الرجل، فيحكه ذلك فلا يزال يحكه حتى يصفع نفسه.

وإن شئت أن تجعله فى الإبريق الذى تتمسح به المرأة.

وأقوى من ذلك: أن يؤخذ زنجار وشبًا، ويسير من نوشادر، فيسحق ويجعل فى الماء، فإنه يقع عليها حكة عظيمة.

قال أهل المعرفة بالأشياء:

إن أراد الرجل جماع المغنية، فلن يدرك بغيته منها، أو يرضى للزامرة والرقيبة قبل المعشوقة، فليحمل على نفسه وإن كانت الزامرة سوداء ذات مشافير، والرقيبة عجوز بيضاء العذائر، وإن كان الرقيب مخنثًا، فبخ بخ، هناك سعد جد العاشق، وثلج صدره، وملك الأمر، فيجامع المخنث فردين، ثم يجامع الزامرة فرداً، ويظهر للمخنث أن الداعى له إلى ذلك خفة روحه ولين بدنه، وضيق معره، وحسن فتحته، وحرارة جوفة، وأنه أطيب من المغنية جماعًا، وأجود أوراكًا، وأملح انفراكًا، وأن يتفقده بيسير من البر ويطرح له إذا جلس مخدة، وإذا شرب حيّ.

ومن المخدرات:

قال جالينوس. مما يسرع السكر:

قشور الأترج، وصمغ الخشخاش، وبنج أسود، من كل واحد نصف درهم، جوزّبوا، وسك، وعود، من كل واحد قيراط، يتخذ أقراصًا، الشربة منه دانق.

تفاحة تسكر سريعًا إذا شمت:

ميعة، وزعفران، وحمام، ولقاح، وقشور أصول اليبروج ينعّم سحقه، ويتخذ منه تفاحة منقشة وتشتم.

حب يُسْكِر:

مَرّ، وميعة، وبزرينج، ويبروح، من كل واحد دانق، أفيون وسك من كل واحد قيراط والشربه قيراط.

بخور يُسْكِر: تفاح بقشره، حماها، واصطرك، ولبنى، وزعفران، تجعل بنادق وتبخر به. فإنه يسكر.

آخر:

بزرينج يطبخ بالماء حتى يغلظ، ثم يؤخذ يبروج وزن دانقين، أفيون دانق، ودانق سك، يجمع ذلك، ويعجن بوزن درهم من ماء البنج، ويذاب فى رطل شراب ويسقى.

دواء يسكر ولا يُغشّى:

قشور اليبروح، وأفيون من كل واحد نصف درهم، جوزبوا، وعود من كل واحد دانق وهى الشربة.

دخنة تنوم: تأخذ ببروج جزء، وقماشير مثله، ويسحق ويعجن بماء شجرة الحرمل الرطب، فإذا أردت أن تدخن به فسد أنفك بقطنة مروأة من الدهن.

سراج:

من كان بين يديه غُشى بصره، ومن كان خلفه رأى كل ما فى البيت:

تأخذ شحم الدلفين، وهو المعروف بالدخس يذاب حتى يصير دهنًا، ثم يؤخذ خرقة من الكتان، ويسحق شيئًا من زنجار وينثر على الخرقة وتعمل منه فتيلة، وتسرج بذلك الدّهن فى سراج نحاس.

غالية منومة:

يؤخذ أصل الشيح وأصل اليبروح وأصل اللفاح، وأصل الجوز بوا من كل واحد وزن دانق ومن بزرالخس، وأصله من كل واحد نصف درهم، يدق الكل ويصب عليه غمره ماء عذب ويجعل فى شمس حارة خمسة عشر يومًا، يحرك كل ساعة ويصفى ماؤه ويؤخذ ثقله، ويلقى على كل شىء منه دانق مسك وقيراط عنبر، ودانقين بان، ويجعل فى إناء زجاج ويشد رأسه، فإن أردت أن تطيب به من شئت، فإنه ينام فإن تركته طويلاً هلك.

حلهُ:

تجعل رجله فى ماء حار وتدلك لسانه بصل، ويصب فى حلقه دهن لوز ويقطر فى أنفه نقطة.

فإنه يفيق.

دخنة تنوم:

يؤخذ جزء الحمام وجزء لبنى يابسه، وجزء يبروح وجزؤ مقل أزرق، يسحق ويلقى ع لى البان وتسد أنفك لئلا تنام أنت.

دُخنة أخرى:

دانق بزرينج مثله أفيون مصرى ومثله بذرخس، يدق الجميع وينخل وقت الحاجة، ويقى منه وزن دانق ونصف فى النبيذ.

وقيل لبنادخت: كيف ينبغى للمرأة المعاشرة للزوج؟

قالت: الأزواج ثلاثة:

منهم: الديوث.

ومنهم: ربُّ البيت.

ومنهم: الزوج.

فأما الزوج: فينبغى للمرأة أن تعاشره بإظهار مودة محضة، وتلاطفه وتواتيه بالعفاف، وكثرة ذكر فضله على الرجال وتصلح بيته، وتوقره، وتظهر الشفقة عليه، وأن يكون منها فى ذلك المبالغة، فإن رأت شيئًا عليه عيانًا كذبت بصرها، ولم تصدق.

وأما الديوث: فتقول له: نام فإنك رمد العين قد عملت مرهمًا، وضعته على عينيه وشدته وتفرغت لعملها.

وأما رب البيت: فعاشريه بالتجربة، وعامليه بالجميل، فإذا فعلت ذلك بلغت هواك.

* * *

باب: فتاوى الباءة

سئل بيناقس الحكيم: عن الكلمة الكاذبة فى سبب الجماع؟

فقال: إياكم معاشر الفتيان أن تخرج هذه الكلمة من أفواهكم، وإنها سر كبير، وهى قوام أمرنا، اعلموا أن حياتنا الكذب وحقًا أقول لكم:

إن أصل الجماع ومرامه ومطالبه الوصول إليه والظفر بما يلتمس منه إنما هو اليمين الكاذبة، فإذا وقع أحد منكم على رتبة يتخلص منها، ولم يفلت إلا بها فأول أمر الجماع وواسطه وآخره وحافته الكذب، ونحن معاشر المجان لا مخرج لنا من التهم عند من التمس عثراتنا، ولا عيش لنا فيما تطالب به النساء بغير الكذب، كما لا عيش للبذر بغير الماء.

وقال آخر:

لولا اعتصامى بالكذب عند فرطات وقعت فيها واستغاثتى به، لعدمت حياتى.

وقيل لبيناقس: أى الأيور أحب إلى النساء؟ الغليظ الكبير أم الدقيق الصغير؟

قال: ما سمعت قول القائل: أحسن أصنافه القشيرى الغليظ الكبير، الضخم الكمرة، المكتنز الناتئ العروق المشرف المتنين العريض القفا، الركين الأصل، الذى إذا اشتد نعظه طمح رأسه طموح الفرس الطامح، فذلك الذى يكرم مثواه، ولا يستبدل به سواه.

وأما الأير الذى هو المعقف الشبيه برجل الغراب، الدقيق أصلاً، الواهن وسطًا، والذابل فرعًا، فاعركوا أذنيه، وادفعوا فى قفاه، واطردوه، ولا تأتوه، وأهينوا مثواه، واتخذوا سواه.

وقيل له: أيهما أجود وألذ الحرّ الضيق أم الواسع؟

فقال: الضيق من الأحراح بمنزلة اللحاف الدفئ فى الشتاء.

وأما الواسع فبطئ العمل.

وأفضل أحوال الحر وأحمد تباشيره:

ضم المرأة فخذيها عند جولان الأير فى قعر حرها.

وقيل له:

الشعرة الطويلة: خير أم المحلوقة؟

فقال: الشعرة الطويلة: تبرد النفس، وتطفئ الحرارة وتطرد الشهوة وتحل نيركى الجماع.

والمحلوقة:

تهيج الشهوة، وتضرم نارها، وتشعل توقدها والتهابها ويشهى الجماع، وتشفى القوم.

سئل غيره عن الحرّ النقى والركب المحلوق؟

فقال:

إن ذاك يُشبه بالفرس المعقود الشعر، والذنب على حاله جريه فى الوحل والردعة.

وقال آخر:

الشعرة الطويلة: تطفئ شهوة الجماع، وتخمد نار الأير، وتذبله، وتصده عن الحر.

والمحلوق:

يسحب الفؤاد ويحيى الشهوة، وينعظ الأير وينشطه، وإنما يحلق ميعاداً للجماع وتأميلاً له.

وأما الركب المثقل الشعرة:

فإنه يغلظ الأير، ويزيده استنباها، ونشاطًا إذا أمرّ على تلك الشعرة.

وقيل له:

ما تقول: فى شدة الرهز وقوة العصر وسل الأير بشدة فى هذا الحال؟

فقال: إن هذه الصنعة شريفة، لها لذة قاصدة، ومثلها فى الطيب، واللذاذة كلذاذة نزوان فيل على شاة.

فأما الزهر:

فمنه تهييج الغلمة للرجل، ونشاط له، وشحذ لقلبه، وإثارة شهوته، وجلبًا للجماع، وفضول إلى قضاء النهمة، كما أن السفن تسرع الجرى فى الأنهار، وتقطع الطريق البعيدة بشدة الحذف، وكذلك الأير يسرع عمله بالرهز، والسحق، والحك، واللمس، والعصر، والجماع يطيب بالغمر، وكثرة الرفع والخفض، والنصب، والنشط، والقبض، والتقديم،

والتأخير، والهمهمة، والصهيل، والنخير، والمحمحة ومداومة الصفق، وجودة السحق، والتقريب بالأير فى الحر والتصعيد والجولان فى تربيعة وتثليثه وزواياه وأسكتيه، والترقب به فى كل صدعة وهذه أحوال لا يظفر بها الأديب الماهر والأريب الخابر.

ووصف آخر الرهز بالبته قال:

يكون من لدن فرج المرأة إلى السرة، وتدمن المرأة للضرب به على بطن الرجل متابعًا جواب ضربه، ولهذه الصنعة من الفضيلة على سائر صنوف الرهز كفضيلة المسك فى الذكاء على الأفاويه وفضيلة الذهب على كل الجواهر.

وقيل لبينافس الحكيم:

هل يقصم الظهر إذا أخذها الشهيق وثارت شهوتها للجماع؟

فقال:

كما أنه يتحرك من الرجل عند شهوته للجماع طوماره، كذلك المرأة عرق متصل من لدن سرتها إلى ركبها يسمى عرق الرجل، فإذا اشتهت الجماع قبض ذلك العرق، كما أن الإنسان إذا اشتهى الطعام والشراب لا يجد لفيه حكاكا، ولكن تثور الشهوة من باطن الإنسان، وكذلك شهوة النساء للجماع.

وقيل له أيضًا:

أيما ألذ الحر الواسع أم الحر الضيق؟

فقال: الحر الصلب الضيق: إنما هو بمنزلة الدثار فى الشتاء.

والحر الواسع: يبطئ العمل فيه، ولكن إذا كانت صاحبة الحر الواسع نحيلة، كان من الحيلة لها أن تضم فخذيها وتسخن الجماع لها برهزها من أسفل.

قالوا: وجماع الأقلف: ألذ للمرأة من جماع المختون، وذلك لأن السحق والمسح واللمس والشك مثل تلك الأيور على لون قلفها عليها، وهو ألذ للمرأة وأطيب لطعم جماعها من الأيور المختونة المعراة، التى تمرق من الحر مرغية ومسلوكة وساحقة.

وقالت بينادخت:

يحتاج من أراد من النساء أن تظفر بلذة الجماع من الشباب: أن تعتمد على التهيئ والتنظيف ليدوم لها مداعبة الرجال، ومفاكهتهم.

وأن تخضع فى القول لهم برخامة المنطق، والأحداق بالنظر مرة ومرة مسارقة والتبسم فى وجوههم، وعرض نفسها عليهم، ودعاء كل رجل إليها، والبشاشة بهم مع حديث يشغل القلب، ويهيجه.

وأن تكون النورة والزرنيخ مخلوطين فى بيتها حتى لا تزال ركبهن محلوقًا منضّفًا، وذوائبها مقضبة، وثيابها تضاف مصبغة، وخدها ومعانيها مطيبة.

وأن تكون لوجهها غاسلة، ولشعرها إن كان فيه فضلة من حاجب لاقطة.

وأن تستعمل المُرْتك فى كل يوم بالماء البارد فى إبطيها فإنه رأس الطيب.

فإذا اشتهت الجماع وأرادته: فلتغسل رأسها وتطيبه بالدهن، ثم اللخالخ الفاضحة الروائح وتستعمل السواك، والخلال.

ثم تمضغ ما يطيب الفم من الطيب.

ثم تستعمل الكحل، فإنه داع لتهييج الجماع.

ثم يعمد الرجل الذى يريد أن يجامعها فليغسل رأسه ويطيبه بالدهن الطيب الرائحة، ويضمخ جسده ومعانيه بطيب غير الذى تطيب به المرأة مما يشمه الرجال، ويحشو منخريه وأذنيه بالغالية الفائقة.

ثم يمزج له ماء الورد بالبنفسج، ويصبه على هامته، ومفرقه.

وأن يجعل طعامه وفى المرق الشىء المنعظ الزائد فى الماء المهيج للجماع.

وتسقيه أيضًا من الشراب الطيب ريحا، اللذيذ مذاقًا، فالذى فيه بعض الحلاوة، الصافى الذى ليس بالصلب فيقطعه عن الجماع.

وتجعل لباسها عند الشراب الثياب الرقاق، وهو أيضًا ليرى حاله ولتقبض هى على أيره والرجل على حرها.

ولا تزال المرأة تغمز أيره من غير أن تمده حتى يستدر نعظًا، ويسخن وتمتد عروقه فى يدها، فإذا اشتده هاجا جميعًا.

ثم تسقيه الشربة الثالثة بيدها اليمنى وهى ماسكة أيره بيدها اليسرى، وتثنى عصره، ولتقلب عينها، وتنود برأسها، وتلمظ بفيها.

وتدنو منه فاتحة فاها بعض الفتح كأنها تلهث، قد أرخت رجليها، وزخفت إليه حتى

ألصقت صدرها بصدره، ووضعت كمرته فيصدغ حرّها ثم ترفع رجليها، فتضعها على منكبيه وضعا يستبين به فلق حرها، وركبها.

فعند ذلك يدس أيره فى حرها حريصًا جاهدا معتمداً جماعها بكل قوته ويديه مع الرهز، الذى كل ستة، اثنى عشرة هزة.

فإذا فعلت ذلك جرت حلاوة الجماع ولذته فى جميع عروقها ومفاصلها وأصلح لها جسمها وأنماه وأطراه كما يرنو زكو العطار من الشجر والكرمة إذا ساح بها الماء العذب الزلال.

فهذا نوع من كلام علماء الفرس بصناعة الباءة.

فأما فلاسفة الهند الذين تكلموا فى هذا العلم:

فإنه يختلفون فى إنزال المرأة.

وبعضهم يقول: إنها لا تنزل.

وبعضهم يقول: إنها تنزل إنزالاً متتابعًا، والدليل على ذلك أن أحدهم كان يذكر أن لذة الرجل عند الغشيان أفضل من لذة المرأة، وذلك أن الرجل ينزل والمرأة لا تنزل، وأعظم ما فى الغشيان من اللذة لذة الإنزال.

وقد تجد المرأة اللذة على مقدار ما فيها منها: لأن الذى فيها من قبل وجهين.

أما أحدهما: فإنه يحدث بها عند الغشيان حكة لا يذهبها إلا حمل الذكر بالمجامعة، فإذا خالطها الرجل ذهبت عنها تلك الحكة.

ومما يستدل به على أن لذة الرجل، إنما هى الإنزال وأن لذة المرأة ليست فى الإنزال:

أن الرجل إذا غشى المرأة لم يزل عليها مقبلاً ولغشيانها مستلذاً وعمله قويًا، حتى ينزل، فإذا أنزل؛ انكسر ذلك كله منه وفتر، وضعفت قوته، وتنحى عن المرأة، ورفض كل ما كان فيه.

والمرأة ليس بضعف قوتها ولا تفتر شهوتها ولا تزال لذتها متصلة لا غاية لها.

وإلا لو أنها كانت تنزل لأظهرت عند إنزالها من الضعف والفتور، والكراهة للرجل والرفض له مثل ما فعل الرجل عند إنزاله.

فإن قال قائل: فإنا قد نرى أحب الرجال إلى النساء أطولهم مجامعة، وأبطأ إنزالاً.

فيقال: إنه ليس ما يحب النساء من مجامعة الرجال إبطاء إنزالهن، إلا لطول لذتهن

فى الحكة كما أن شفاء أصحاب الجرب أن يطول حكهم إياه. فلذلك أحببن طول المجامعة. وهذا قول من قال أنهن لا ينزلن.

وقال أيبران:

إن بقاء شهوة المرأة لطول مجامعتها ليس لإنتظارها الإنزال فى آخر أمرها كما قال أذالقى الحكيم، بل إنها لا تزال تنزل من حين مجامعتها للرجل إلى أن يقضى حاجته منها، فإنها تنزل متتابعًا مقبلاً بعضه على إثر بعض، فهى تجد عند ذلك لذة وقوة.

أما الرجل فإنما يكون ذلك عند فراغه فى آخر أمره.

وعارضه فيلسوف آخر فقال:

إن قول أيبران إن النساء ينزلن إنزالاً متتابعًا متصلاً لقريب من الصواب، وذلك أنا قد نعلم أنه يكون الحبل من المرأة إلا من التقاء مائها وماء الرجل فى حالة واحدة، نزل ذلك على أن إنزالها مع إنزال الرجل الذى من إنزاله يكون الحبل بالتقاء الماءين.

وإنى لأظن أن أذالقى قد أخطأ فى قوله:

إن المرأة لا تزال تنزل من أول مجامعة الرجل إلى انقضاء شهوته، لأنا قد علمنا ما شأن النساء الحب لطول المجامعة، والكراهة لقصر مدتها فإذا كانت تنزل ماءها الذى فيه لذتها وبه قوتها، فإن حاجتها إلى طول المجامعة، وكراهتها قصرها، وقد قضت لذتها وذهبت شهوتها.

وقد بحث فى قوله مستأنفًا فى حاجة المرأة إلى طول المجامعة، وإن كانت تنزل فى أول أمرها، فلذلك إنما تنزل ماءها متصلاً شيئًا بعد شىء، فيكون آخر ما تنزل من مائها من الرجل ما يكون فى أوله، فلا تزال تجد لذة ما جامعها الرجل، ولا تزال تطلب المجامعة، لأنها من تتابع اللذة إلى أن تنزل آخر مائها.

فإن طعن طاعن فى قول من قال: إن إنزال المرأة متصل، ولذتها متصلة متتابعة، فقد أخطأ.

وقال أذالقى الفيلسوف:

إن كانت شهوتها من حيث يغشاها الرجل إلى أن يفرغ مختلفة منها متصلة؛ لأن إنزالها الماء متصل متابع فما بال أحوالها، مختلفة، فقد تراها تحدث فى حال الجماع من

أوله إلى آخره من المرأة أشياء لا تشهد بما ذكر من اتصال لذتها وبقاء شهوتها.

فمن ذلك: أن امرأة تبتدئ المجامعة حين يبتدئ بها المجامع ببعض الفتور والانقباض وضعف الشهوة، وقلة النشاط إلى الرجل، والإقبال عليه، ثم يكون ذلك منها فى وسط المجامعة، حتى ربما أفرط من بعض النساء فيذهب من أجله عقلها، ويذهلها عن كل شيء ثم لا يخلو أن يأتى عليها بعد ذلك حال تكره ما هى فيه، ويضعف قوتها لشهوتها له، حتى تبكى وتستعفى منه، فلو كان إنزالها متصلاً لاتصلت لذتها معه، وبقيت شهوتها ببقائه، وكان مع كل شيء من الإنزال قسط من الشهوة ولم يختلف فى حال ضعف ولا فى حال قوة.

وقد يرد ذلك عليه أن يقال له:

إن فتور شهوة المرأة فى أول أمرها، وآخرها، وقوتها فى وسطه؛ ليس بدليل على أن إنزالها ليس بمتتابع، وأن لذتها ليست متصلة، وإن من شأن كل متصل من الأعمال الفتور، والضعف من أوله وآخره، والقوة فى أوسطه كالرُّحى الذى يعمل عليها صاحب الفخار فإنه يديرها فى ابتداء إدارتها فتكون ضعيفة الدوران بقدر ما حركها، فكلما أدارها ازدادت قوة إلى وسط أمرها، ثم تزداد فتوراً وضعفًا إلى آخر فراغه من عمله.

ومثل ذلك:

دوارة العلاج فإنه إذا أرسلها يكون فيها بضع الاضطراب، ثم إذا استحكم دورانها اشتدت حتى يظن من رآها أنها قائمة، ثم تفتر فى آخر أمرها.

وكذلك تبتدئ المرأة فى الشهوة ببعض الفتور والضعف والكراهة، ثم يقوى ذلك منها ويستحكم فى وسط أمرها، ثم يضعف فى آخره.

وقال مابتانى الفيلسوف:

أما كراهة المرأة للغشيان عن آخر أمرها، فإنما ذلك لأن ما معها يضعف وتقل شهوتها وتفتر بقدر ما ينقص من مائها، فتكرهه عند ذلك وتفتر عنه. ولذتها مع ذلك متصلة وشهوتها دارّة منذ حين ابتداء أن يجامعها إلى آخر أمرها مع بعض الضعف الذى دخلها النقصان وقلته، إذا أنزلت ما معها كله نقصت شهوتها كلها؛ لأن الشهوة هى مع الماء، فإذا أنزلت ذهبت شهوتها، وأما لذة الرجل بقاء شهوته وقوته فهو إلى إنزاله، فإذا أنزل، نقصت شهوته وضعفت قوته.

ويستدل بما وصفت من هذا: أنه كما أن الرجل جعلت شهوته ولذته فى إنزاله، فكذلك المرأة لا تنال اللذة إلا بالإنزال أيضًا. هذا خلاف القول من أذالقى الحكيم: إن المرأة تنزل كما ينزل الرجل.

وقال آخر:

ما بال المرأة لا يكون فى بدو لذتها وقوة شهوتها وما يتبع الشهوة منها كالرجل، فهما من صنف واحد ماخلا التذكير والتأنيث.

فقوله:

إنه لو كان لا يجمع بينهما إلا الحياة وكانا مختلفين فى خلقهما وصورتهما لكان أقرب لقول من قال: أنها لا تنزل من الصواب وأحرى أن يكون حقًا، فإن اشتبه على بعض الناس بأن لذتها ليست فى شىء واحد من قبل اختلافها فى عملها.

قيل له:

إذا كان فاعلاً والأنثى مفعولاً بها، فليس فى ذلك الاختلاف، فإن اختلاف العملين دليل على اختلاف مقدار لذتهما، وشهوتهما، لأن لذة المرأة فى غير ما شهوة الرجل، وأن الله- عز وجل- قدر فيما بين التقاء الذكر والأنثى مفعولاً بها من غير اختلاف من لذتهما، فإن كان ما يرى من ظاهر عملهما مختلف.

فإن الرجل ربما يطلب قضاء شهوته بالحركة والعلاج.

ولا يرى مثل ذلك من المرأة، فإن المرأة قد تعمل فى قضاء شهوتها.

وربما عمل بعضهن فى ذلك عمل الرجل أحيانًا من شدة الحركة، والمعالجة، وإن بعدوا وإن طلبا من قضاء اللذة شيئًا واحدًا، واختلف عملهما، أن يختلفا فى غير ذلك من أعمالهما، وقدرتهما فى أنفسهما فى الحال، وإعجابهما بما فيه، ولا يكون فى شىء من ذلك دليل على اختلاف لذتهما.

فإن الرجل لما كان هو الفاعل بالمرأة فوهم أنها فى ملكه فإن له عليها سلطانًا، فدخله لذلك عجب الملك والسلطنة.

وأما المرأة فإنها إذا رأت بصاحبها جمالاً، ثم رأت إعجابه بها وإقباله عليها دخلها لذلك عجب لتفضُّل من صاحبها لها، والرضا منه بها.

هذا اختلاف من جهة قدرهما فى أنفسهما، وليس بواجب اختلاف لذتهما.

فإن قال قائل:

فكيف صارت شهوتهما متساويتين متشابهتين؟ وإنما اجتمعا جميعا على عمل واحد، فكانا جميعًا أداة له وهو الجماع؟

فقد رأينا الأداة يعملن بها الأشياء لا تريد العدة منها على أن تعمل بها فى كل حال واحد شيئًا واحداً، كالفخار الذى يجتمع فيه عمل العامل والطين والرحى.

وغير ذلك:

أن يبلغ ذلك إناءً واحداً فى حال واحدة، فبقى هذا دليلاً على أنه لا يقضى فى اجتماع الرجل والمرأة على الغشيان أكثر من شهوة واحدة من الرجل، فإن الأشياء فى ذلك مختلفة فمن الآلة التى تعمل بها الأشياء ما لا يكون فى اجتماع العدة منها إلا إحكام شىء واحد، فمنه ما يكون فى اجتماعهما لكمال الشيئين كالكبشين إذا انتطحا، فإنه يصل إلى كل واحد منهما من ألم النطحة مثل ما يصل إلى صاحبه.

وكذلك:

لو أخذت رمانتين فضربت إحداهما بالأخرى لاتهشما جميعًا.

قالوا: فجائز لما كانت المرأة من شكله فى الخلق، وعلى صورته، ومن جنسه. ثم علم أن فيها من اللذة مثل الذى فيه أن يلتمس تهييج لذتها، وتقوية شهوتها باللطف، والفكر عليها وإظهار العجب بها، وأن يتحمل لقضاء شهوتها قبل شهوته، ولا يقضى هو شهوته قبلها، وأن يحرص على ذلك لأمرين:

أحدهما: لما يتعجل الرجل السرور واللذة، وقوة الشهوة وشدة الحرص، فإن فى ذلك تقوية لشهوته، وتهييجًا للذته.

وأما الآخر: فلقضاء ما يلزمه من حبها إذا كانت فى حالة وكان فاعلاً، وكانت هى مفعولة بها وكانت لا تقضى شهوتها إلا بعلمه، فإنه لا يقدر أن يقضى شهوتها منه إذ قضى شهوته قبلها فله عليها لأجل ذلك أفضل المنزلة، وبها إليها أمس حاجة.

وقال آخر: الرجال فى أول الغشيان أقوى شهونة وأسرع إنزالاً، ثم لا تزداد شهوتهم إلا ضعفا وإنزالهم إلا إبطاء.

والنساء: فهن في أول الغشيان أضعف شهوة وأبطأ إنزالاً، ثم لا تزداد شهوتهن إلا قوة، وإنزالهن إلا سرعة.

وقال كثير من العلماء:

ما ماء الرجل بأسرع نفاذاً من ماء المرأة، وقد يستحب للرجل أن يهيج شهوة المرأة قبل غشيانه إياها، فكيف له باتصال اللذة إلى المرأة وهو ليس لمائه مادة ولا لشهوته بقاء، ولا أحسبه يصل إلى المرأة كثير لذة؟

فيقال له: بلى قد تصل إليها اللذة، فإن كانت بطيئة الإنزال لما يكون من الرجل إليها من الضم والقبل والغمز، ولما يرى من عطفه عليها، وإعجابه بها، وهي في أصل طبيعتها مطبوعة على الحياء والشهوة، وقلة الحركة، فهي تكتفي في قضاء لذتها به، فهذه قطعة مما ينسب إلى الهند من الكلام في الباءة وأسبابه.

فأما اليونانيون: فوجدت كتابًا منسوبًا إلى (انطباس الرومي) يشتمل على أكثر المعاني التي تضمنها كتاب (هربط بن طشمن) الهندي، فاقتصرت على إيراد ما وجدته زائداً عليها.

فمنها: وصف إحليل الرجل.

واسع.

وسط.

وضيق.

فالواسع:

ما دخل فيه شعيرتان، وهو أقل قوة على النساء، وأبعده إنزالاً وهو أسلم للرجل.

والوسط:

ما دخل فيه شعيرة ونصف، وهو أسرع إنزالاً وأقوى على النساء وسلامته أقل من الأول.

والضيق:

ما دخل فيه شعيرة وهو أقوى على النساء وأسرعهم إنزالاً وأقل سلامة.

قيل له: كيف صار الواسع أسلم من الضيق والضيق أعطب؟

قال: لأنه إذا اتسع واضطرب الماء يخرج سهلاً غير متضايق.

قيل له: كيف صار الواسع أقل قوة؟

قال: لما بعد إنزال الواسع قوى على المعاودة.

وقال:

متاع المرأة: لا يخلو أن يكون مسة وجسة بين باطنه وظاهره مشاكلاً لمس لسان البقرة وغلظة ولينة.

أو: على مس شجرة يقال لها (بانقيوس)، وغلظها، ولينها، ولسان البقرة أفضل لأنه أحد وألين.

والثالث: على مس حياء الشاة، وهو أخشن هذه الثلاثة، لأنه أخشن وأبرد وأرق.

وإذا كان الفرج واسعًا مالحًا خشنًا أو سيالاً: فهو أذم ما يكون.

وعلاج الخشن: أن يدهن بالأدهان وتتحمل المرأة فى قطنة دهنًا من السمسم، أو دهن البان أو النرجس، فإنه يلينه.

فإن كان باردًا: فدهن الناردين، تأخذه المرأة بقطنة فتمسكها فيه.

وإن كان واسعًا: أمسكت شيئًا من مرتك وكحل مسحوق أو عفص أو طين أرمنى.

وإن كان مالحًا: شربت النادر بطوس وأيارج جالينواس الكبير، أو تأخذ اللزعودا فى كل يوم قدر حبة، أو تداوم شراب الأفسنتين، فإنه يذهب بالملوحة، ويعذب بالماء.

وقال أيضًا ومن الرجال: البطئ، والسريع، وما بينهما، وكذلك النساء.

فالبطئ: ما بين الخمسين دفعة إلى الستين دفعة.

والسريع: من عشرة إلى عشرين.

والوسط: ما بينهما.

وقد يفرط الإسراع بين قوم، فيبلغون خمس دفعات وأقل من ذلك، وكلامنا فى الأمر الأكبر لا فى الشاذ.

قال:

وربما أسرع الرجل فى أول أمره وأبطأ فى آخره، وربما أسرع إبطاءه فى أوله، ويسرع

فى آخره، وربما كان معتدلاً فى أمره كله، والنساء على مثل ذلك بالسرعة والإبطاء.

وكذلك اختلاف الرجل فى شدة الحفز، وضعفه، فإنه على مثل هذه المراتب، وموافقته للمرأة ومخالفته لها بحسب موافقة كل واحد منهما للآخر فى هذه الأسباب.

وذلك أنه إذا أسرع الرجل فى أول أمره، ثم أبطأ فى آخره.

فإنه يكون قد قضى شهوته وترك صاحبته لم تقضى شهوتها، فكان ذلك سببًا للبغضة، والحسرة منه على صاحبته، وإذا أبطأ فى أوله وأسرع فى آخر نزفت المرأة ماءها، فاشتد عليها الحفز بعد نزف الماء، وأضجرها، وأذاها، وإنما يخف عليها الحفز عند نزول الماء، ولين ما هناك.

قال: وقد يكون سبب اتفاقهما واختلافهما موافقة ماء الرجل إلى المرأة فى الجودة والصحة، فإن المنى يختلف فى الرائحة والطعم.

فمنه:

ثقيل أبيض حول يشاكل رائحته رائحة الكافور، وهو غاية الموافقة للنساء، وغاية الصلاح للولد.

ومنه:

ما يكون فيه عرق أحمر، رائحته رائحة الزنجار.

ومنه:

شيء من زهومة، وهو الثانى فى الموافقة.

ومنه:

ما يكون ريحه رائحة الصبر، أو المر، فذلك الذى تكرهه النساء وهو الذى تلتوى منه المرأة، وينقبض منه الرحم، فلا يكاد تتم الموافقة من المرأة للرجل إلا أن يكون ماؤها موافقًا لمائه، فإن لم يكن ماؤه موافقًا لمائها، فالأجمل إذ أحس بأنها تتأذى به أن يتنحى عنها ولا يؤذيها بإيداعها إياه.

وعلاج ذلك: أن يأكل الرجل الأرز باللبن أربعين يومًا لا يأكل غيره.

وأما ما يصلحه من الأدوية:

أن يأكل الأترج عشرين يومًا وكذلك المرأة فهذا أجود ما يعالج به، وأنفعه، وأنقاه

لملوحة الماء ومرارته، وسبيله بعد ذلك أن يأكل السمك الطرى، ولا يقرب المالح، ويأكل بيض الدجاج مع الملح، ويشرب مريس التمر، أو مريس الزبيب، والحُقن جيدة له يدهن الخروع، وكل الأدوية الحارة اللينة تقوى الدم، وهى جيدة له، ويجب ألا يقرب ما يقوى المرة الصفراء، ولا السوداء، فإنه ضار له وكل ما أعان على البلغم وقواه كان جيداً كالبصل وما أشبهه.

قال:

وماء المرأة خفيف أصفر رقيق وماء الرجل غليظ أبيض ثقيل، فإذا عذبا اتفقا، وإذا ملحا، وتمرمرا، أو حمضًا اتفقا، فإذا كان أحدهما خلاف ما عليه الآخر اختلفا.

قيل له: وبما يعرف ذلك؟

قال: إذا سقط وقرب منه النمل والذباب، فهو عذب وإذ لم يقربه شيء من ذلك فهو مر، وإذا وقع على الأرض والثوب فسلخه، فهو مالح أو حامض.

قال:

ويعرف ثقل النطفة: برسوبها فى الماء، فإن رسبت فهو يلقح، وإذا ارتفع على الماء، فهو خفيف لا يلقَحُ وإذا بات فى موضع نبت لم ينبت، فهو حامض لا يلقح.

ومما يعرف به مرارة الماء: أن تكون المرأة يشتد عليها جماع الرجل ويشق عليها إذا أصابها فأنزل، تغير لذلك رحمها والتوت له وكرهته، إلا أن تكون المرأة مُرَّة الماء، فيوافقه ماء الرجل، فيتفقا على ما ذكرناه.

من الرجال من يكثر إنزاله، ومنهم من يقل، ومنهم من وسط بينهما، وكذلك النساء فى الكثرة والقلة.

فمقدار الكثير من الرجال: مثقال ونصف إلى مثقالين.

ومن النساء: مثقالين إلى ثلاثة مثاقيل.

والقليل من الرجال: من درهم إلى مثقال.

ومن النساء: من درهمين إلى مثقالين.

وفى الماء حبة غليظة منها يكون الحمل، ألا ترى أن الرجل ينكح المرأة فى الأكثر مراراً كثيرة، فلا يلقح، وينكحها مرة واحدة فتلقح، بإذن الله تعالى.

* * *

باب: فى الغيرة

لذة المرأة: على قدر شهوتها.

وغيرتها: على قدر لذتها.

واستدللنا بإفراط غيرتها على إفراط شهوتها.

وكذلك قالت العلماء:

الغلمة: فى الرجال حدة.

وفى النساء: فرط شهوة.

وقد خالف على ذلك بعض من تكلم فى الباءة وقال:

هذا خطأ، لأنا قد علمنا أن الرجل أشد احتمالاً من المرأة عند تسرى زوجها بالسرارى.

فبعضهن: يكون ذلك فيهن لفرط الغلمة، وللظن والكراهة والمشاركة فيه.

وبعضهن: يكون فيهن على جهة الأنفة من أن ترى ذلك.

وبعضهن: يكون فيهن على طريق النفاسة، وليس بشكل ما تلقى المرأة من ذلك إذا رأت على فراشه لأن المرأة قد عذبت على ذلك وتعودته وألزمتها الشريعة.

وغاية الرجل: أربع نسوة وألف جارية، ويطأ ملك اليمين، ويعتبر هذا بغيره من فحول جميع أجناس الحيوان على إناثهن كالغيرة فى الغابة وتقاتل دونها على فحل يعرض لها فلا يصير التفاته إلا إلى القاتل والغالب، ومن رأى فحولة الخيل فى المروج كيف تحمى الحجور من الفحولة، ولو أن حجرةً عربيةً أو ناقة غريبةً دخلت فى جملة تلك الإناث المحدقات بالفحولة التابعات لتلك الفحولة حين ذهبت لم تجد ناقة من تلك النوق، ولا أتانا من تلك الأتن، ولا حجراً من تلك الحجور تقاتل واحدة من تلك الغريبات، ولو رأتها إلى جانب الفحل.

قال الراجز فيها:

تغار والغيرة خلق فى الذكر

وقال أيضًا:

والفحل يحمي شوكه معولا

وقال رجل لسهل بن هارون: ليس لغضبان رأى، ولا لغيران، ولا لجائع، ولا لعطشان، ولا للحاقن فقال: ولا للمنعظ.

وقد يحمل الرجل الغيرة، وفرطها على إطراح ما يهواه، وإخراجه عن فكره، ولما يراه من مثله مع غيره، وطاعة لكل أحد.

فمما قيل فى ذلك قول الأول:

تبعتك لما كان لى فيك حاجة   وأمسكت لما كان نهبًا مقسمًا
فلا يلبث الحوض الجديد بناؤه   إذا كثر الوراد أن يتهدّما

وقال آخر:

لا تكثرى قولاً منحتك ودًّا   فقولك هذا للفؤاد مريب
تعدين ما أوليتنى منك نائلا   وللقانس العجلان منك نصيب

وقال آخر:

تمتع بها ما ساعفتك فإنها   تكن شجى فى القلب حين تبين
وإن هى أعطتك الليان فإنها   لآخر من خلانها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأى   عهدنا فليس لمخضوب الباب يمين

وقال بشار:

لذاك اليوم لى وغدا لغيرى   وبعد غد لأقربنا لديكا
إذا أحببت ذا فارقت هذا   كأن فراقه حتمٌ عليكا
فأقدمهم أخسهم جميعًا   وأخذلهم أحبهم إليكا
فكلهم وإن طرمذت فيه   ستتركه سريعًا من يديكا

قال: وهوى رجل امرأة، ثم علم بعد ذلك أنها: لا ترد يد لامس.

فأنشأ يقول:

ألا حى أطلالا لواسعة الحبل   ألوف تسوى صالح القول بالرذل

ولو أن من أضحى بمدفع نخلة ... إلى رحبتى فلج فساقطة النعلِ
جلوس إلى أن يقصر الظل عندها ... لراح وكل القوم منها على وصل

ومن أبيات لبعض الشعراء:

ولا أشتهى ريق المياه ولا التى ... تخاض ويغشاها مُعَبَّدة الجرب
ولكننى أهوى مشارب أحرزت ... على الناس ليس فى الصعوة من عتبِ

وقال أبو نواس:

ومظهرة لخلق الله وداً ... وتلقانى ببذل وابتسام
قصدت فؤادها أشكو إليه ... فلم أخلص إليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها صديق ... ولا سبعون ألفًا كل عام
أظنك من بقية قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام

وحكى: أن رجلاً عاب عن ابنة عم له أديبة ظريفة، فبلغها أنه قد اشترى جارية، فاشترت هى غلامًا عوضًا عنه.

فكتب يعاتبها لما بلغه ذلك:

تبدلت بعدى صاحبًا ثم خُنتنى ... وأعتبتنى عارًا ولم تخفى إثمًا
سيجزيك رب الناس ما أنت أهله ... فإنك لم ترعى عهودًا مضت قدمًا

فأجابته:

بدأت بتغيير ولم تخف الظلما ... وآثرت غيرى ثم أبدأت لى صرمًا
فجازيت فعلاً كان فعلا بمثله ... فدونك فاطلب سلمنا تطلب السلمَا

فباع الجارية واعتذر إليها.

ورأى رجل من بنى قشير من صاحب لهم من امرأة فى الرفقة فلاتك سوء.

فأنشا يقول:

ما إن علمت بها سوءًا أقول به ... إلا اتهامى فيها صاحب الإبل
كانوا إذا القوم أسروا صدر ليلهم ... يغيران وما بالقوم من ميل

وينزلان جميعا في معرسنا — فلا تزال نرى آثار مغتسل

والله يعلم ما تخفي نفوسهما — والله أعلم بالنيات والعمل

وقال أرطياس الرومي:

أسباب الغيرة مختلفة.

فمنها: ما يدع إليه النفاسة، والظن من الرجل بالمرأة غيرة، ومن المرأة على غيرها، لأنه كلما اشتدت الغيرة بين الاثنين، فهو من علاجات الاثنين للمودة والرغبة في الصاحب.

فنيغبى أن يحمل من لا يفرط به، فإذا أفرط فقد خرج من الحد المحمود، وصار في حد الوسواس، وآية ذلك ألا يبالي ما بال صاحبه من البلاء والهلاك، أو فضيحة، أو مضرة، فعند ذلك تكثر الغيرة.

فأما العلاج لهن أدويته:

أن يذاب دماغ أرنب أنثى بشراب يسقى من غير أن تعلم المرأة من غبار دقيق شعير الرّحا بماء المطر، ويسقى مرارة الذئب بعسل ويسقى سرطانا بجريًا.

قال: فإذا اقتصرت على المرأة واقتصرت عليك، ورضيت بها ورضيت بك، وأردت أن لا يصل إليها غيرك، فاستعمل ما ذكرناه.

وإياك أن تستعمل ذلك مع من تريد فراقها، أو أمة تريد بيعها، أو امرأة تفضى لذتك منها، وتخليها، فإن أنت عالجتها بذلك أثمت فيها.

وربما عالجت المرأة للرجل بهذا العلاج إذا عرف ألا تفارقه، واشتهت أن تعرفه ذلك من لذتها ليشكوها عليه، وليعظم موقعها معه إذا علم به، أو يدعوه أن يتعالج بذلك. وهو أن يأخذ زيتًا جيداً ثم يمسح به ما هناك مسحًا جيداً، ثم يضاجع المرأة: فلا يصل إليها غيرك ولا لذة عجيبة.

أو تثقب عرف ديك، وتتمسح بدم تيس: فإنه يفعل ذلك.

فأما حل هذه العلاجات:

فإن ما يُحمل بمرارة ضبع: يحل بمرارة ذئب.

وما يحل بمرارة ذئب: يحمل بمرارة ضبع.

وإذا عمل بدم عرف ديك[1] أبيض، فإنه يحل بعرف دجاجة سوداء يثقب عرفها ويتمسح بدمها، ويجامع المرأة: فيحل ذلك.

فإنه عُمل بدام غُدَاق: حُلَّ بدم هدهد[2].

وإذا عمل بدم تيس أسود، حُلَّ بدم عنز بيضاء.

هذا التحليل كله يتمسح به الرجل، ثم يجامع المرأة.

ومن الخواص:

إذا عقد قضيب الذئب على اسم المرأة: لم يندم عليها حتى تحل تلك العقد من ذكر الذئب.

خصية الضبع[3]: تؤخذ وتجفف، وتدق، وتصب عليها شيرج، ويطلى به الإحليل، ويجامع به المرأة، فلا تمكن أحداً من نفسها غيره.

خصية ذئب: يسحقها بدهن شيرج طرى، ثم يمسح بها راحته اليسرى، ويمرها على فؤاد المرأة، فإنه حرز لها من الرجال.

دم الشفنين الذكر:

إذا طلى به الإحليل أو جامع الرجل المرأة.

لم يقدر عليها غيره، فإن مات: لم تتزوج.

وإذا أردت أن لا يجامع امرأتك غيرك:

فخذ خصيتي الذئب، فجففهما، ودقهما، وانخلهما ولتهما بزيت، ثم أطل به ذكرك.

(١) الديك: ذكر الدجاج وجمع ديوك وديكة وتصغيره دويك وكنيته أبو حسان وأبو حماد وأبو سليمان وأبو عقبة وأبو مدلج وأبو المنذر وأبو نبهان وأبو يقظان وأبو برائل، والبرائل الذى يرتفع من ريش الطائر فى عنقه وينفشه الديك للقتال، وقيل: إنه للديك خاصة ويسمى الأنيس والمؤانس، ومن شأنه أنه لا يحنو على ولده ولا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة وذلك أنه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله، وفيه من الخصال الحميدة أنه يسوى بين دجاجة ولا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادراً وأعظم ما فيه من العجائب معرفة الأوقات الليلية فيسقط أصواته عليها تقسيطاً ألا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال أو قصر ويوالى صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك. ينظر: حياة الحيوان (١/ ٣١١).

(٢) جنس طير من الجوائم الرفيقات المناقير، له قنزعة على رأسه، وكل ما ينقر من الطير.

(٣) الضبع: جنس من السباع من الفصيلة الضبعية، ورتبة اللواحم، أكبر من الكلب، وأقوى، وهى كبيرة الرأس قوية الفكين، مؤنثة، وتطلق على الذكر والأنثى، والجمع: أضبع.

وكذلك: إن أخذت شارب الضبع الذكر، وأشفار عينيه ، وشعراً من لحيه الأسفل، وأحرقت ذلك وأسقيتها وهى لا تعلم.

وقضيب الثور[1] الأحمر:

يجفف ويسحق، ثم تسقى المرأة منه وزن مثقال بنبيذ صلب.

فإنه يقطع عنها شهوة الجماع.

قالوا: وأن أردت أن تقطع شهوة المرأة للجماع:

فخذ ضفدعًا نهريًا على اسم المرأة، فشقه من استه إلى فيه، ثم ابسطه على الأرض، والحق المرأة وقل لها أن تتخطاه على ظهرها ولا تعود راجعه، فإنها تنتهى عن شهوة الجماع، ويرتفع عنها الصلة.

ومعرفة الضفدع الذكر من الأنثى: أن تغرزه بإبرة فإن خرج منه دم فهو ذكر.

وقالوا: ويؤخذ قضيب الذئب فيقطع حيث لا تراه الشمس قبل طلوعها وقبل غروبها ، ويجفف ثم تسقى المرأة.

فإنها تبغض الرجال أبداً.

وإذا أردت أن لا تعشق صديقة لك رجلا غيرك، ولا يصل إلى جماعها:

فخذ ذكر تيس من تيوس الظبى، وببسه فى الظل وتكلم عليه بما تريد ألف مرة مرة، وأنعم دقة بخمر صرف من غير أن تعلم المرأة ما هو.

فإنها لا تقدر بعد ذلك على بذل نفسها لأحد.

ثم خذ ثلاث طاقات من شعر رأسها واشددهن معا ، وادفنهن فى مثانة نعجة فى الأرض باسم تلك الجارية واعمل ذلك ثلاث مرات.

وقال سليمان لابنته:

يابنية لا تكثرى الغيرة على بعلك، فيجعله ذنبًا ، وإن كان من ذلك بريئا .

وفى رواية أخرى أنه قال لابنه:

يا بنى لا تكثر الغيرة على أهلك، فيرموا الذنب، وإن كانوا من ذلك بُراء.

---

(١) الثور: الذكر من البقر.

باب: فى القيادة

قد ألف فى فضل القيادة، أخبار من قاد من القدماء؛ جماعة من الأدباء، وكتبهم فى ذلك مشهورة، ومعانيها معروفة، وفى اقتصاصها فى هذا الكتاب إطالة له.

ووجدت لبعض الأدباء رسالة كتبها إلى رجل عابه، وقد ألف بين نفسين، فاقتصرت على إيرادها، وهى:

وفقنا الله وإياك للأخلاق الجميلة، وهدانا وإياك لكل فضيلة، وجعلك ممن يؤثر الحسن فيستعمله، ويقدم الجميل ويفتعله، ويأتى الخير ويلزمه، ويتقى القبيح ويتجنبه.

فكتب إليه الجواب: فهمت وفقك الله لرشد كتابك وما خصصتنى به من النصح، ونبهتنى عليه من الغبطة بالذكر، وخصصتنى عليه من جميل الأخلاق، وأظهرت لى من الإشفاق، وأظهرت به من تجنب الفعل المنكر؛ لما خفته علىّ من سوء الأير، ومن طلب أكرمك الله عيبًا وجده، ومن بحث عن داء أظهره.

وقد قال الشاعر:

فإن لسان الباحث الداء ساخط   بنى عمنا ألوى ألدّ كذوب

وربّ معتب يسمى وعاتبه به أولى، وملوم ذنب لم يأته وملوم على ما لم يجنه.

وأنشد ابن الأعرابى:

وإن امرءا يمسى ويصبح سالمًا   من الناس إلا ما جنى لسعيد

والناس أعزك الله أعداء ماجهلوا وإخوان ما ألفوا.

وقد قال:

تلك المساعى إذا ما أخرت رجلاً   أحب للناس عينا لم يكن عجبًا

وإن كان ما نسبتنى إليه وعرضت لى به من الاسم الشنيع والفعل الدنئ والسعى المذموم إنما هو للتأليف بين المحبين، والتقريب بين المتباغضين، والصلة بين المتقاطعين فإنى أقول كما قال أبو ذؤيب:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وعليك أكرمك الله ما إليك وليس إليك ما عليك، فإنك قد أغفلت ما للساعى فى ذلك من الثواب المدخور، والحديث المذكور، والأثر المأثور، والخبر المشهور والباقى على مر الأيام والدهور، ولم تر ما حدثنا به فى التأليف عن النبى ﷺ وهو:

ما رواه عبد الله بن موسى قال:

حدثنا موسى بن عبدة بن عباد عن عمرو بن عبادة قال: قال لى أبو أيوب قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله تصلح بين الناس إذا غضبوا وتحاسدوا».

حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن الزهرى لم يُرَخص لنا رسول الله ﷺ فى شىء يقول الناس من الكذب إلا فى ثلاث: «الرجل لزوجته، والمرأة لبعلها فى المودة، والإصلاح بين الناس، والتأليف فى الحرب فإنها خدعة».

وحديث أبى العباس المدائنى:

قال: حدثنا عبد الله بن معمر الجشمى، قال: أخبرنا معمر بن سلمى عن أبيه عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: إنى لأكره أن أفرق بين المتآلفين.

وحدثنا شريح بن يوسف، قال:

حدثنا إسماعيل، عن ابن عون عن عمر بن إسحاق قال: إن أول شىء يرفع من الناس الألفة والتأليف.

وحدثوا عن هارون بن معروف قال:

حدثنا سفيان، عن مالك بن مُغول، عن طلحة عن خيثمة قال: أما الذى أحلى من القتل، ولا يقطع، هى الألفة التى جعلها الله بين المؤمنين.

هذا إلى حديث كثير ورد عن الصحابة والتابعين ولولا خوف الإطالة وحذر الإملال لاستقصينا؛ فى ذلك، وما أغفلناه، ونسبته لك وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وبه اعتصمت، وإليه أنيب.

فأخبرنى أيها العاتب لنا المزارى علينا، وعلى أفعالنا، وشريف سعينا، وهو فوق المساعى الشريفة، وأصحابه ذوى الحيل اللطيفة، والأخلاق المرضية، والأفعال العليه: لم صار المؤلف بين المحبين، والساعى بين المتفرقين يسمى قواداً؟ ولم يسم قائداً، ولم خص

من قاد الجيش باسم القائد، ومن قاد حبيب إلى حبيب باسم القوّاد، والمعنى لهما جامع وعليهما مشتمل؟

وكيف كان لهذا دون ذلك أشنع الاسمين، والمعنى قد يجمعهما فى نفس الفعل؟

ولم خصت الشناعة بهذا الاسم دون الآخر؟

وكيف نسب إلى الفساد وهو ساع فى الصلاح ولم يجنبوا مخالطته، وكره قربه، وذكره، وعشرته، ومنادمته، وخلقه، ومداخلته؟

وكيف لا يكون عندهم مأجوراً بسعيه، ولم جعلوه مأثومًا بفعله، وعاد ملومًا، ولم يعد محموداً، وزعموا أنه فاجر لئيم، وهو بر كريم.

وكيف صار عندهم خسيس الهمة، زرى الطعمة، دنىء الصناعة، وله الحيل اللطيفة، والمداخل الخفية، والسياسة المقومة، والرياضة المقدمة، والهمة البعيدة، والمحاضرة العجيبة، قد سبق من تقدمه، وأعجز عن اللحاق به، يسهل له ما استصعب على الرواض قبله، ويهون له ما توعر على من سلك طريقه وقصد تجارته وحوائج الناس إليه أكثر من فائدته منهم، وشقوتهم باسعادهم أكثر من سعادته منهم.

فكيف عموا عن محمود فعله وسعيه، وفطنو لريبته ودنئ فعله؟

ولم عنوا بكشف قبيحه، واعتروا بهتكه، وتشاركوا فى ذمه؟

ولم جهلوا شجو بيانه، وبلاغة لسانه، ولجو حديثه، ومضحك نوادره، حتى يبلغ لهم الإرادة وحتى سهّل لهم المدخل وانتهز الفرصة وقطع الحجة ووقف بهم على القصد والمحجة بالأصالة فى الرأى والصدق عن العزم والأخذ بالحزم والقصد للصواب عند الخطأ وسلوك الحد عند توعر السبل ومضيق الطرق، واشتباه المسالك ووعر المنهج، فتسهلت تلك الفجاج له بفعله الغامض، وعزمه الناهض ففتح بعزمه المقفل المستغلق حتى تناهت الأمور إلى أمره، وبحثت الأراء وراء رأيه ويستأمن الخائف من إقدامه ويسكن المستوحش إلى إيناسه فكيف يعمى عن نفسه بصرفه، وينظر فى حق غيره والسداد فى محبة من يسعى له.

ما هذا التركيب المتضاد والمزاج الفساد والاجتماع المنافى والتأليف المتباين؟ وما هذه الجهالة الظاهرة مع هذا العقل الأصيل وهذا الاسم الشنيع مع هذا الفعل الحسن؟

ولم صار هذا المؤلف بالعيب مشهوراً وعرض من يسعى له مستوراً وما بالهم إذا احتاجوا إليه ألفوه، وإذا غنوا عنه باعدوه وأخروه، أليس قد خلع عذاره فى طاعته وخالف

هواه لاتباع أهوائهم وأبدى صفحة الذم فى اكتساب حمدهم فأمن من خاف وظفر من خاب فأقفنى- أكرمك الله- على هذه الأسباب وأرشدنى منها إلى الصواب واكشف لى عن واضح البرهان ولا تكن كما قال الشاعر:

وترى اللبيب محسداً لم يجترم شتم الرجال وعرضه مشتوم

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً ووقفك على ريب

فإن شهد التصفح عن عيب وكشف لك عن غيب ووقفك على ريب زو ذلك الفحص عليه و قادك البرهان إليه عرفنيه لأجتنبه وأعذرك وأفارقه، واتبعك.

فقد قالوا: الحمد والمغنم مع السلامة، خير من الذم مع العتاب والذلة.

وقد قال القطامى:

والناس من يلق خيراً قائلون له ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وقال المرقش:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغى لائمًا

وما سمعت أيها الجاهل الغبى ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لو أدركت عروة وعفراء لجمعت بينهما.

هذا؛ ومكان عمر من الدين والنصيحة والخلاقة والشدة على أهل الريب، والهيبة فى حدود المسلمين، أفتراه قال ذلك، وهو يرى أنه يعاب عليه بقوله أو يأثم على فعله.

هذا، وقد حدثنى محمد بن الحسين، قال:

حدثنا الفيض بن النيل قال حدثنا السرى ابن إسماعيل عن الشعبى قال: جاء جارية لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه تشكو إليه مؤذيًا لها وقالت إنه يؤذينى وما مررت به إلا قال لى: أنا والله لك محب.

فقال لها الإمام على رضى الله عنه: إذا قال لك ذلك فقولى: أنا والله أيضًا لك محبة ففعلت ذلك وقالت له كما قال.

فقال: تصبرين ونصبر حتى يوفى الله الصابرين أجرهم بغير حساب.

قال: فجاءت الجارية فأخبرت عليًا رضى الله عنه فاستعبر لقوله تصبرين ونصبر.

ثم إن الإمام أرسل إليه فوهبها له، وجعل ، لجماع بينهما ثواب صبره.

هذا ، إلى غير ما نقله رواة الآثار، وسارت بذكره الركبان فى الأمصار.

وفى بعض ما أوردته كفاية لمن طلب الانصاف وأحبه، والله يوفقك لذلك ويلهمك إياه بمنّه وكرمه تمت الرسالة.

قال: ووقع حريق فى بنى عدى فسلم بيت قوادة كان هناك.

فقيل لها فى ذلك:

فقالت: الحَسَنُ الفعل معانٍ.

ولبعض أهل المدينة فى مريد حين أمسك عن ضربه.

كل من قـــاد فـى زمـــانك هذا	نـال حـظًـا بـه وكـل زمـــــــان
هى إحـدى تجـارة جـازها الن	اس وأغنى صناعـة وامـتـحـان
فـالزمـوها يا إخـوتى فـفى الحـ	ظ الذى قـد حـمى أذى الشـيطان
لم يدعـهـــا مـن ا لبـرية إلا	كـل من تجـــــه أخـــو الدبران

وروى صفوان بن يحيى:

عن عمار الساباطى، قال: ألح أصحابنا سنة من السنين فى المتعة فكرهت ذلك لهم.

فقلت لنفسى: ليس لهؤلاء دواء إلا أن أدخلهم جميعًا على أبى عبد الله فأسأله بين أيديهم عن المتعة وأشنع عليهم حتى يجيبنى بما يحرم عليهم المتعة.

قال: فقلت لهم: على هل لكم فى الدخول على أبى عبد الله؟

قالوا: نعم.

قال: فاستأذنت لهم فدخلوا.

قال: فقلت له جعلت فداك ما تقول فى المرأة تسمى نفسها دلالة وهى قوادة؟

فقال: سبحان الله، هى دلالة كما سمّت نفسها.

قلت: فإنها تجمع بين النساء والرجال.

قال: فإن نحن نجمع بين من نعرف.

قال: إنما على الناس أن يصدقوا فى أنفسهم.

قلت: فإن الرجل يأتيها فيقول لها زوجينى امرأة فتقول له: اجلس حتى أزوجك فبينما هو جالس إذا خرج رجل ومعه امرأة من البيت فيمضى الرجل ويذهب وتبقى المرأة فتقول له زوجتك هذه، وقد كان الرجل خلا بها فى البيت.

قال: فإن كان خلا بها فلعله أخوها أو أبوها أو كان معها فى حاجة غير ما ظننت.

قال: قلت جعلت فداك فإننى جمعت هؤلاء لأفسد عليهم وأشنع عليهم فى مسائلى فما رأيتك إلا جوّزت لهم.

فقال: يا عمّار إن الله قطع عصاه.

وحكى بعض الأدباء قال:

كنت فى مجلس أبى أيوب المورياني وهو يتولى ديوان الخراج فى أيام المنصور فأتاه رجل يسأله كتابه إلى رجل يشفع له إليه فى حاجة.

فقال أبو أيوب: قد- والله- اخلقتمونا، وأرقتم ماء وجوهنا، ومنعه منعًا قبيحًا.

فلما مضى الرجل قال له بعض جلسائه قد- والله- وفقك الله فإن هذا الرجل قواد أغر فاجر ردئ.

فقال له أبو أيوب: قواد ؟

قال: نعم.

قال: وهذا عندك عيب؟

قال: وأى عيب أكبر منه.

فقال له أبو أيوب: قبحك الله أتدرى ما كانت العرب تسمى القواد وما هو عندهم؟

قال: لا والله ما أدرى.

قال: كانوا يسمونه الحكيم وذلك أنه يأتى الصعب فيذلله، والحزن فيسهله، والبعيد فيقربه والقريب فيباعده، والخائف فيؤمنه والجازع فيصبره والآيس فيطعمه والمغلق فيفتحه والمتحير فيرشده والوحيد فيزيده يحيى بين نفسين ويجمع بين محبين وله يتطأطأ الشامخ الممتنع ويبرز المصون المحتجب وبه يسهل الصعب المتوعر.

ثم قال: ردوه، فرد الرجل.

فقال: أتدرى لم رددتك؟

قال: لا.

قال: إن هذا الجاهل الغبى أراد أن يضعك عندى فرفعك ووصفك بحكمة وظن أنه قد عابك بها فزينك بما نحلك من اسمها وكانت أقرب وسائلك إلينا وأنجح لشافعتك عندنا، اكتبوا له بحاجته وأدنى مجلسه، وقربه، وقال: ارفع حوائجك إلينا نقضها لك.

قال: ورفع إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد أن رجلاً يقود ويجمع بين الرجال والنساء، يفعل ذلك على سبيل التزويج والنكاح، لا السفاح.

فقال: وما سبيلهم على رجل وسع فى منزله لصديقه، وأسبل عليه سترة وسعى له فيما يحلّ ويطيب لذته مستراح الأخوان الأحرار وذوى الشرف والأخطار.

قال مصنف الكتاب:

ونحن نعلم أن الرجل الشريف المستور الأديب الريب قد يكون عنده امرأة من بنات عمه ونساء قومه وأكفائه ونظرائه فتتوفر عليه شهوته، فتملك عليه أمره وهى أقبح وأسمج من القرد وأهرّ من الكلب[1] وأشد تعديًا من الليث العادى فيريد شراء جارية أو تزويج حرة فلا يتمكن من ذلك، حتى يستريح إلى مثل هذا من الفتيان ويقتنى منزلة من الإخوان فيجعله شاكية فيساعده على حاجته، ويسعى له فيما يحب من لذته ويستره فى منزله.

وأنشدت للتّمّار:

قد تمشيت فى الجميل فأسرعت ... وإن كنت لست تأتى الجميلا

إن من مدّ للقيادة رجلاً ... لحرى أن يكون فيها نبيلا

وقد ذكر قطعة مما قيل فى فضل القيادة فلنذكر الآن ما قيل فى مدح أهل الصناعة وما وصفوا به من الحذق.

---

(١) الكلب: حيوان معروف وربما وصفَ به فقيل للرجل كلب والمرأة كلبة والجمع أكلب وكلاب وكليب مثل أعبد وعباد وعبيد وهو جمع عزيز والأكالب جمع أكلب قال ابن سيده وقد قالوا فى جمع كلاب كلابات، قال الشاعر:

أحب كلب فى كلابات الناس ... إلى نهجًا كلب أم عباس

والكلب حيوان شديد الرياضة. ينظر: حياة الحيوان (٢/٣٣٦).

فأول ذلك:

قول عمرو بن أبى ربيعة فى أبياته التى تقدمت فى باب الرسول:

فـأتتـهـا طبّـة عـالمة تخلط الجـد مـراراً باللعبْ

ترفع الصـوت إذا لانت لهـا وتراخى عند سـورات الغـضبْ

وحكى، عن أبى عتيق أنه قال لما أنشدتْ هذه الأبيات:

الناس فى طلب خليفة مثل هذه القواده منذ مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه لم يقدروا عليه.

وقال جران العود من قصيدة:

ومكتومة رمزاً سددت بحزمها لها فهى أمضى من سُليك وألطفُ

تلمّ كـإلمام القطامى بالقطا وأسـرع منه لمّة حـين تخطفُ

وقال دعبل بن على الخزامى فى وصف قوادة:

دسـست إليها شيخة عبدلية بعضت بها الأجفان فى العطر فايز

مضى حرها إلا الترفق بالهوى تتـيـه بلطف مـرة وترامـز

وقـوع بما تهـوى إذا مـا تمكنت وتسمع مالا تشتهى فتحاجُز

وتهـزل أحيـانًا وإذا مـا تحدثت فتـبلغ أقـصى حـدها وتجـاوز

تدانت إليها بالخديعة والرُّقا فتعـرض أحيـانًا وحينا تناجز

وقال إسحاق بن حلف التهرانى فى أمر عبد الصمد بن المعذل العبدى:

اسئل إذا شئت عن أخبار زرقاء أم الدواهـى وأم الرفـق والداء

لا يعمل النقب إلا فى مخدَّرةٍ تأوى إلى شاهق فى رأس حلقاء

حمم فى واقص الخضرى تسحبه كـيف جـوانبـه منه بأسـواء

يلوح فى يدها مشباح موجحة عند اختـلاك إلى سـوق وكـلاء

حمم فى و اقص الخضرى تسحبه كـفّت جـوانبـه منه بأسـواء

لو أنها بين بئر مقفر جدب وبين بحـر زنا حـوت بعـفـراء

أخفى من الريح إن دبتْ وإن عزمت مشت إذا عرضت منه على الماء

لو أنها نفثت فى صخرة نطقت | فأذن خرساء أضحت غير خرساءِ
تُصغى فتسمع سر القوم عن كثبٍ | وليس يخفى عليها قبْل إصغاءِ
أم الدواهى التى لم تحص عدتها | وأم أسماء جاءت قبل أسماءِ
ما يلبس الليل منها حين يلبسها | وما تجئ به فى كل ظلماءِ

وقال أحمد بن أبى طاهر:

فأرسلتها أمضى من السيف مقدمًا | وأسرع من سهل أتاك به الوبَلْ
تدب دبيب النمل فى كل مفصلٍ | لطافتها فى القول والرأى والحيلْ
يَذِل لها الصعب الجموح قياده | وتُهدى إلى باب الضلال ولا تَقِلْ
يرى الفطن الداهى عليها غباوةً | إذا مارآها وهى أختل من ختَلْ
وتستخرج الجود الكعاب ودونها | حجاب إذا ما ألقيت دونها الكلل
ولو أنها ساع بأهون سعيها | لألفت الذئب الخليع مع الحمل
يَقرُّ عيون زُهدها وخشوعها | وتسبيحها عند الشروق وفى الأصل
ولو جبلٌ رامت إزالة ركنه | بنفثتها يومًا لزال لها الجبل
تسهل مهما كان وعرا سبيله | وتفتح مهما كان أغلق وانقفل
تذكره بالله احفظ أهلها | وما فى المثانى السبع منه وفى الطول
أصاخ إليها مسمعًا فأطاعها | وأعصى لها من لام فيها ومن عَذَلْ
تُجاب إليها دون بابٍ وحاجبٍ | ورقبة بوابٍ وواعٍ وما غفَلْ

وقال آخر:

إذا أردت يا أخى غبادة | من المغنى صعبة المقادَهْ
أن ترحم الصبَّ وأن تراكَهْ | لكن ترى من التقى إبعادَهْ
فادسس لها عجوزاً قراده | أدبٌ فى الظلماء من جراده
قد انحلت من شدة العباده | تولج فى جبهتها سجاده
كالحسن البصرى أو قتادة | فى يدها سبحتها الصياده
قد أحكمت غرائب القياده | لأنها تدخل كالمرتاده

تذكر كل عامل بعادة — وتصف الشقاء والسعادة
حتى إذا نصبت لها الوسادة — وأجلسوها جلس مستفاده
أطردت في موجها إطرادة — ولاحظت بمقلة وقاده
ثم خلت بالغادة المرتادة — تروضها بلجم المقاده
حتى ترى طاعتها سعادة — جواد حصن سفهت جواده

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ:

هل من رسول ظريف — إلى غزال ثقيف
لسانه مدنيّ — وقلبه قلب كوفيّ
في حد رفق عجوز — وفي حسارة صوفي
له سريرة ذئب — وتحت قُسٍّ عفيف
تكامل الظرف فيه — ففاق كل ظريف

وقال ابن حاجب:

زنت الدهر ثم قادت فلما — خالط الركبتين منها فتورُ
سخفت للمخنثين زماناً — فعلى ظنها تشيب الأمور

ومن أمثال هذه الملمة:

«أقود من ظلمة» والناس يصحفون فيه فيقولون: ظُلْمةٌ، وإنما هو اسم سوداء كانت تجمع بين الرجال والنساء، فلما عجزت عن ذلك أخذت تيسًا وجعلت تحمله على الأعنز، فعميت فصارت تدور على الأبواب لتغلقها لئلا تجد شيئًا يلج في شيء.

قال: ولما قال عُمرَ بن أبي ربيعة المخزومي:

من رسولي إلى الثريا لأني — ضقت ذرعًا بهجرها والكتاب

بلغ ذلك ابن أبي عتيق فقال: والله ما أراد سواي فركب بغلته حتى أتى مكة، فدق باب عمر:

وقال: اخرج أنا رسولك الذي أردت فركب معه حتى أتى به الثريا وأصلح بينهم ثم انصرف إلى المدينة، والأخبار في مثل هذا كثيراً جداً، وفي ذكرها هنا إطالة الكتاب.

وقال: ولما قال العرجي:

ولم أنسها ولم أنس قولها	لجارها قومي اسئلي لي عن الوتر
فجاءت تقول الناس في ست عشرة	فلا تعجلي عنه فإنك في أجر

فقال ابن أبي عتيق: هذه أفقه من ابن المنكدر، أشهدكم أنها حُرَّة من مالي.

قال: واجتمع أهل المدينة إلى أميرها، فشكوا ما يلقون من فساد مزيد أحداثهم فنفاه ونزل على فرسخين من المدينة، فاجتمع أهلها بعد أيام، ودخلوا على الأمير.

وقالوا: قد صاروا أحداثنا يغرمون أجرة الحمير، ولا ينصرفون ليلاً ولا نهاراً، وقد ألفت حمير المدينة الذهاب إلى منزله حتى هي تأتيه من غير إذنك، فامتحن ذلك فوجده بها.

قال: فجرده ليضربه فضحك مزيد. **فقال له:** ويل لك ما الذي يضحكك؟

قال: والله ما غسلنا وجوهنا ولا رؤوسنا من قول اليمين مع الشهادة فكيف صرنا نقبل شهادة الحمير فأطلقه.

قال: وجمع مزيد يومًا في منزله بين رجل وامرأة، فاقتحم عليه الشرب، فأخرجوهم فاستشفع الرجل والمرأة على الوالي فأطلقها وبقي مزيد. فلما أتى به الحبس.

قال مزيد: لم تحبسني؟

قال: لأنك قوَّاد.

فقال: أصلحك الله وجدت زوج حمام في مزجلة، فأطلقت الحمام وتعلقت بالمزجلة، فضحك منه وأطلقه.

قال: وكان في مدينة السلام مُقتن يعرف بالغيور وكان عنده من الجوار جماعة ذوات حسن وإحسان وكان خبره فاشيًا متعاليًا يقصده المتصوّن وغيره، فبلغ خبره رجلاً من الكتاب المذكورين، فتشوقت نفسه إلى قصده.

قال: فمضيت إليه يومًا فرأيت أحسن منزل وآلة، فلما استقر بنا المجلس.

قال لغلماني: إذا كان من غد بكروا، وافجأوا بالدواب فاستوحشت من قوله.

فقلت: بل يقيم بعضهم عندي، وينصرف الباقون، فأبى وحرد، فاتبعت ما أرادوا، وأحضر أحسن طعام وأنظفه، فأكلنا، وأتى بأنواع الأشربة، والفواكه، فأخذنا في أمرنا، وخرّج إلينا وجوه كالبدور، وكنت رأيت عند دخولي على بعض الأبواب طبلاً معلقًا، فظننته

لبعض الجوارى فلم أسأل عنه.

فلما قعدنا على حالنا أخذ منا الشراب، وأحضر عموداً، فجعله بين يديه فأوحشنى جداً، وقلت فى نفسى: رجل غيور، كما لُقب وجوار حسان، وشراب شديد، وليست آمن إذا أخذ منى الشراب أن أعبث بهن، فيغار منى، فيضربنى بالعمود.

قال: فلما طابت نفسه، قلت له جُعلت فداك مامعنى هذا العمود مع الشراب؟

قال: أخبرك، اعلم أننى رجل غيور كما بلغك، ويحضر منزلى قوم معهم سوء أدب، فما هو إلا أن تغنى الجارية حتى أرى الواحد قد لاحظها وضحك فى وجها وضحكت فى وجهه، فأقول فى نفسى أقوم بهذا العمود، فإنما هى ضربة فأقتلها وأستريح إلا أنى على ما ترى رجل معى تأنٍ شديد، فأقول شرب الرجل يُسرُّ ويضحك، ولعله يعرفها، وتعرفه، ضحكتْ إليه، وضحك إليها، فأمسك، فلما ذكر ذلك طابت نفسى، وأصغيت إلى حديثه.

فقلت: ثم ماذا؟

قال: ثم إن الأمر يتزايد حتى أرى أنه قد دنا فسارها وسارّته، فتقوم علىّ القيامة، وأقول: ضحك إليها، وضحكت إليه للمعرفة، فما موضع السرار، ثم أهم بضربها بالعمود، فللتأنى الذى عندى، أقول: لعله طالبها بصوت تغنيه فأمسكُ، فلا يطول الأمر بينهما حتى أراه قد أدخل يده تحت ثوبها، فقرصها وعبث ببدنها، فتداخلنى الغيرة، فأقول: ليس بعد هذا شىء، وأهمّ بضربها بالعمود، إلا أنى على ما ترى معى تأن وثبات، فأقول: بعد لم يبلغ بها القتل، وهذه أوائل سيكون لها أواخر فإذا أنا رأيت ما يوجب القتل قتلتهما، واسترحت فأمسك فلا يطول الأمر حتى أرى الواحدة منهن، قد قامت، وقام الرجل فى أثرها، فيدخلان ذلك البيت وبابه وثيق جداً، وأسعى خلفهما بهذا العمود لقتلهما ألبتة، فيطبقان الباب من داخل، وأبقى أنا خارج، وأنا غيور كما قد علمت.

فأقول متى سمعت حركتهما مت، وقتلت نفسى، فلا يكون والله يا أخى لى اعتصام إلا بذلك الطبل المعل فأتناوله وأضعه فى عنقى فلا أزال أضربه حتى يخرجا.

قال: فأقمت عنده على طمأنينته منى، ولم أر أوفى منه قولاً وفعلاً.

ومن أبيات للحسن بن هانئ أبو نواس:

عجبت من إبليس فى تيهه	وخبث ما أظهر فى نيته
تاه على آدم فى سجدة	وصار قواداً لذريته

باب: فى فضل الثيب على البكر

قال يزدجرد فى رسالته:

فى فضل الثيب على البكر، وهو أحسن ما وضع على هذا المعنى.

قالت الثيب للبكر:

ما ذلك على أن فضل الثيبات العارفات، والمسرات المسترات، أفضل من الأبكار؟

قالت البكر:

فضائلنا كثيرة، ومحاسننا مشهورة، ولكن يُقتصر على اليسير منها، والصغير من أنحائها؛ ليكون الظاهر من خَضْرها دليلاً على الباطن منها، فلو لم يكن من فضائل الأبكار إلا أن أحداهن إذا عرفت بعلاً لم تعرف سواه، وألفت شيئًا لا عهد لها بمثله، فلم تعلم الطيب من المنتن، ولا الصالح من الطالح، والجيد من الردئ، والشكل من الضد، والسمج من الجواد، والفاضل من المفضول، والصحيح من العليل؛ فاستشعرت بما لا علم له بمثله أن اللذات كلها والشهوات جميعها مقسومة عليها منحازة إليها، فيطيب لها عيشها يؤمن بها غوائلها، ولا يبخس فى فعلها، وهذه خاصة لا يدفع القول بها، ويمتنع الإذعان بمثلها إلا من له خوف من الله عز وجل، ولا نصيب له فى الدنيا.

قالت الثيب:

إذا فسد الشجر، حمض الثمر، وإذا قُلعت الأصول تهافتت الفروع، والمنطق لعمرى ينتجه العقل، والغالب أشرف من المغلوب وقد نبأت عن عقلك، ومقدارك فى حكمك، وقد كان يظن لك وذلك، ولو كانت البكر والثيب جنسين منفصلين وشيئين متباينين، وإلا فهل رأيت قط ثيبًا لم تكن بكرًا مرة، فكأنك إنما تحدثينى عنى، ألم أكن مثلك بكرًا؟ ألم أتطعم ألم الذكر؟ ثم إن من أجل الذكران بأنفسهم قدرًا، وأجملهم أمرًا وجمالاً وكمالاً وفضلاً وإفضالاً، حتى إذا أحالت الأيام بيننا، وفارقت الأحكام دوننا، وكان من قدر الله تعالى ما كان.

ولعمرى إنا لو وجدنا بكرًا يتداولها الرجال، ولم يلحق بها شناع الخصال، ولم تهتك أخًا، أو تفضح أبًا، وتشنأ أهلاً، وتُوكسن بعلاً، فلذلك لنا لا علينا.

قالت البكر:

لو عقلت واقتصرت على الحاصل، ولم تسمعي بإحدى أذنيك، وتبصري بالواحدة من عينيك لارتفع التبجيل، وصرنا جميعًا إلى الحق، والمحصول، وإلا فمن أزين أمرًا وأستر سترًا وأخف بطنًا وظهرًا بين عاتق أبصرت الدنيا بغير ناظر، وعرفت صفوها من كدرها، وخيرها من شرها، وصالحها من طالحها، فنظرت لنفسها نظر المستبصر العاقل، والحر الفاضل والأماني لذة محمودة، وشهوة محمودة وخير عاجل ونعيم آل وهو موفَّرٌ مجموع، ومصور مرفوع في الفتى والفتاة والمهاة للمهاة، لا حائل بينهما، ولا مانع دونهما، ممتزجات بالعقول والأرواح، متلاصقان بالأجساد، والأجلاد، مخلوعتا العذار، عنتان من الاعتذار، لم يُعرن عارًا، ولم يبرزن شنارًا، مصونات الستور، متلاصقات الخدور إلا أنك تزعمين أن الطيب، والطرب، والفخر والحسب، إنما هو في الحمل والرضاع، وحق الأطفال، والصبيان، والجلوس في الزبل والأصنان.

قالت الثيب:

إن إلى كل واضحة دليلاً، وإلى كل علامة حق سبيلاً، وبين التعريض والتصريح منزلة لا يفوت حالها المستبصرون كما لا يفوز بمثلها المبهرجون، فإنه يقال: من خالف عيبًا بصره، ومن لابس سوءًا غمره، وقد عَرَضت بمعنى، وصرحت بالآخر، لو لوّحت بالسوية وكشفت عن التشبيه والمخرقة، وذلك يكن أشبه، وأشكل بأمثالكن مما زدت على أن نبهت على عقلك، وكشفت عن اعتقادك، وصرحت بقول ما بي ود يصان، قد دق وصار فنون كأنك أردت بتفريق الشمل وبتقطيع السبل، وإلا فهل يكون بين المهاة والمهاة والفتاة والفتاة أن يؤثروا الأنبياء، والمرسلين، والملوك، والخلفاء الراشدين والأدباء، فإن كان كما تقولين فهو كذلك، وإلا فقد علم المتحققون بحق الله والقائلون بأحكام الله، والملتجئون إلى سنن رسول الله وسنن الحق، ومخائل الصدق، أن الله لم يبعث رسولاً هو أشرف محلاً ولا أرفع مكانًا ولا أكثر ملة من نبينا محمدًا ﷺ حتى نقل الصديقون عن الله والعالمون بحكم الله أن لولاه ما خلقت الأرض، ولا من عليها، ومن كان هذا مقاله وسائر أحواله فقد علمنا أن ذلك إذا كان كذلك، فإن الله عز وجل لم يدخر فضلاً آجلاً، ولا جزاءً عاجلاً إلا وقد جعل نصيب رسول الله منه الأكثر، وحظه منه الأوفر.

وإذا كان هكذا بإجماع منا معشر المقرين بنبوته، والمنقادين لرسالته، فليس لنا أن نعدل عن إذنه، ونأخذ بغير سنته، ولا نتنافس على ما حث إليه، ووقف عليه، فإن إنسانًا لو

وجدناه يقول أحب الصلاة والصلاة هي حبيبة رسول الله ﷺ كما ورد لعلمنا أن الله تبارك وتعالى قد فتنه بحب الصلاة، فصار تبعًا لرسول الله فى ذلك، ولما وجدناه ﷺ قد حبب الله إليه نوعًا من لذات الدنيا حتى جعله الله تعالى عنه فى أعز المراتب وأكبر المطالب، قد علمنا يقينا أن الله تبارك وتعالى حبب إلى نبيه ﷺ النساء، ويمكن أن يكون غيرهن أطيب وألطف وأعذب وأشرف، فإذا وضح ذلك، فيحتاج أن نعلم بأى الحالات حبن النسوان إليه.

فأما إن وجدناه ﷺ قد بدأ بتزويج الثيبات، فقدمهن وابتدأهن، كما قدمهن الله تعالى فى كتابه فقال: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]، ولم يقل أبكاراً وثيبات، وأنه ﷺ تزوج خديجة بنت خويلد ثيبًا، وأم سلمة ثيبًا، وزينب بنت جحش ثيبًا، وزينب بنت خزيمة ثيباً، وميمونة بنت الحارث ثيباً، وصفية بنت عبد ثيبً، وأسماء ابنة عميس ثيبًا، وعساك أن تحتجى بعائشة- رضى الله عنها- فأقول إن عائشة واحدة من بين جماعات، وفى العدد صغير من كثير.

فإن قلت: كما قال الله تعالى من الحور العين حين سماهن أبكاراً، فنحن قد علمنا أن تأويل ذلك ليس يدلنا على أن الحور العين تفتض عذراً من عذرتها، وإنها ذات دم وحيضة، لكنه عز وجل خاطب الناس بأقرب ما يتأتى فى أهوائهم، وقَرُب من محابهم، كما قال: خمراً وعسلاً، ونحن نعلم أن الخمر فى الجنة لا يسكر ولا يلهى عن ذكر الله عز وجل، ولا هو بخمر.

ثم لا نجد الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين، والفقهاء من التابعين، افتتنوا بالعوائق الأبكار، بل عشقوا النساء الثيبات.

فمنهم إبراهيم الخليل عليه السلام، فإنه أحب هاجر.

وداود عليه السلام أحب امرأة أوريا(١).

ويوسف عليه السلام أحب امرأة العزيز، ثم تزوجها على كبر سنها، وبعد أن عميت لما أن كان فى نفسها منها.

ونبينا ﷺ استأثر بأم أيمن، امرأة زيد(٢)، وهن جميعًا ثيبات.

---

(١) حب داود عليه السلام من امرأة أوريا قائده، هذا من البهتان البين الذى لصقه اليهود بالأنبياء ظلمًا، وعدوانًا، ولتراجع القصة فى تاريخ الطبرى، ففيها شفاء، وزب عن ساحة الأنبياء.

(٢) زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش لم يكن لشغف النبى ﷺ كما ذكرت هنا، بل كان أمراً من الله تعالى، لينهى عن عادة التبنى، ولمن أراد الزيادة فليراجع كتب التفسير فى ذلك، والله أعلم.

ومن الفقهاء والتابعين: عبد الرحمن بن أبى بكر، وعبد الرحمن بن عمّار فقيها الحجاز، والمغيرة بن شعبة، أحد الصحابة، وأبو عبد الله الكبير، وعبيد الله ابن أبى عتبة بن مسعود، وهو فقيه المدينة، واستشهد على عشقه، وهؤلاء، كلهم فقهاء.

ومن الخلفاء:

المهدى، والرشيد، والمأمون، والواثق، والمعتصم، والمتوكل.

ومن هو دون هؤلاء الطبقات من الوزراء والوجوه والكبراء والشعراء: ابن أبى ربيعة، عشق الثريَّا، ولم تكن بكراً، وجميل عشق بثينة، ولم تكن بكراً، وكذلك كثير عزة، وهن جميعًا ثيبات.

قالت البكر:

الحقيقة فوق ما دونه وإن تظاهرت الأباطيل، واشتبهت الأقاويل، وأى لطيفة ألطف، وتحفة أشرف من مادٍ يده إلى ثمرة شجرة لم يطعمها سواه، ولم تمسسها يد غيره، ولم تتبدل قبله ولا بعده، فإذا استعذب منها مجتناها، واستطابها، واستحلاها، وورد خاصبًا ليأكلها، فحازها، واحتواها، وحرسها وغطاها، موقوفة عليه منسُوبة إليه لا شريك له فيها ولا منازع له عليها.

قالت الثيب:

إن المجرب للأمور واقف من أمر بين حالى الشك، واليقين، والمحمود والمذموم، والمجرب للثمرة غير مأمون أن يظنها حلوة فتكون مُرّة، أو عذبة فيجدها علقمًا، أو مفدّركة فتكون مهلكة، أو عادية فتكون قاتل، أو ما علمت مع ذلك أن الباكورة مذمومة مدحورة، والمبكرات من الفواكه والثمار غير مأمونات من الأعراض والأمراض، وأن أطيب الرّطب فى وسطه ومنتهاه، وأعذب العنب[1] فى غايته وآخره.

(١) العنب: عرف الطب الحديث فى تحليل العنب أنه يحوى: البوتاسيوم، والمنجنيز، والكلسيوم، والماغنيسوم، والصوديوم، والحديد، والكلور، والفسفور، واليود بنسب عالية، وهو غنى بفيتامينات (أ، ب)و (جـ). ويحوى الكيلو الواحد منه من ١٢٠- ١٥٠ جرامًا من السكر الهاضم، إلى جانب عناصر أخرى هامة تجعله مقادلاً- فى التغذية- لحليب المرأة، ويكفى وحده لتغذية الطفل فى الأشهر الأولى من حياته، ويستحق أن يكون نوعً من «الحليب النباتى» كما أن الكيلو الواحد يعطى من القيمة الحرارية أكثر من ٩٠٠ حرورى، أى ضعف ما فى غيره من النبات.

وبنتيجة التحاليل والتجارب، اعتبر العنب الفاكهة الأكثر كمالاً وغنى بالمواد الغذائية، ويشاركه التين فى هذ الصفة. وتبين أن لتراً واحداً من عصير العنب يقدم غذاء للطفل، بمقدار ما يقدمه ليتر من حليب الأم لابنها، ويمتاز بأنه أسهل هضمًا من الحليب.

وأن المشمش[1] والبطيخ والسفرجل والتفاح غير مأمونة الأوائل، وأن أوائلها تعد من القواتل فى عفوصة الرمان، وحموضة التفاح، وفجاجة التين[2]، وزعارة الزيتون[3]، قبل

(= ومن جهة الهضم: إن الكيلو من العنب الناضج يحوى ما يعادل ستة غرامات من (بيكربونات الصودا)، وشرب نصف ليتر من عصير العنب، يعادل شرب ليتر من مياه فيشى. وماء العنب غنى بالأملاح المعدنية- وبخاصة البوتاسيوم- وهذا ما يجعله مدرا للبول قويًا.

وليس من المدهش أن نسمع من الأطباء الطبيعيين، نتائج هامة حصلوا عليها فى اعتماد العنب علاجًا لمرضاهم فى كثير من الحالات، وهم ينصحون بتناول ٢٠٠ج من العنب على الريق صباحًا، ومثلها بعد خمس ساعات خلال موسم العنب، فيحفظ الجسم بذلك من كثير من العلل والآفات.

ينظر: قاموس الغذاء ص (٤٢٦- ٤٢٧).

(١) شجر مثمر من فصيلة الورديات. التى منها: التفاح، والكمثرى، واللوز، والكرز، وغيرها. وفى المعاجم العربية أن لفظة «مشمش» مثلثة الميمين، أى «مُشْمُش»، و «مَشْمَش» و «مِشْمِش» فالأولى شامية، والثانية كوفية، والثالثة بصرية.

شجر المشمش يطول حتى يقارب شجر الجوز، وهو سبط العود والورق، ونوى ثمره إما حلو فيعرف باللوزى، وإما مر فيعرف بالكلابى، وله أنواع عديدة أشهرها: الحموى، البلدى، القيسى، التدمرى، الوزرى (الوزيرى)، العجمى، وغيرها، وكان فى دمشق نوع يعرف- قديمًا- باسم «اللُّقِيس»، وقد ذكره الشاعر «منجك» بقوله:

إنَّ لقيس جلَّـــق	واهنُ العظْم والقوَى
لم يُكلِّفكَ كَســرَهُ	فالقُ الحَبِّ والنَّوَى

وكلمة لِقّس» فى عامية دمشق تطلق على: كل نبات يتأخر نضجه عن موسمه، وقد كان هذا المشمش من نوع «اللقيس».

أما منافعه فهو: مغذ، منشط وملين، وسريع الهضم عند الأصحاء. ينظر: قاموس الغذاء (٦٧٥، ٦٧٨).

(٢) التين: روى ابن قيم الجوزية فى كتابه «الطب النبوى» عن «أبى الدرداء» قوله: أُهْدى إلى النبى ﷺ طبق من تين، فقال: كلوا، وأكَلَ منه، وقال: لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة، قلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوا منها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس». وقد علق ابن قيم الجوزية على هذا الحديث بقوله: «وفى ثبوت هذا نظر».

وقال- فى مطلع حديثه عن التين-: «لما لم يكن التين بأرض الحجاز والمدينة لم يأت له ذكر فى السنة.. فإن أرضه تنافى أرض النخيل، ولكن قد قسم الله به فى كتابه لكثرة منافعه وفوائده، والصحيح أن المُقسَم به هو التين المعروف».

أهم خصائص التين: أنه كثير التغذية، هاضم، مقو (يُعطى للرياضيين خاصة)، ملين، مدر للبول، مفيد لأمراض الصدر، دواء وضعى ملطف.

(٣) وصف الزيتون وزيته فى الطب الحديث بأنه مغذ، وملين، مدر للصفراء. مفتت للحصى، محارب للإمساك، مفيد لمرضى السكر، ويستعمل فى هذه الحالات- من الداخل- بتناول ملعقة إلى ملعقتين =

إدراكها، وتزعمين أن الموفق من الناس يختار عن شدة الجوع أن يأكل فرُّوجًا نيئًا، وهو يقرقر، والجزور حيٌّ يبربر، وسائر الحيوان غير مصنوع ولا مدبر فلا أرى مع ذلك أن الفرق بين من رام متنزها فأتاه، وهو يفعل فعلاه وبستانًا فدخله، وعمرانًا فوصله، وبين من رام ذلك فوجده ممنوعًا بالأبواب وأنواع الحفظة والحجاب، لا سبيل له إليه، ولا سلطان له عليه، دون إضرام الحرب والطعن والضرب، لغير أن يرمى وجه المصون، وجسمه المكنون مما لا يدرى يكون أو لا يكون، وما الفخر الآن والنطق بأكل قدر لم يذقها طباخها، وما الفضيلة فى أكل فراريج يؤذينا ريحها بأيدينا، ولا نطعم من حيوان لم يتقلد بحره سوانا، وما المنافسة على ركوب فرس لم يرضها سواسها، ودخول بلد لا عهد لإنسان بدخوله.

فإن حسن ذاك واعتدل، وعز الأخذ به وفضل، فإنا نجد أن أعز المنجمين من ضاع خاتمه لنفسه، وأهنى الطاعمين من ذبح وطبخ وعجن وخبز وأكل دون غيره، حتى نجد الناس يتنافسون على أن يتعلموا السياسة والحجامة والصناعة والتجارة، وسائر الصناعات؛ ليتولوا على ذلك لأنفسهم، هذا إلى أن نزرع القطن بأيدينا ونجمعه ونحلجه وننده ونغزله وننسجه ونقصره ونخيطه، ونلبسه، فإن كان هذا جائزًا والقول فيه واجبًا فما أمر الإنسان أن يحتاج متى هم بالمرأة أن نعرف أيضًا منشأها ومنتاها، وأن يعرف أيامها وساعا، وحواضها وداياتها، وأن يحضر ميلادها ونفاسها ويسوسها صغيرة ويصونها كبيرة، فإن فاته ذلك ولم يعلم منها ما وراء سترها من خيرها وشرها وما فى مخبئات ضمائرها وفكرها، وما تحوى عليه مكامن صدرها من الميل إليه والتشاغل بسواه، والرغبة عن نحوه وإلا لم يرها أهلاً له ولا موضعًا لمثله.

فإن أوجب ذلك لنفسه وادّعى إلى القول بقوله، فعليه أن يعلم الغيب، وخافية الأعين وما خفى الصدور.

ثم قالت الشيب:

وقد حدثنى الإقلندس قال: غدوت إلى صديق عريسًا أهنيه ثم رحت إليه أعزيه.

= من الزيت مرة فى الصباح ومرة قبل النوم، ويمكن إضافة عصير الليمون الحامض إليه.

ويفيد الزيتون- خارجيًا- فى حالات الخراجات والدمامل، وفقر الدم، والإكزيما، وتشقق الأيدى من البرد (التثليج)، والقوباء والكساح، والسيلان الصديدى، وسقوط الشعر، والعناية بجلد الوجه والجسد.

ينظر: قاموس الغذاء (٨-٢٦٧- ٢٦٨).

قالت البكر:

وكيف كان ذلك؟

قالت:

لأنه ابتنى بأهله بعد شدة شديدة وجهد جهيد، ثم إن الجارية غفت معنا، ثم استثقلت في نومها نصبا لما نالها وألجأها وأضعف جسمها وحلّ بها، ثم انتبهت تنتفض فزعًا، وتستغيث جزعًا.

فقيل لها في ذلك، فقالت:

رأيت في النوم كأن بعلي يقتضّني بأمنه، فلم تزل على ذلك من اضطرابها حتى قضت فرقًا وخوفًا، فصار العرس مأتمًا.

وحدثتني زريق: جارية إبراهيم بن أمير المؤمنين المهدي بالله في عكس ذلك، وقد حدثتها سلمى وكانت لأحد الوجوه، قالت: أصبحت مؤنسة من برسام كان بها، فلما لم يبق إلا آخر رمق إذا وثبت جالسة مع شدة ضعفها، وإنحلال قوتها، واستبشر أهلها ودعت بطير لها، وسئلت عن ذلك.

فقالت: إني رأيت خليلي في النوم بخيالي كما أحب خياله، فصددت إلى قوتي، وزالت عني علتي، وكانت ثيبًا، وذلك يدل على فضل الثيب على البكر من فضل الحياة على الموت.

فولت البكر باكية منتحبة ساكتة.

* * *

باب: مناكح الحيوانات

ذكروا أن كثرة السفاد والمبالغة فى الإبطاء والدوام، وكثرة العدد قد يكون لضروب من الحيوان، والإنسان يغلب تلك الأجناس كلها؛ بأن ذلك دأب منه فى جميع الأزمنة.

فأما البطاء فى حال السفاد: فإنه للحمل، والذباب، والخنازير[1]، وهو فضلها لها.

فأما كثر العدد: فهو للعصافير[2].

---

(١) جمع خنزير، وهو بكسر الخاء المعجمة جمعه خنازير وهو عند أكثر اللغويين رباعى وحكي ابن سيده عن بعضهم أنه مشتق من خزر العين؛ لأنه كذلك ينظر فهو علي هذا ثلاثى يقال تخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدد النظر؛ كقولك تعامى وتجاهل، قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه في يوم صفين:

إذا تخازرت وما بى من خزر   ثم كسرت الطرف من غير حور

ألفيتني أولى بعيد المستمر   كالحية الصماء فى أصل الشجر

أحمل ما حملت من خير وشر

وكنية الخنزير أبو جهم، وأبو زرعة وأبو دلف وأبو عتبة وأبو علية وأبو قادم وهو يشترك بين البهيمة والسبعية فالذى فيه من السبع الناب وأكل الجيف والذى فيه من البهيمة الظلف وأكل العشب والعلف، وهذا النوع يوصف بالشبق حتى أن الأنثى منه يركبها الذكر وهى ترتع فربما قطعت أميالاً وهو على ظهرها، ويرى أثر ستة أرجل فمن لا يعرف ذلك يظن أن فى الدواب ما له ستة أرجل والذكر من هذا النوع يطرد الذكور عن الإناث وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعًا، وإذا كان زمن هيجان الخنازير طأطأت رؤسها وحركت أذنابها وتغيرت أصواتها وتضع الخنزيرة عشرين خنوصًا وتحمل من نزوة واحدة والذكر ينزو إذا تمت له ثمانية أشهر والأنثى تضع إذا مضى لها ستة أشهر، وفى بعض البلاد ينزو الخنزير إذا تمت له أربعة أشهر والأنثى تحمل جراءها وتربيها إذا تمت لها ستة أشهر أو سبعة وإذا بلغت الأنثى خمس عشرة سنة لا تلد وهذا الجنس انسل الحيوان والذكر أقوى الفحول على السفاد وأطولها مكثًا فيه.

ينظر: حياة الحيوان (٢١/ ٢٧٥).

(٢) العصفور: بضم العين، وحكى ابن رشيق فى كتاب الغرائب والشذوذ عصفور بالفتح والأنثى عصفورة، قال الشاعر:

كعصفورة فى كف طفل يسومها   حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

وكنيته أبو الصعو وأبو محرز وأبو مزاحم وأبو يعقوب، قال حمزة: سمي عصفورًا؛ لأنه عصى وفرّ وهو أنواع منها ما يطرب بصوته ويعجب بصوته وحسنه، والعصفور الصرار وهو الذى يجيب إذا دعى من الصبرورة وعصفور من الجنة وهو الخطاف. ينظر: حياة الحيوان (١/ ٢٧٥).

قال: وروى أبو المعمر عبد الله الغنمي، أن التيس الذي يقال له: المشارطى قرع فى يوم واحد نيفًا وثمانين قرعةً، إلا أن ذلك منه ومن مثله.

قالوا: وقد يعرض للسنانير[1] كما يعرض للخنازير.

وحكى بعض العلماء: أن الزنج أشبهوا الحمير فى كل شيء، حتي فى الحُلاَق، والحلاق: أن يكون هو الطالب والنبيذ: يهتك ستر الحلقى وينقص من عزم المتحمل وهم يشربون النبيذ أبداً وسوء الاجماد له وسرعة السكر لهم عامٌ فيهم.

وكان فى منزل يعقوب بن إسحاق، هرَّان عظيمان، فنكح أحدهما الآخر، وذلك كثير مما يكون.

فحكى يعقوب: أن المنكوح منهما لا يمانع الناكح، ولا يلتمس منه مثل الذي يبذله له.

قالوا: وليس العقاد والتحام الفرجين إلا فى الكلاب والذئاب، إذا تعاقلت وتسافدت رأيت أمراً عسيراً.

والحيوان الذى يطاول عند الفساد: فإنما هو الكلب، والذئب، والحَمل، والعنكبوت، فإذا أراد العنكبوت السفاد جذبت العنكبوت، بعض خيوط نسجها من الوسط، فإذا فعلت ذلك فعل الذكر مثله، ولا يزالان يتدانيان حتى يتشايكان، فيصير بطن الذكر قبال بطن الأنثى.

وذلك علي سفادات الضفادع.

وحكى عن بعض الأعراب أنه قال: إذا هجم الرجل علي الذئب، والذئبة، وقد التحم الفرجان قتلهما الهاجم عليهما كيف شاء، إلا قليلاً ما يوجدان كذلك لأن الذئب وحشى جداً، صحب نفرة وخلوة وانفراد، وتباعد، فإذا أراد ذلك من الذئبة توخيا موضعًا من الديار لا يطأه الإنس خوفا علي نفسه وضنًا بالذى يقدر في المطاولة من اللذة.

قالوا: وخصى ذكور الطيور، يكون في أول السفاد أعظم وكل ما كان من الطير أكثر سفاداً كانت خصيته أعظم من الديك، والقبج، والحجل، وخصية العصفور أعظم من خصيته ما يساويه فى الجثة مرتين.

وليس في الأرض من جميع أجناس الحيوان ما للذكر حجم ظاهر إلا الإنسان والكلب والقرد.

---

(١) جمع سنور، وهو حيوان متواضع خلقه الله تعالى لدفع الفأر.

وليس في الأرض شيئان يتسافدان فيبلغ من للذة كل واحد منهما لصاحبه حتي يلتحم عضو الذكر وعضو الأنثى ويصير إلتحامهما التحام الحلقة: غير الكلاب.

وزعم أرسطاطاليس: أن الذئاب في ذلك مثل الكلاب.

وكان ابن غزوان قد تعشق امرأة شبير بن عمران وكانت إذا وقعت به لم تمكث عنده إلا مقدار ما يقع عليها وقعة فإذا فرغ لبست خفها وطارت، وكان إسماعيل ابن غزوان يحب المعاودة ويزيد في الحديث والقرص والشم والتقلب والتقليب، والتجريد، وتعلم أن في التكرير للثاني والثالث أجدر أن يبطيء وأجدر أن يشفي، وكان ربما ضجر وذكرها بقلبه، وهو في المجلس، فيقول: يارب امسخني وإياها كلبين ساعة من نهار، أو ليل حتي يشغلها الالتحام عن الفكر في غضب مولاها إذا احتبست.

وفي طباع الكلاب أعجوبة: فمنها أنها تلقح من جميع أجناس الكلاب، وتلقح من أجناس أخرى غير الكلاب، وتلقح من كلاب مختلفة الألوان فتؤدى شبه كل واحد وتملى أرحامها جزءً من سفاد كل واحد، ومن مرة واحدة، كما تمتلئ من عدة كلاب، ومن كلب واحد، وليست هذه الفضيلة إلا لأرحام الكلاب.

والفيلة[1]: إذا صنعت من ذكورها شيء أحاله حتي يكومه ذكر آخر، فإذا كامه خضع أبداً.

ويقال:

إن أكبر الأيور من أيور الحيوان: الفيل.

وأصغرها: الظبي.

ونصيب البط: لا يذكر مع هذه الأشياء.

وقد صح أن للضب: أيرين.

وكذلك: الجرذون والسقنقور.

قالوا: وإنما صار الخصي من كل جنس أسمن؛ لأنه لا يسفد ولا يهيج.

(١) جمع فيل، والفيل: معروف وجمعه أفيال وفيول وفيلة، قال ابن السكيت. ولا تقل أفيلة وصاحبه فيل، قال سيبويه: يجوز أن يكون أصل فيل فعل كسر من أجل الياء كما قالوا أبيض وبيض وكنيته أبو الحجاج وأبو الحرمان، وأبو دغفل وأبو كلثوم وأبو مزاحم والفيلة أم شبل.
ينظر: حياة الحيوان (٢/٢٦٨).

والسقنقور: إنما ينفع أكله إذا صيد في أيام هيجه وسفاده فصار لحم الهياج يهيج لمن يريد العلاج به.

وذكروا: أن المرأة إذا حملت شيئًا من نحو الفيل، بعد أن تخلطه بشيء من عسل لم تحبل أبداً.

قال أرسطاطاليس: أير الفيل أصغر من مقدار بدنه، وخصيته لاحقة بكليتيه، وكذلك يكون سريع السفاد.

قال ابن الوشجار: أقبل من خراسان في بعض طرق الجبال، فرأي أكثر من ميلين متصلين في مواضع كثيرة من الأرض أن رجل، فسألت المكارى عن ذلك؟

فزعم أن الخنزير الذكر في زمان الهيج يركب الخنزيرة، وهي تروح أو تذهب نحو مبيتها، فلا تقطع سفادها أميالاً، ويداه علي ظهرها، ورجلاه خلف رجلاها يكون في الأثر.

والفيل: يشتد خلقه في زمان الهيج، والفيالون يحمونها النّزو، لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً، فاعتراها هيج لا يقام له، فإذا كان ذلك الزمان أحادوا عقله، وأرسلوه في الفيل الوحشية.

وأما الخنزير والكلب: فإنهما لا يجهلان علي الناس ولو كانوا ألفًا.

وزعم قوم: أن إناث الخيل: تمتلئ وتحامى في زمان هيجها، فلا يباعدون الذكورة عنها، فإذا اعتراها ذلك ركضت ركضًا شديداً، ثم لا تأخذ شرقًا ولا غربًا، بل تأخذ في الشمال والجنوب، ويعرض مثل هذا لإناث الخنازير، فتطأطئ رؤوسها، وتحرك أذنابها تحريكًا شديداً متتابعًا.

والخنزير ينزو: إذا تم له ستة أشهر.

وقال بعضهم:

إني رأيت الخنزير الذكر، وقد ألجأه أكثر من عشرين خنزير إلى مضيق زاوية، ثم ينزوا عليه واحد بعد واحد حتي يبلغ آخرهم.

وزعموا: أن الأول يتقدم فلا ينافسه ولا يسابقه من الباقيات أحدهم، ثم يستعمل مثل ذلك الثاني علي الولاء، وعلى النسق حتى كأن جماعة الخنازير الذين يقدمون في مثل هذا الصنع الأنبل، فالأنبل، والأرفع، فالأرفع.

قال:

وذكورة الخنازير يطرد الذكر عن الأنثي، وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعًا.

وكذلك الذباب والكباش والنمور فى أقاطعها وهي قبل ذلك متسالمة.

فإذا كان ذلك الوقت أراد كل واحد منهما أن يكون هو المستولى علي القطيع، والجمل فى ذلك الوقت لا يدع إنسانًا ولا جملاً يدنو من هجمته وكذلك الذئب.

قال:

والذئب والأسد ليس ذلك في صفاتها، لأن بعضها لا يأوي إلي بعض بل ينفرد كل ذكر بما يليق به.

ويحكى عن القرد:

الزواج والغيرة علي الأزواج، ما لا يحكى مثله إلا علي الإنسان لأن الخنزير يعانق فى عامة الدهر له، وأجناس الحمام تزوج ولا تغار، واجتمع في القرد الزواج والغيرة، وهما خصلتان كريمتان واجتماعهما من مفاخر الإنسان علي سائر الحيوان.

وليس للحيات سفاد معروف: ينتهي إليه علم ويقف عليه عين، وليس عند الناس علم إلا ما يرونه من ملاقاة الحية للحية، والتواء كل واحد منهما علي صاحبه حتى كأنهما زوج خيزران.

وحكى:

من عاين أمر الحمام، أن الحمام الذكورة والإناث إنما يتسافدان بالاستاه فمن أى وجه كان تلاقيه ربما كان ذلك تناكحهما، والذكر يأتى علي ما يريده، والأنثي تأتى علي ما تريد، ولكل واحد جهة وضرب من الشهوة والحمام ذرته وبوله من جهة واحدة، ومكان واحد.

فلذلك فرج الذكر الذى يسفد به، إنما هو عضو يكون في مثل هذا المكان الذى يكون فيه للأنثى، وإنما يختلفان باختلاف العضوين لا باختلاف المكانين.

والدجاجة: تمكن كل ديك، والديك يثب علي كل دجاجة.

والحمام الذكر: ربما غير حمامة كلها، ولا يقط إلا أنثاه، وكذلك الأنثى لا تدع إلا زوجها وربما أمكنت .

وسبيل الحجل والقبج: سبيل الديكة والدجاج.

باب: مساحة الذكر والفرج

إنا لما وجدنا مقادير الذكر مختلفة فى الرجال.

فمنها: الضئيل الدقيق.

ومنها: الوافر الغليظ.

ومنها: التام الطويل.

ومنها: الصغير الحقير.

فاحتجنا إلي اتخاذ تمثال لأوسطها، وأعدلها كما تكلم جالينوس علي المزاج المعتدل من بين سائر الأمزجة.

فوجدنا أوسط مقادير الأيور ما ذكره الهندى:

ما كان ثمانى أصابع، فجعلنا ذلك طول التمثال الذى اتخذناه من الخشب، وجعلنا امتلاءه فى سعة الدرهم، إذا كان ذلك المقدار الأوسط فى امتلاء الأيور، وجعلنا شكله موازنًا لشكل الذكر سواء فى الفيشة، وفي جميع الصورة، ثم عمدنا إلي إناء صحيح التجويف الاستدارة، ومسحنا دايراه؛ فكان اثني وعشرين أصبعًا، ثم صببنا فيه ماء حتي انتهي إلي موضع عرفناه، وخصلناه، ثم ألقينا التمثال فيه، وعرفنا الموضع الذى ارتفع الماء إليه، ومسحنا ما بينهما، فكان أصبعًا واحدة، فضربنا اثني وعشرين في مثله، فبلغ ذلك أربعمائه وأربعة وثماني، فزدنا عليه نصفه وربعه، وهو ثلاثمائة وثلاثة وستون فصار الجميع ثماني سبعة وأربعين، ثم قسمنا ذلك علي اثني وعشرين، فكان مائتي وثلاثين اصبعًا، ونيفًا، وهو مساحة الدائر، فضربناه فى مقدار ما بين حد الماء الأول، وحد الماء الثانى، وهو واحد، فكان ثماني وثلاثين أصبعًا ونصف، وهو ما خرجت به تكسير مساحة الذكر في أوسط المقادير في الطول والاستدارة.

وأما الفرج:

فذكر جالينوس: أنه ليس يستوي مقدار الرحم فى جميع الدنيا وذلك؛ أن الرحم من المرأة الحامل أعظم مقداراً من رحم المرأة التي ليست بحامل بكثير، وما دامت المرأة لا

تحمل أصلاً، فالرحم منها أصغر.

وأما مقدار الرحم المعتدل:

فتجد طوله فيما بين السُّرم والفرج، وكذلك طرفه الأعلى، وهو قعره قريب من السُّرم، وطرفه الأسفل، وهو أقصى رقبته ينتهي عن الرحم الخارج مسافة متساوية فى جميع النساء، يكن نحو إحدى عشر أصبعًا، فهذا مقدار طول الرحم.

فأما عرضه:

فبحذا عظمى الحالبين، وذلك أن للرحم زيادتان في قعره يشبهان القرنين فى أول نباتهما، وبعضهما يُشبهها باليدين، وهما مقوستان شاخصتان نحو عظمي الحالبين، يتصل طرفاهما بالأنثيين من المرأة بعرقين فيما بينها يمتعان.

وأما حد الرحم فى السُّمك:

فهو علي ما قلنا متقدمًا بين المثانة والسرم، إذا كانت المثانة مطبقة علي الرحم، والسرم مغروسًا في الفرج، وهو الفضاء بين عظمي العانة، وله من خارجه ما يغطيه من طية الجلد ونظيره من الذكر القلفة.

وأما شكل الرحم:

فهو علي هذه الصفة فى كل بدنه، وخاصة في قعره شبيه بالمثانة، ويخالفها بالزيادتين اللتين علي جنبهما وللرحم المعتدلة في مقداراً فيما بين الأمعاء الدقاق.

وأما إذا عظمت:

فهي تملأ الحالبين، وأسفل البطن، وتماس كثير من الأمعاء.

وإذا كانت الرحم شبيه بالمثانة علي ما ذكر وليس يتساوي عرضاها من جهتهما فالوجه فى مساحتها أن تضرب طولها وهو على ما يحكى أحد عشر أصبعًا فى أوسع موضع فى فتحها، وهو على تقريب ثماني اصابع، يكون ذلك ثمانيًا وثمانين أصبعًا، فإذا أسقطنا من ذلك سبعة ونصف سبعة، وهو ثمانية عشر وستة أسباع صار الباقى بعد ذلك تسعة وستين أصبعًا، وهو مساحة القطع من أعلاها إلي أسفلها، فإذا ضربنا ذلك فى أربعة، كانت الجملة مائتي ستة وسبعين إصبعًا وهو مساحة وسط الرحم.

فأما ما يخرج من كل جريب أرض من الأحرار فنقول: إن الأشل ستون ذراعًا يكون

بأصابع اليد حساب كل ذراع إحدى وثلاثين أصبعًا وثلثي أصبع ألف وتسعمائة أصبع، فإذا ضربنا ذلك في مثله كان سبع أصابع، الجريب ثلاثمائة ألف وستمائة ألف وعشرة آلف أصبع، فإذا قسمنا ذلك علي ضلع أصابع الحرّ، وهو مائتان وست وسبعون إصبعًا كان ذلك ثلاثة عشر ألف أجراب رطبًا، وعشر الحبّ كذلك علي أظهر المتعارف بين الناس الذين قد اعتادوا ذكره، وهو عشرة وأربعة فصار ألفًا وتسعة وثلاثين ألفًا وخمسمائة وأربعة وعشرين درهمًا ونصف وثُمن.

* * *

باب: في عدة الباءة

العرب تضرب المثل بابن الغز.

فتقول: أنكح من ابن ألغز.

وهو القائل:

وتراه بعد ثلاث عشر قائمًا نظر المؤذن شك يوم سحاب

قالت العرب: أقود من ظلمة.

وأزني من قرد.

وأزني من دب.

وقالت العامة: أغوص من زب.

يراد بذلك أنه أبدًا غائص في العروة كغوص الزب في الرحم.

وقالوا أيضًا: ألوط من قنفد.

يريدون بذلك أنها أبدًا علي باب الحجر كتفخيذ اللوطي للغلام.

وقالوا: أدخل من غلق.

وتفلسف بعضهم فقال:

أدخل من الهواء.

يريد بذلك أنه ليس من مكان إلا وفيه الهواء مملوءًا.

وقرأ إسماعيل ابن غزوان، سورة يوسف عليه السلام فلما بلغ إلي قصة امرأة العزيز ويوسف، وكيف اعتصم يوسف، منها قال: أخ، كيف لا يكون بي تحككت، وكنت أريها من صنوف الجماع شيئًا لم تر مثله، ولكنها عبثت بنبيٍّ صديق معصوم صلوات الله عليه وسلامه.

وقال داود بن سهل: دعوت أبا نواس الحسن بن هاني:

فقال: إن شريطتي عليك أن أجيء بسعد الفلك.

فقلت: لك ذلك، فجاء به معه، وصار إلى صديقين فلما كان الليل

قال أبو نواس لسعد الفلك: لابد أن تجعل الليلة مبيتك بقربي خوفًا عليك من غيرى، فأجابه إلي ذلك وكان ممتنعًا عليه، فلما اضطجع أدخل أبو نواس يده بين فخذى سعد الفلك.

فقال: ما آمن عليك إلا أن أفعل هذا، فلما أغفى أخرج يده، وأدخل أيره مكانها، فاستيقظ الغلام منكرًا لذلك، وقد قضى أبو نواس حاجته.

فقال له أبو نواس: انصفني في القياس ولا تظلمني، أليس أيرى بمنزلة كفى؟"

ثم أنشأ يقول:

قل للغـــزال غـــزال آل مـــخلد	**يا كافرى نعمي عليك وجاحدى**
أترى مـصـافـحتى تحل ولا ترى	**عـيـبـا دخـولى مـا وراء السـاعـد**
إن كنت تنظر فى القـــيـــاس	**فـإنما أيرى وجلدى من أديم واحد**

وحكى، أن العرود الغريبة، كانت لا تزال تفعل فعلاً بعد فعل فتزوجها رجل قصير الفرق، قليل الباءة، فلما واقعها استحيا من خفة ما عنده ومن بضعته.

فقال لها: أنت واسعة الحرّ.

فأنشأت تقول:

إنى تـبـعّلت من بعـد الخليل فـتى	**نزرا فـمـــا أن لـه عـــرق ولاباه**
مـــاغـــرّنى منه إلا حـــسن طرته	**ومـنطق حـــسن قـــد كـــان يقناه**
فـقـــال لما خـــلا بى أنت واســـعـــة	**وذاك من خـــجل منى تغـشـّـاه**
فـــقلت لما أعـــاد القـــول ثانيـــة	**أنت الفـــداء لمن قـــد كـــان يملاه**

قال: وكان عند رجل من أهل العراق مغنية مشهورة بالحذق يختلف إليها وجوه الناس يرتبطون بها، فعلقت بعض من كان يدخل إليها حتى أمكنته من نفسها، وحملت مولاها على ألا يدعو فى اليوم الذى يكون هو عندها غيره، ففعل وكانا يسكران المولى ويتعاملان.

فقال لها ربطها: أحبّ أن أفعل ومولاك يرانا.

فقالت: كيف يكون هذا؟ قد والله أبغضتني.

قال: ولم؟

قالت: لأني إن لم أجبك إلي ما سألت تجنيت وغضبت وإن أجبتك كانت القطيعة هجران مولاي إياك.

فقال: لابد أن تحتالي فيه بما شئت، فلما ألح عليها في طلب ذلك حملها حبها، وما في نفسها علي إسعافه.

قالت: فَمِل علي مولاي بالشرب حتي يسقط، كأنه ميت من السكر لا نهوض به، وتستلقى علي ظهرك وأقعد أنا علي أيرك، وأديم أنا الغني والضرب لئلا يفطن بما نفعل.

قال: فأسكروه للمولي وفعلت، فوافق فراغه وهي تغني هذا الصوت:

ليت شعري أول الهرج هذا أم زمان من فيه من غير هَرْجِ

إن يعش مصعب فنحن بخير قد أتانا من عيشنا ما نرجى

والشعر لابن قيس أخي الرقيات والغني ليونس، ففتر غناؤها واسترخى صوتها، وضعف بدنها لكون الأير في بطنها، فانتبه المولى، فرآهما علي أمرهما.

فقال: نعم هذا أول الهرْج، إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال: ولاعب بعض الخلفاء جارية له بالنرد إمرة مُطاعة، فغلبته.

فقال: مري بما شئت.

فقالت: قم فجامعني ففعل، ثم عاود الثانى، فقمرته.

فقال: مري بما شئت.

فقالت: جامعني فجامعها.

فقال: مري بما شئت.

فقالت: جامعني فجامعها.

ثم لعب، فقمرته.

فقال لها: ارسمى.

فقالت: تعاود.

قال: ليس يمكن.

قالت: فأكتب به عليك كتابًا.

قال: نعم، ودعا بدواة، وقرطاس، وكتب هذا ما أقر به أمير المؤمنين لفلانة بنت فلان أن طاعية فرداً تطالب به متي شاءت من ليل أو نهار.

قال: وكان علي رأسها وصيفة بيدها مروحة.

فقالت: ياستي اكتبي في الكتاب ومتي ما أقيم بالمطالبة أحد فهو وإلي قبض ما فيه، فضحك الخليفة وأمر لها بجائزة.

وقال: وكان في ناحية الحسن بن وهب الكاتب فتي ظريف، يقول الشعر وكان الحسن يعشق بيان جارية بن حماد كاتب لأشر المعرى، فأهدى إليها الحسن غلالة ممسكة.

فقال الفتي علي لسان الحسن:

أهدى إليها قميصًا يجامعها فيه غيرى

فيا سعادة حرها ويا شقاوة أيرى

قال: وقعد جوار من العرب في محلة مقمرة يتحدثن!

فقلن بعضهن لبعض:

أى الرجال أحب إلى النساء؟

قال بعضهن:

ابن الأربعين خير حامل ما اعتدل بدنه، واشتد دفعه.

فقالت الأخرى:

ابن الثلاثين أقوى منه وأعرف بأمور النساء.

فقالت الأخري:

ابن العشرين يعللني كيف شئت وأركبه إذا هديت، وأحنظه إذا حييت.

فقالت الأخري:

أبو الخمس عشرة الذى فذه فذى، وخده يشبه خدى، أصفيه حبى، وأمحضه ودى.

فقالت الأخري:

قوموا بنا إلي ظلمة وهي جهينة فعندها علم هذا، فقمن جميعًا.

وقالت إحداهن:

فعند جهينة الخبر اليقين، فضربتها مثلاً.

فأتينها فقلن: يا ظلمة أى الرجال أحب إلي النساء وأشفى لهن؟

فقالت:

بأبي الفتى الأعمى المكفوف.

وقال الهيثم بن عدى:

أقبل أعرابى بقطعة من غنم، ترفعه أرض وتخفضه أخري، إذا رفعت له خيمة من بعد كأنها كلب مقع، فقصدها ووقف باب الخيمة، فقال السلام عليكم فخرجت إليه عجوز معها ابنتان متبرقعتان كأن وجوههما مرآتان.

فقالت العجوز: بعد أن ردت سلامه ما جاء بك؟

فقال: رجل أقبل فى بغاء الباءة.

فقالت: قد وقع على سعديه إن كان عنده أجره وثمنه.

قال: أجل وإن لها فى هذه الليلة أجراً إذا فعلت أن تأخذ حاجتها من الغنم.

قالت العجوز: شأنك فاختار إحداهن وتجللها، فابتدرت عيناها وتدفقت عرقًا، فلما أولج أيره فى رحمها.

قالت لها أمها: يا أمه، واحدة، واحدة لا تزيد علي واحد حتي فرغ من مباضعتها.

فقالت لها أمها: ويحك مالك، أشغلتك الغلمة عن أن تخسرينا من الغنم أكثر من واحدة، ولكن أختك لو كانت أخصبتنا غنمًا.

قال الأعرابى: إنى لأحبها علي شرطها.

قالت: فدونك.

قال: فتجللها الأعرابى، ثم شد نحوها، فلما أخلط لها الباب، قالت: يا فتاه كيف تكروها حتى نزل عنها.

فقالت العجوز: أما والله لو أتاني لحرمته الغنم.

قال الأعرابي: فإنك على شريطة ابنتك حتي أجامعك.

قالت: فدونكم.

قال: فأقسطه لها، وطعن به سرمه، ثم أجاله على كسها، ثم سحج به سماطى ركبها، ثم وضعه على سمت دماغها، ثم صعد وصوب حتي إذا بدت ودرت، انتحى فيها بمثل الجعبة المستلقية، فلما وجدت طعمه وحرارته في بطنها.

قالت: بنتي تحته قه، حتي فرغ فقام عنها وقد ظفر بهن وخبن وخسرن.

وحكى أبو المنذر: حكت لى إعرابية قالت: كانت ظلمة، برهة من الدهر تزنى، وأوية من الزمان تقود، حتى كبرت عن ذا وذا، وخانتها رجلاها، وأقعدت كبراً فاشترت تيسًا وشدته علي بابها، فكن جوارى الحى يأتينها، فيضحكن منها.

فقلن لا ذات يوم: يا ظلمة ما هذا التيس علي بابك.

قالت: ليكن عني اشم رائحته، وأسمع هنتمته فيسكن عني بعض ما بى.

أنشدت الأعرابية:

إن سرك العدد فجامعني وانظر	إلى حرى وما حرى وما حروى
إنك لو قد جامعته لم تصبر	عنه وما الخابر كالمخبر
لما العقينا قلدت بالقرقر	ونفرى عن الفتى ونفرى
وهي بما قال له لم تشعر	بمثل سلك اللؤلؤ المعنبر

وقيل لبنت الحسن الزرقاء: وكانت أعقل نساء العرب.

أى متاع الرجال أحب إليكن؟

قالت: العظيم ضمره، الكثير بشره، والشديد عيره، والبطئ قره، والمبلبل مطيره.

ويقال:

امرأة قعرة بعيدة.

ويقال: إن التي تشتيه فى قعر رحمها.

والشفرة: التي تشتهى على الشفرين.

والعهر: الزناء، وهو العهار أيضًا، ورجل عاهر، وامرأة عاهرة.

ويقال للمرأة: أشعرها شعوراً، إذا رفعت برجليها للجماع.

والقشوش: المرأة التي يخرج منها عند الجماع ريح النخاخة، يخرج من الماء.

قال الراجز:

مـهـلاً بني النخـاخـة والقـشـوش

والعقاقة: التي يسمع لها صوتًا عند الجماع.

والغضوط: الذى يحدث إذا جامع.

والربوخ: نعت توصف به المرأة عند النكاح، وهي التي يسمع لها حتق عند النكاح، أى صوت هناك.

وقد وصفوا مشى النساء، وهى التي توصف من شهوة الرجال. مشيتها إذا رأتهم.

ويقال: رجل حجاه، كثير الجماع.

وقيل: لعجوز إلى كم تجامعين؟

قالت: ما دمت أبول.

قالوا:

ويستحب من النساء: كل ناهدة الثديين، قائمته وكل خميص البطن نظيفة، وكل صغيرة القدم مخصرتها، وكل عظيمة الأليتين، ذات أوراك، هذا عند جمهور الناس، والذين غرضهم الباءة.

فأما عند من يطلب الولد: فالرشحاء أفضل؛ لأن ولدها يخرج شبيهًا بها، فيكون أثبت علي السرج، وإذا كانت أيضًا رشحاء عظيمة مقدمها، وذات الثدى أفضل لكثرة اللبن، وهو للولد، وذات البطن العظيم، فيكون الحمل عليها أسهل، وأرفق بولدها، وهى أشد موافقة للرجال؛ لأنها أشد حرصًا عليهم.

ومن كان أيضًا من الرجال علي مثل هذه الصفة، كان أشد حرصًا على النساء فإن اجتمعت فيه خفة الشعر، ودقة الساق، وتلوين العينين، كمل ذلك علي شهوته النساء.

والمرأة كلما عظم مقدمها؛ كان أثبت لولدها ويقال أن كل عظيمة القدم مباركة، ومن

كان من الرجال ذا يدين كيدى المرأة كان أقوي على النساء.

وزعم العوام: أن الولد يكون من البيضة اليسرى.

والخصى: ينكح ويشتد شبقه وشغفه بالنساء، وشغفهن به، وهو إن كان محبوب؛ فلأنه قد بقى له ما عسى أن يكون أعجب إليهن، وقد يحتلم ويخرج منه عند الوطء ماء، ولكن لا يخرج إلا بعد كد وجهد شديد، وعلاج طويل ولا يمنعه من المعاودة الماء الذى يخرج منه إذا كان ذلك المقدار لا يخرجه من القوة إلى الضعف.

ولا تزال الجارية من لدن إدراكها وبلوغها وحركة شهوتها بمقدار واحد من ضعف الإرادة، وكذلك عامتهن، فإذا اكتهلن، وبلغت المرأة حد النيف، فعند ذلك يقوي عليها سلطان الشهوة، والحرص على الباءة.

وقالوا: إن بعض النساء يكرهن وقوع الرجال علي صدورهن.

قالوا: والعلق الرطب يجفف ويسحق ويخلط معه القيصوم، ويطلي به الإحليل، فيكبر، ويعظم.

قالوا: وشعر الضبع الأنثى يدق ويسحق بزيت، ويطلى به دبر رجل غير مابون، فيصير به ابنة، ويدعوا إلي نفسه.

وقد روى عن خصى يتلاوط ويطلب الغلمان علي جهه المصادقة.

قالوا: وكان فى قطيعة الربيع خصى أثير عند مولاه، فأشرف عليه يومًا، وقد شد يدى شاة وهو يكومها فى مؤخرتها فزوجه من جارية له.

ولفرط إرادتهم للجماع والحسرة التي نالتهم والأسف الذي دخلهم، أبغضوا الفحول أشد من تباغض الأعداء.

قالوا: وكان الجماز يعشق جارية لآل جعفر يقال لها: طغيان، وكان لهم خصى يحفظها، وكان أشد عشقًا لها من الجماز، وكان قد حال بينه وبينها والدنو منها.

فقال الجماز:

ما للمفتت منا وللظباء الملاح   أليس زان خصى غار بغير سلاح

قال: وجاء رجل إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال: إن هذه زوجتى مجنونة.

قال: وما جنونها ؟

قال: إذا غشيتها ذهب عقلها.

قال: قم فلست لها بأهل.

قال: وتزوج رجل قاطى بامرأة من أهل المدينة، فكان إذا غشيها أجهرت فى القول، وأفحشت.

فمن ذلك قولها: شقه شقه، ويلك حر أمك هى، ويلك شقه شقه، حر أمك هى.

فاشت ذلك علي القاضى ونهاها عنه، فلما رجع إليها، وصمتت فتر وذهب نشاطه.

فلما رأي ذلك، قال: عودى إلي عملك وقولى: خيراً.

تم كتاب جوامع الكلمة، بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه.

فهرس الموضوعات

